وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

(٧٠)

من كتاب

فتوح البلدان

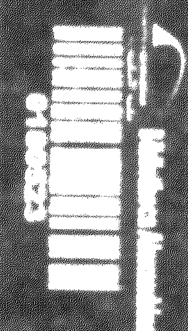
للبلاذري

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود

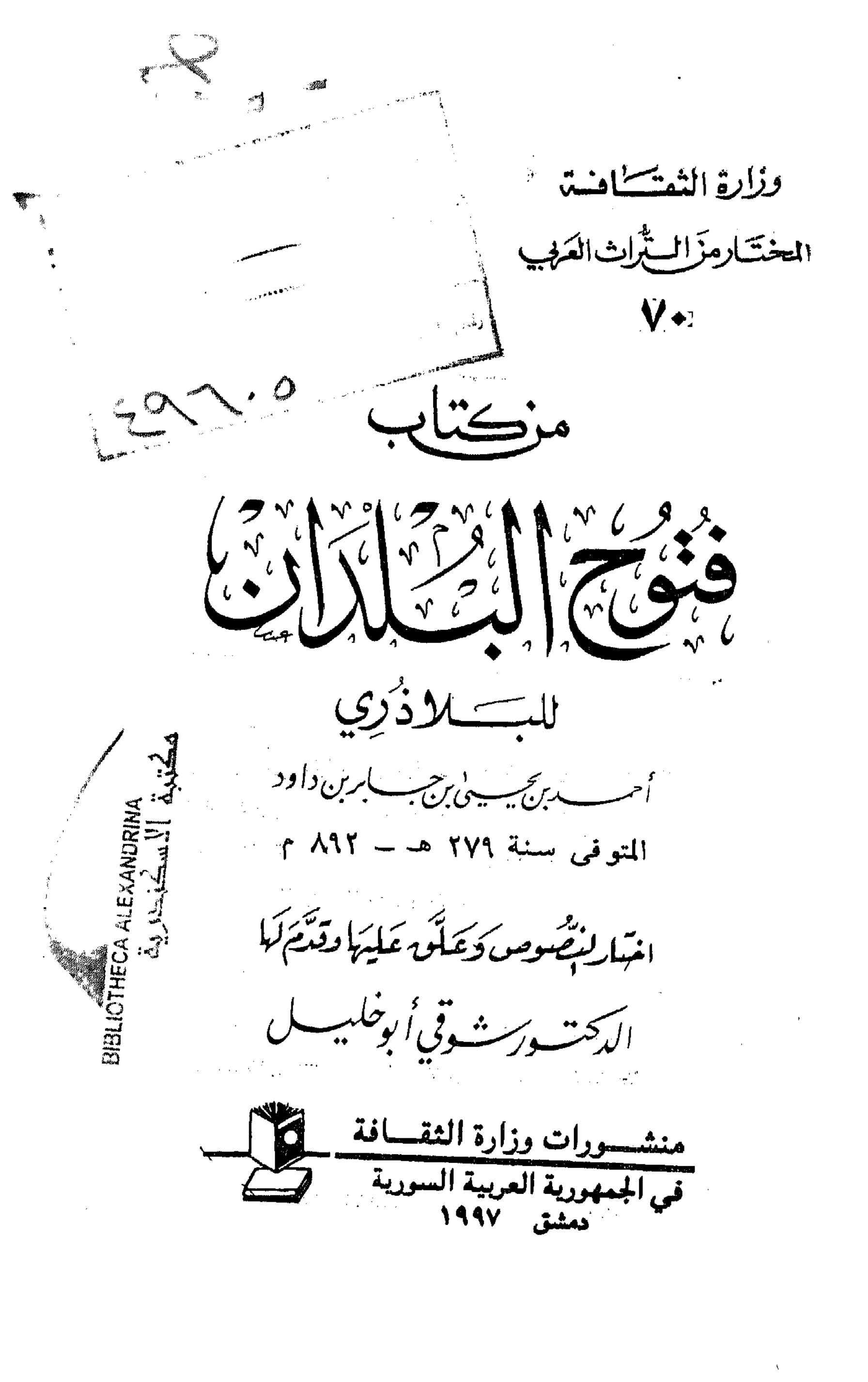
المتوفى سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م

انتقى النصوص وعلّق عليها وقدّم لها

الدكتور شوقي أبو خليل



الاشراف الفني : زهير الحمو



وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

٧٠

من كتاب

فتوح البلدان

للبلاذري

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود

المتوفى سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م

اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها

الدكتور شوقي أبو خليل

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٧

من كتاب فتوح البلدان / للبلاذري احمد بن يحيى بن جابر بن داود ؛ اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها شوقي أبو خليل . ـ دمشق وزارة الثقافة ، ١٩٩٧ . ـ ٥٤٤ ص ؛ ٢٠ سم .

(المختار من التراث العربي ؛ ٧٠)

١ ـ ٩٥٦٫٠٣ ب ل ا م ٢ ـ ٩٥٦٫٠٢ ب ل ا م ٣ ـ العنوان
٤ ـ البلاذري ٥ ـ أبو خليل ٦ ـ السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ـ ١٣٤ /٢/١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

بسم الله ، والصلاة والسّلام على سيدنا رسول الله محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، .وبعد . صادف عام ۱۹۹۲ م ذكرى مرور ألف ومئة سنة شمسيّة على وفاة البَلاَذُري : المؤرخ ، الجغرافي ، النّسّابة . وتكريماً لهذه المناسبة ، واحتفاءً بهذا العالم العَلَم ، نقدم هذه المختارات من كتابه الأشهر : (فتوح البلدان) ، والتّي نمهّد لها :

ـ بترجمة للبلاذري .

ـ ونبذة عن مؤلفاته .

ـ وبكلمة عن المنهج الذي اتُّبع في اختيار الموضوعات من (فتوح البلدان) .

البَلاذُري : أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُري ، أبو الحسن ، وقيل أبو بكر ، من أهل بغداد ، ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة ، ذكره الصُّولِيُّ(١) في ندماء المتوكِّل على الله(٢) ، مات في أيّام المعتمد على الله(٣) في أواخرها ، وما أَبْعَدَ(٤) أن يكون أدركَ أوّل أيّام المعتضد ، وكان جَدُّه جابرٌ يخدم الخصيب صاحب مصر ، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق(٥) ، فقال : سمع بدمشق هشامَ بن عمّار ، وأبا حفص عمر بن سعيد ، وبحمص محمّد بن مصفّى ، وبأنطاكيّة محمّد ابن عبد الرحمن بن سهم ، وأحمد بن مُرْدٍ الأنطاكي ،

---

(١) إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، أبو إسحاق : (١٧٦ — ٢٤٣ هـ = ٧٩٢ — ٨٥٧ م) ، كان كاتب العراق في عصره .

(٢) المتوكل العباسي : جعفر بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد : (٢٠٦ — ٢٤٧ هـ = ٨٢١ — ٨٦١ م) ، ولد ببغداد ، وبويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، (الأعلام : ٢ / ١٢٧)

(٣) المعتمد العباسي أحمد بن جعفر (٢٢٩ — ٢٧٩ = ٨٤٣ — ٨٩٢ م) ، ولي الخلافة سنة ٢٥٦ هـ ، (الأعلام : ١ / ١٠٦)

(٤) أي . أرى بعيداً .

(٥) انظر : مختصر (تاريخ دمشق لابن عساكر) لابن منظور . الجزء الثالث (الأحمدون) ص : ٣١٩ ، طبعة دار الفكر : ١٩٨٤ .

وبالعـراق عفّان بن مسْلم ، وعبد الأعلى بن حمّاد ، وعلي بن المديني ، وعبد الله بن صالح العجْلي ، ومصعباً الزُّبيري ، وأبا عبيدٍ القاسم بن سلّام ، وعثمان بن أبي شيبة ، وأبا الحسن عليّ بن محمّد المدائني ، ومحمّد بن سعدٍ كاتب الواقدي ، وذكر جماعةً قال : وروى عنه يحيى بن النّديم ، وأحمد بن عبد الله بن عمار ، وأبو يوسف ، يعقوب بن نعيم قَرْقارَة الأَرْزَني .

قال محمّد بن إسحاق النّديم : كان جدُّه جابرٌ يكتب للخصيب صاحب مصر ، وكان شاعراً ، راوية ، وتَسْوَسَ(١) آخر أيّامه فشُدّ بالمارستان(٢) ، ومات فيه ، وكان سبب وسوسته ، أنّه شرب ثمر البَلاذُرِ(٣) على غير معرفة ، فلحقه ما لحقه .

---

(١) اختلط عقله وجن .

(٢) بالمصح ، المشفى .

(٣) البلاذر : نبات ثمره شبيه بنوى التمر ، ولبه مثل لب الجوز ، وقشره متخلخل ، قيل : يقوي الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدي إلى الجنون .

وقال الجَهشَيَاريُّ(١) في كتاب الوزراء : جابربن داود البُلاذري ، كان يكتب للخصيب بمصر ، هكذا ذَكَرَ ولا أدري أيُّهما شرب البلاذر ؟ أحمد بن يحيى ، أو جابر بن داود ؟ إلاّ أنّ ما ذكره الجهشياري ، يدلُّ على أن الّذي شرب البلاذُر ، هو جَدُّه ، لأنّه قال : جابر بن داود ، ولعلَّ ابنَ ابنه ، لم يكن حينئذ موجوداً ، والله أعلم .

وكان أحمدُ بن يحيى بن جابرٍ ، عالماً فاضلاً ، راويةً نسّابة ، مُتْقناً ، وكان مع ذلك ، كثير الهجاء ،

قال يهجو عافيةَ بنَ شيب :

مَــــنْ رآهُ فَقَـــــدْ رَأى
عَــــــرَبيّـــــاً مُـــدَلّساً

لَيــــسَ يَـــدْري جَليسُهُ
أفَــــسَا أمْ تَنَفّســـا

(١) محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشياري (ت : ٣٣١ هـ = ٩٤٣ م) مؤرخ من الكتاب المترسلين ، من كتبه : كتاب الوزراء والكتاب ، وأخبار المقتدر العباسي ، وأسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، (الأعلام : ٦ / ٢٥٦) .

وحدَّث عليٌّ بن هارون بن المُنَجِّم في أماليه عن عمّه قال : حدَّثني أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذُريُّ قال : لما أمر المتوكِّلُ إبراهيم بن العباس الصُّولي أن يكتب فيما كان أمر به من تأخير الخَرَاج، حتّى يقع في الخامس من حزيران(١) ، ويقع استفتاح الخَرَاج فيه ، كتب في ذلك كتابه المعروف ، وأحسن فيه غاية الإحسان ، فدخل عُبَيْدُ اللهِ بن يحيى على المتوكِّل ، فعرَّفه حضور إبراهيمَ بنَ العباس ، وإحضارَهُ الكتابَ معه ، فأمر بالإذن له فدخل ، وأمره بقراءة الكتاب ، فقرأه واستحسنَه عبيد الله بن يحيى ، وكلُّ من حضر ، قال البلاذُريُّ : فدخلني حسدٌ له ، فقلتُ: فيه خطأ ، قال : فقال المتوكِّلُ : في هذا الكتاب الّذي قرأهُ عليَّ إبراهيمُ خطأ ؟ قال : قلت : نعم ، قال : ياعبيد الله ، وقفتَ على ذلك ؟ قال : لا ، واللهِ ياأمير المؤمنين ما وقفتُ فيه على خطأ ، قال : فأقبل إبراهيمُ بن العباس على الكتاب يتدبّرُه ، فلم يرَ فيه شيئاً ، فقال :

---

(١) أي في الشهر السادس من السنة الشمسية .

ياأمير المؤمنين : الخطأُ لا يَعْرَى(١) منه النّاس ، وتدبّرتُ الكتاب خوفاً منْ أكونَ قد أغفلتُ شيئاً وقفَ عليه أحمد بن يحيى ، فلم أرَ ما أنكره ، فليُعَرِّفْنا موضع الخطأ ، قال : فقال المتوكِّلُ : قل لنا ما هو هذا الخطأ الّذي وقفتَ عليه في هذا الكتاب ؟ قال : فقلتُ هو شيءٌ لا يعرفه إلاّ عليٌّ بن يحيى المنجِّم ، ومحمد ابن موسى ، وذلك أنّه أرّخ الشّهر الرُّومي باللّيالي ، وأيام الرُّوم قبل لياليها ، فهي لا تؤرَّخ باللّيالي ، وإنّما يؤرّخ باللّيالي الأشهُر العربيّة ، لأنّ لياليها قبل أيّامها بسبب الأهلّة ، فقال إبراهيمُ : ياأمير المؤمنين ، هذا مالا عِلْمَ لي به ، ولا أدّعي فيه ما يدّعي ، قال : فغيّر تاريخه ، قال الجشياريُّ : وقال أحمد بن يحيى البلاذُريُّ في عبيد الله بن يحيى وقد صار إلى بابه فحجبه :

قالُوا : اصْطبارُكَ للحجاب مذلّةٌ
عارٌ عليكَ به الزّمانُ وعابُ(٢)

---

(١) لا يخلو منه الإنسان .

(٢) العاب : العيب والنقص ، وفي (اللسان : عيب) : العاب والعيب والعيبة : الوصمة .

فأجبتُهُـــم : وَالكُلُّ قــولِ صادقٍ
أَو كاذبٍ عنــدَ المقــالِ جوَابُ

إنّـــي لأَغْتَفــرُ الحجــابَ لماجدٍ (١)
أمْسَـــت لهُ مِنَنٌ عليَّ رِغابُ(٢)

قــد يــرفعُ المرءُ اللّيئمُ حجــابَهُ
ضَعَـــةً ودونَ العُرف(٣) منْهُ حجَابُ

ومن شعر البلاذُريِّ الذي رواهُ المرزُبانيُّ في معجم الشعراء :

يــــامَــنْ روى أدباً وَكــمْ يَعْمَلْ بهِ
فَيَكُــــــفَّ عَــادِيَةَ الهوَى بِأديبِ

(١) رجل ماجد : مفضال كثير الخير شريف ، (اللسان : مجد) .

(٢) الرغبة : الضراعة والمسالة .

(٣) المعروف ، وما تبذله أو تعطيه ، والمعروف : ضد المنكر ، قال تعالى : (والمرسلات عرفاً) ، قال بعض المفسرين فيها : إنها أرسلت بالعرف والإحسان ، وقيل : يعني الملائكة أرسلوا المعروف والإحسان ، (اللسان : عرف) .

وَلَقَلَّما تُجْدي إصابَةُ صائبٍ
أعْمالُهُ أعمالُ غَيْرِ مُصيبِ

حتّى يكونَ بِما تَعَلّمَ عامِلاً
مِنْ صالحٍ فيكُونَ غَيْرَ مَعيبِ

قال ابن عساكر في كتابه : وبلغني أنّ البلاذُري كان أديباً ، راوية ، له كتبٌ جياد ، ومدح المأمونَ بمدائح ، وجالس المتوكّل ، ومات في أيّام المعتمد ، ووسْوِسَ في آخر عمره ، هذا الّذي ذكره ابن عساكر من كلام المرزُبانيّ في معجم الشعراء بعينه .

وحدَّثَ الصُّولي في كتاب الوزراء : حدَّثني أحمد ابن محمدٍ الطّالَقانيُّ قال : قال لي أحمد بن يحيى البلاذُري : كانت بيني وبين عُبيد الله بن يحيى بن خاقان حُرْمَةٌ منذ أيام المتوكّل ، وما كنتُ أُكَلِّفُهُ حاجةً لاستغنائي عنه ، فنالتني في أيّام المعتمد على الله إضاقةٌ(١) فدخلت إليه وهو جالسٌ للمظالم ، فشكوتُ تأَخُّرَ رزقي ، وثقل دَيْني ، وقلت : إنّ عيباً على الوزير —

(١) مصدر من « أضاق الرجل » إذا ضاق عليه معاشه وافتقر .

أعزّه الله ـ حاجةُ مثلي في أيّامه ، وغضَّ طرفه عنّي ، فوقع لي ببعض ما أردتُ ، وقال : أين حياؤكَ المانع لك من الشّكوى على الاستبطاء ؟ فقلت : غرْسُ البلوى يُثمِرُ ثمرَ الشكوى ، وانصرفتُ ، وكتبتُ إليه :

لَحَاني(١) الوزيرُ المرتضى في شكايتي
زماناً أُحِلَّتْ للجُدُوبِ(٢) محارِمُهْ

وقالَ : لقد جاهرتَني بملامَةٍ
ومَنْ لي بدهرٍ كنتُ فيه أُكاتِمُهْ

فقلتُ : حياءُ المرءِ ذي الدِّينِ والتُّقى
يَقِلُّ إذا قَلَّتْ لَدَيْهِ دَرَاهِمُهْ

وحدَّثَ الصُّوليُّ عن محمّد بن عليٍّ : أنَّ البلاذُريَّ امتدح أبا الصّقْرِ إسماعيل بن بلبلٍ ، وكتب إليه كتاباً حسناً ، وسأله أن يُطْلِقَ له شيئاً من أرزاقِه ، فوعَدهُ فلم يفعل ، فقال :

---

(١) لحاني : لامني وعابني .
(٢) الجدب : المحل نقيض الخصب .

تَجَانَفَ إسماعيلُ عَنِّي بِوُدِّهِ
ومَلَّ إخائي واللَّئيمُ مَلُولُ(١)

وَإنَّ امْرَءاً يَغْشَى(٢) أبا الصَّقْرِ راغباً
إليهِ وَمُخْتَرّاً بِهِ لَذليلُ

وقد عَلِمَتْ شَيْبانُ أن لَسْتَ مِنْهُمُ
فماذا الذي إنْ أنكَرُوكَ تقولُ؟

ولو كانتِ الدَّعوى تُثَبَّتُ بالرُّشَا(٣)
لثَبَّتَ دعواكَ الَّذينَ تُنيلُ(٤)

ولكنهمُ قالوا مقالاً فَكُذِّبُوا
وَجَاؤوا بِأَمْرٍ مَا عليهِ دَليلُ

وله فيما أورده عُبيد الله بن أبي طاهر :

لَمّا رأيْتُكَ زَاهِيَاً
وَرَأَيْتَنِي أُجْفَى ببابِكْ

(١) تجانف : مال إعراضاً ، ومل : سئم ، وملول : صيغة مبالغة من مل : أي كثير السآمة .

(٢) أي يأتيه ، أو يزوره .

(٣) جمع رشوة ، وهي ما يعطى لإبطال حق ، أو إحقاق باطل .

(٤) أي تعطيهم .

عَدَّيْتُ رأسَ مَطِيَّتي
وَحَجَبْتُ نفسي عَنْ حِجَابِكْ

ترجم له في كتاب (تاريخ آداب اللّغة العربيّة : ٢ / ١٩١) ، قال : هو خاتمة مؤرّخي الفتح ، ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة ، ونشأ في بغداد ، وتقرّب من المتوكّل ، والمستعين ، والمعتز ، وعهد إليه هذا بتثقيف ابنه عبد الله الشّاعر المشهور ، وكان شاعراً وكاتباً ومترجماً ، ينقل من الفارسيّة إلى العربيّة ، ومن شعره ما مدح به المستعين ، وهو :

ولو أن بُرْدَ المصطفى إذ حويته
يظنُ لظَنَّ البردُ أنّكَ صاحِبُه

وترجم له في كتاب (الوافي بالوفيات : ١ / ٧) ، قال : كنت من جلساء المستعين بالله ، وقد قصده الشعراء، فقال : ليس أقبل إلاّ من الّذي يقول مثل قول البحتري في المتوكّل :

فلو أنّ مشتاقاً تكلّف فوق ما
في وسعه لسعى إليكَ المنبرُ

فرجعت إلى داري وأتيته ، وقلت : قد قلتُ فيك أحسن مما قاله البحتري في المتوكّل ، فقال : هاتِ فأنشدته :

ولــــو أن بُرْدَ المصطفـــــى إذ لبستــه
يظـــــنُ لظـــنّ البرد أنكَ صاحبــهُ

فقال : ارجع إلى منزلك ، فافعل ما آمرك به ، فرجعت ، فبعث إلي سبعةَ آلاف دينار ، وقال : ادّخر هذا للحوادث بعدي ، ولك على الجراية والكفاية مادمت حيّاً .

* * *

مؤلفات البلاذري :

– (فتوح البلدان) : وهو أشهر كتبه ، ويظهر أنّه مختصر من كتاب أطول منه ، كان قد أخذ في تأليفه ، وسمّاه (كتاب البلدان الكبير) ولم يتمه ، فاكتفى بهذا المختصر ، ذكر فيها أخبار الفتوح الإسلاميّة ، من أيام النّبيّ صلى الله عليه وسلّم إلى آخرها ، بلداً بلداً ، لم

لم يفرِّط في شيء منها، مع التحقيق اللّازم ، واعتدال الخطّة ، وضمّنه فضلاً عن الفتوح ، أبحاثاً عمرانية ، أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التّاريخ ، كأحكام الخرَاج أو العطاء ، وأمر الخاتم ، والنُّقود ، والخط . . ونحو ذلك ، وقد طبع الكتاب في (ليدن) سنة سبعين وثمانمائة بعد الألف ، بعناية المستشرق (دي خويه)، ونشر في مصر سنة إحدي وتسعمائة بعد الألف ، وهو أجمع كتب الفتوح وأصحها .

– أنساب الأشراف : ويسمّى أيضاً : (الأخبار والأنساب) . وهو مطوّل في عشرين مجلداً ، ولم يتمه، وكان ضائعاً ، فعثر المستشرق الألماني (أهلوارد) في مكتبة (شيفر) على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ، ليس عليه اسم ، فرجّح أنه من أجزاء كتاب البلاذُري ، الذي نحن بصدده ، فطبعه في (كريزوُلد) سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة بعد الألف على الحجَر بخطِّه ، في خمسين وأربعمائة صفحة ، وفيه كثير من أخبار بني أميّة في زمن عبد الملك ، والوليد ، ويدخل في

ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزُّبير وأخيه عبد الله ، وأخبار الخوارج .

ـ عهداً أردشير : ترجمه من اللُّغة الفارسيّة إلى اللُّغة العربية ، ونظمه شعراً .

ـ وقال بعض المؤرخين : جمع البلاذُري قبيل وفاته مواد جمة مفيدة لتأليف كتاب جامع في أربعين مجلّداً .

* * *

إنّه البلاذُري : العالم المؤرخ الراوية الشاعر النّسابة، الّذي عاش في كنف عدد من خلفاء بني العباس ، إلا أنه لم يتحر في كتابه (فتوح البلدان) عن دولتهم إلا الحقائق المجردة ، دون أن يمدح أحداً ، أو يقدح في أعدائهم .

إنّه قدوة معاصريه ، خصوصاً بعد رحلته العلميّة الميمونة ، حيث تكبد عناء الأسفار بحثاً عن الحقيقة الّتي كانت ضالته المنشودة ، فدخل حلب ودمشق ـ حيث

سمع هشام بن عمّار وأبا حفص عمر بن سعيد ، كما ذكر ابن عساكر — وحمص وأنطاكية والثُّغور ، قال ابن النديم : زار البلاذُري جميع المدن الواقعة في شمال الشام ، ثم تحوّل إلى مدن الجزيرة ، جمع في سياحته الروايات المحفوظة بين سكّان تلك الأصقاع ليقارنها بما حفظه عن علماء بغداد .

ويكفيه فخراً ، أنَّ : عبد الله بن المعتز بن المتوكِّل ، ومحمد بن إسحاق النّديم ، وأحمد بن عمار ، وجعفر بن قدامة ، ويعقوب بن نعيم ، وعبد الله بن سعد الوراق ، ومحمد بن خلف ، ووكيع القاضي ، من تلامذته .

* * *

النصوص التي اختيرت من فتوح البلدان ، ولماذا ؟

ضم (فتوح البلدان) ، الفهرست الكامل التالي :

فهرست (فتوح البلدان) كاملاً	ما اخترناه من الفهرست
هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة المنورة	هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة المنورة
اموال بني النضير	اموال بني النضير
اموال بني قريظة	اموال بني قريظة
غزوة خيبر	غزوة خيبر
فتح فَدَك	فتح فَدَك
امر وادي القرى وتيماء	امر وادي القرى وتيماء
فتح مكة المكرمة	فتح مكة المكرمة
ذكر حفائر مكة	ذكر حفائر مكة
امر السيول بمكة	
فتح الطائف	فتح الطائف
فتح تبالة وجُرَش	
غزوة تبوك وأيلة وأذرح ومقنا والجرباء	
فتح دُومَة الجندل	
فتح نجران	
وفود أهل اليمن الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلامهم	اليمن
فتح عُمان	
غزوة البحرين	
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم اهل اليمامة الى الاسلام	

فهرست (فتوح البلدان) كاملاً	ما اخترناه من الفهرست
خبر ردّة العرب في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه	خبر ردّة العرب في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
ردّة بني وليعة والأشعث بن معدي كرب بن معاوية الكندي	ردّة بني وليعة والأشعث بن معدي كرب بن معاوية الكندي
أمر الأسود العنسي ومن ارتد معه باليمن	أمر الأسود العنسي ومن ارتد معه باليمن
فتوح الشام	فتوح الشام
شخوص خالد بن الوليد الى الشام وما فتح في طريقه	شخوص خالد بن الوليد الى الشام وما فتح في طريقه
فتح بُصرى	فتح بُصرى
يوم أجنادين	يوم أجنادين
يوم فحل من الأردن	يوم فحل من الأردن
أمر الأردن	أمر الأردن
يوم مرج الصُّفّر	يوم مرج الصُّفّر
فتح مدينة دمشق وأرضها	فتح مدينة دمشق وأرضها
أمر حمص	أمر حمص
يوم اليرموك	يوم اليرموك
أمر فلسطين	أمر فلسطين
أمر جند قنسرين والمدن التي تدعى العواصم	أمر جند قنسرين والمدن التي تدعى العواصم
أمر قبرس	
أمر السامرة	
أمر الجراجمة	
فتح الثغور الشامية	الثغور الشامية
فتوح الجزيرة	فتوح الجزيرة
أمر نصارى تغلب بن وائل	
غزو الثغور الجزرية	

فهرست (فتوح البلدان) كاملاً	ما اخترناه من الفهرست
فتح ملطية	
نقل ديوان الرومية	نقل ديوان الرومية
فتوح أرمينية	
فتوح مصر والمغرب	فتوح مصر والمغرب
فتح الإسكندرية	فتح الإسكندرية
فتح برقة وزويلة	فتح برقة وزويلة
فتح طرابلس	فتح طرابلس
فتح إفريقية	فتح إفريقية
فتح طنجة	فتح طنجة
فتح الأندلس	فتح الأندلس
فتح جزائر في البحر	فتح جزائر في البحر
صلح النوبة	
أمر القراطيس	أمر القراطيس
فتوح سواد العراق (خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه)	
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	
يوم قس الناطف وهو يوم الجسر	
يوم مهران وهو يوم النخيلة	
يوم القادسية	يوم القادسية
فتح المدائن	فتح المدائن
يوم جلولاء الوقيعة	
ذكر تمصير الكوفة	ذكر تمصير الكوفة
أمر واسط العراق	أمر واسط
أمر البطائح	أمر البطائح
أمر مدينة السلام	أمر مدينة السلام

فهرست (فتوح البلدان) كاملاً	ما اخترناه من الفهرست
نقل ديوان الفارسية	نقل ديوان الفارسية
فتح الجبال (حلوان)	
فتح نهاوند	فتح نهاوند
صلح الدينور وماسبذان ومهرجانقذف	
فتح همذان	
فتح قم وقاشان وأصبهان	
مقتل يزدجر بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان	
فتح الري وقومس	
فتح قزوين وزنجان	
فتح أذربيجان	
فتح الموصل	
فتح شهرزور والصامغان ودراباذ	
فتح جرجان وطبرستان ونواحيها	
فتح كور الدجلة	
تمصير البصرة	
أمر الأساورة والزط	

ما اخترناه من الفهرست	فهرست (فتوح البلدان) كاملاً
	فتح كور الأهواز
	فتح كور فارس وكرمان
	فتح سجستان وكابل
	فتوح خراسان
فتوح السند	فتوح السند
أحكام أراضي الخراج	أحكام أراضي الخراج
العطاء في خلافة عمر بن الخطاب	العطاء في خلافة عمر بن الخطاب
أمر الخاتم	أمر الخاتم
أمر النقود	أمر النقود
أمر الخط	أمر الخط

وتمّ الاختيار بطريقتين :

الطريقة الأولى : أهم أحداث صدر الإسلام أيام النبي صلى الله عليه وسلّم ، وأيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم اخترت أهم أخبار الفتوح في بلاد الشام والجبهة الشمالية عموماً ، ثم بعض أخبار الفتح في الشمال الإفريقي حتى الأندلس ، ومن بعدها أخبار الجبهة الشرقية.

الطريقة الثانية : جُمعت كلّ النصوص العمرانية، والتنظيمية ، والسّياسية ، والحضارية التي يندر العثور عليها في كتب التّاريخ ، كأحكام الخراج ، وأمر الخاتم ،

والنقود ، والخط . . . ونحو ذلك ، وجُعِلَت في قسم خاص مستقل .

وأخيراً . .

ـ لقد ضبطت الأعلام والأماكن بدقة .

ـ وكتبت الحواشي الضرورية ، فجميع الحواشي في هذا الكتاب من صنعتنا .

ـ وضبطت النّصوص وقورنت مع عدّة طبعات .

رحم الله أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذُري ، الّذي لاقى وجه ربّه سنة : ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م ، وها هي دمشق تكريماً لذكراه ، وقد جاءها من ألف ونيّف ناهلاً من معارف علمائها ، فأتحف ـ بعد رحلته العلميّة الميمونة ـ المكتبة العربية بفتوح البلدان ، وأنساب الأشراف ، فتكريماً لذكرى وفاته المئة بعد الألف ، واعترافا بمكانته العلميّة السّامقة نقدم هذه المختارات من (فتوح البلدان) .

نسأل الله تعالى النفع بما قدّمناه ، فله الحمد أولاً وآخراً

دمشق الشّام : ٢٢ شعبان ١٤١٣هـ الموافق : ١٤ شباط ١٩٩٣م.

الدكتور شوقي أبو خليل

النصوص المختارة



الفصل الأوّل

الفتوح

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين]



قال أحمد بن يحيى بن جابر : أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث ، والسيرة ، وفتوح البلدان — سقت حديثهم واختصرته ، ورددت من بعضه على بعض — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة من مكة نزل على كلثوم بن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث ابن زيد بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس بقُباء(١) ، وكان يتحدث عنده سعد بن

(١) كلثوم بن هدم ، يعرف بصاحب رسول الله ، وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وهو الذي نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء وأقام عنده أربعة أيام ، ثم خرج إلى أبي أيوب الأنصاري فنزل عليه حتى بنى مساكنه وانتقل إليها ، (أسد الغابة : ٤ / ٤٩٥) .

خيثمة بن الحارث بن مالك أحد بني السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس حتى ظنّ قوم إنّه نزل عنده .

وكان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وممّن نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقُباء مسجداً يصلّون فيه ، والصلاةُ يومئذ إلى بيت المقدس ، فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم قُباء صلى بهم فيه ، فأهل قباء يقولون إنه المسجد الذي يقول الله تعالى (لمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلى التَّقْوى مِنْ أوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أنْ تَقُومَ فيه)(١) ، وروي أن المسجد الذي أُسِس على التّقوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثنا عفان بن مسلم الصفّار ، قال حدثنا حمّاد بن سلمة ، قال أخبرني هشام بن عروة ، عن عروة أنّه قال في هذه الآية (وَالّذينَ اتّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ المُؤْمِنين وَإرْصاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ)(٢) قال : كان سعد بن خَيْثَمَة

(١) التوبة : ٩ / ١٠٨ .
(٢) التوبة : ٩ / ١٠٧ .

بنى مسجد قُباء ، وكان موضعه لِلَبّة(١) تربط فيه حمارها ، فقال أهل الشّقاق : أنحن نسجد في موضع كان يُرْبط فيه حمار لَبّة ؟ لا ولكنا نتخذ مسجداً نصلي فيه حتى يجيئنا أبو عامر(٢) فيصلّي بنا فيه ، وكان أبو عامر قد فر من الله ورسوله إلى أهل مكة ثم لحق بالشام فتنصّر ، فأنزل الله تعالى : (وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) يعني أبا عامر .

وحدثنا روح بن عبد المؤمن المقري ، قال حدثني بَهْز ابن أسد ، قال حدثنا حمّاد بن زيد ، قال أخبرنا أيوب عن سعيد بن جُبَيْر ، أنّ بني عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً ، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ،

(١) لبة هنا : اسم علم مؤنث ، واللبة لغة : موضع الذبح ، (اللسان : لبب) .

(٢) أبو عامر (الراهب أو الفاسق) : عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، من الأوس ، لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى المدينة خرج أبو عامر إلى مكة مباعداً لرسول الله ، (الطبري : ٢ / ٥١٢ ، الروض الأنف : ٣ / ١٥١) .

فحسدهم إخوتهم بنو غنم بن عوف ، فقالوا لو بنينا أيضاً مسجداً وبعثنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي فيه ، كما صلّى في مسجد أصحابنا ، ولعلّ أبا عامر أن يمرّ بنا إذا أتى من الشّام فيصلي بنا فيه ، فبنوا مسجداً وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يأتيه فيصلّي فيه ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم لينطلق إليهم أتاه الوحي فنزل عليه فيهم ، (وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ المؤمنينَ وَإرصاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ)، قال : هو أبو عامر ، (لاتَقُمْ فيه أبَداً لمَسْجِدٌ أُسّسَ عَلى التّقْوى مِنْ أوّلِ يَوْمٍ أحَقّ أنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطّهّرِينَ أفَمَنْ أسّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ (١))، قال هذا مسجد قُباء . وحدّثنا محمد بن حاتم بن ميمون قال حدثنا يزيد بن هارون ، عن هشام عن الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا)

(١) التوبة : ٩ / ١٠٨ و ١٠٩ .

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مسجد قُباء، فقال : ماهذا الطهور الذي ذُكِرتم به ؟ قالوا : يارسول الله إنّا نغسل أثر الغائط والبول . وحدثنا محمد بن حاتم، قال : حدثنا وكيع عن أبي ليلى عن عامر ، قال : كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم . (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّروا) الآية . حدثني عمر بن محمد الناقد وأحمد بن هشام بن بهرام ، قالا حدثنا وكيع بن الجرّاح ، قال أخبرنا ربيعة ابن عثمان عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الّذي أُسِّس على التّقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد الرسول ، وقال الآخر : هو مسجد قُباء ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه ، فقال : هو مسجدي هذا . حدثنا عمرو بن محمد ومحمد بن حاتم بن ميمون، قالا : حدثنا وكيع عن ربيعة بن عثمان التّيمي ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن ابن عمر قال : المسجد الذي أُسس على التقوى مسجد الرسول صلى الله

عليه وسلم . حدثنا محمد بن حاتم ، قال حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَين قال : حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد عن أُبيَ ابن كعب ، قال : سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أُسِّس على التّقوى ، فقال : هو مسجدي هذا . قال حدثني هُدْبَة بن خالد . قال حدثنا أبو هلال الراسبي ، قال أخبرنا قتادة عن سعيد بن المسيِّب في قوله. (لمسجدٌ أُسِّسَ على التّقوى) ، قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الأَعظم . حدثنا علي بن عبد الله المديني ، قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن خارجة ابن زيد بن ثابت ، قال : المسجد الذي أُسّس على التقوى ، مسجد الرسول عليه السلام حدثنا عفان ، قال : حدثنا وُهَيْب ، قال حدثنا داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب ، قال : المسجد الذي أُسِّس على التقوى مسجد المدينة الأعظم ، حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون السمين قال حدثنا وكيع ، حدثنا أسامة بن زيدعن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، قال: هو مسجد الرسول :

صلى لله عليه وسلم يعني الذي أُسِّس على التقوى ، قالوا: وقد وُسِّع مسجد قباء بعد وزيدَ فيه ، وكان عبد الله بن عمر إذا دخله صلى إلى الاسطوانة المُخلّقة ، وكان ذلك مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وركب منها يوم الجمعة يريد المدينة ، فجمّع في مسجد كان بنو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بنوه ، وكانت تلك أول جمعة جمّع فيها ، ثمّ مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنازل الأنصار منزلاً منزلاً ، وكلهم يسأله النزول عليه ، حتى إذا انتهى إلى موضع مسجده بالمدينة بركت ناقته ، فنزل عنها ، وجاء أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد ابن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج فأخذ رحله فنزل صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب ، وأراده قوم من الخزرج على النزول عندهم ، فقال : المرء مع رحله ، فكان مقامه في

منزل أبي أيوب سبعة أشهر ، ونزل عليه تمام الصّلاة بعد مقدمه بشهر ، ووهبت الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل فضل كان في خططها ، وقالوا : يانبي الله ، إن شئت فخذ منازلنا ، فقال لهم خيراً ، قالوا : وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب النقباء يجمع بمن يليه من المسلمين في مسجد له ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ، ثم إنّه سأل أسعد أن يبيعه أرضاً متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حجره يقال لهما سهل وسهيل ، ابنا رافع بن أبي عمرو بن عابد بن ثعلبة بن غنم ، فعرض عليه أن يأخذها ويغرم عنه لليتيمين ثمنها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وابتاعها منه بعشرة دنانير أدّاها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ اللّبن ، فاتُّخذ وبنى به المسجد ورُفع أساسه بالحجارة ، وسقف بالجريد ، وجعلت عمده جذوعا ، فلما استخلف أبو بكر رضي الله عنه لم يحدث فيه شيئاً ،

واستخلف عمر رضي الله عنه فوسعه ، وكلّم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في بيع داره ليزيدها فيه ، فوهبها العبّاس لله وللمسلمين ، فزادها عمر رضي الله عنه في المسجد ، ثمّ إنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه بناه في خلافته بالحجارة والقَصة(١) ، وجعل عمده حجارة وسقفه بالساج(٢) ، وزاد فيه ونقل إليه الحصباء من العَقيق(٣) ، وكان أول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم بن العاص بن أُمية ، بناها بحجارة منقوشة ثم لم يُحْدَث فيه شيء إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز وهو عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث إليه بمال

---

(١) القصة والقصة والقص : الجص ، لغة حجازية ، وقيل : الحجارة من الجص ، وقد قصص داره أي جصصها ، (اللسان : قصص).

(٢) الساج : خشب يجلب من الهند ، واحدته ساجة ، والساج : شجر يعظم جداً ، والساجة : الخشبة الواحدة المشرجعة المربعة ، . (اللسان : سوج) .

(٣) العقيق : كل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه ، وعقيق المدينة فيه عيون ونخل ، وهو مما يلي الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل ، وحتى البقيع ، (معجم البلدان : ٤ / ١٣٨) .

وفسيفساء ورخام وثمانين صانعاً من الرُّوم والقبط من أهل الشام ومصر ، فبناه وزاد فيه وولّى القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كَيْسان مولى سُعْدى مولاة آل معيقيب ابن أبي فاطمة الدوسي ، وذلك في سنة سبع وثمانين، ويقال في سنة ثمان وثمانين ، ثم لم يحدث فيه أحد من الخلفاء شيئاً حتى استخلف المهدي أمير المؤمنين صلاة الله عليه ، قال الواقدي بعث المهدي عبد الملك بن شبيب الغساني ورجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها والزيادة فيه وعليها يومئذ جعفر بن سليمان ابن علي، فمكثا في عمله سنة وزادا في مؤخره مائة ذراع ، فصار طوله ثلثمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع ، وقال علي ابن محمد المدائني ولي المهدي أمير المؤمنين جعفر بن سليمان مكة والمدينة واليمامة فزاد في مسجد مكة ومسجد المدينة ، فتم بناء مسجد المدينة في سنة اثنتين وستين ومائة، وكان المهدي أتى المدينة في سنة ستين(١) قبل الحج فأمر بقلع

(١) والصواب : في سنة ستين ومئة للهجرة ، لأن المهدي محمد ن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي : (١٢٧ — ١٦٩ هـ = ٧٤٤ — ٧٨٥ م) ولي سنة ١٥٨ هـ .

المقصورة وتسويتها مع المسجد ، ولما كانت سنة ست وأربعين ومائتين أمر أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله رحمة الله بمرمّة مسجد المدينة ، فحمل إليه فسيفساء كثير ، وفُرغ منه في سنة سبع وأربعين ومائتين . حدثني عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال حدثنا مالك بن أنس ، قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يفتح من مصر أو مدينة عنوة فان المدينة فتحت بالقرآن » ، حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأُبُلّي قال : حدثنا أبو الأشهب قال أخبرنا الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن لكل نبي حرماً ، وإني حرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم عليه السلام مكة ما بين حَرَّتَيْهَا لا يُختلي (١) ، خلاها ولا يعضد(٢) شجرها ، ولا يحمل فيها السلاح لقتال ، فمن أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » ،

(١) لا يختل خلاها : لا تخادع ، (اللسان : ختل) .
(٢) يعضد : يقطع ، عضد الشجر يعضده عضداً ، طعه بالمعضد ، (اللسان : عضد) .

وحدثني روح بن عبد المؤمن البصري المقري ، قال حدثنا أبو عوانة « عن عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللّهم إن إبراهيم عبدك ورسولك ، وأنا عبدك ورسولك ، وإني قد حرمت ما بين لا بتيها(١) كما حرم إبراهيم مكة ، فكان أبو هريرة يقول : والذي نفسي بيده لو أجد الظباء ببطحان ما عانيتها » وحدثنا سيبان بن أبي شيبة قال : حدثنا القاسم بن الفضل الحدّاني عن محمد بن زياد عن جده ، وكان مولى عثمان بن مظعون، وكانت في يده أرض لآل مظعون بالحرة ، قال . كان عمر بن الخطاب ربما أتاني نصف النهار واضعاً ،ثوبه على رأسه فيجلس إليّ ويتحدث عندي فأجيئه من القثّاء والبقل ، فقال لي يوما لا تبرح فقد استعملتك على ما ههنا ولا تدعن أحداً يخبط شجرة(٢) ولا يعضدها يعني من

---

(١) في (معجم البلدان : ٥ / ٣) : اللابتان : تثنية لابه وهي الحرة ، وجمعها لاب ، وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتيها يعني المدينة لأنها بين الحرتين ، قال الأصمعي : اللابة : الأرض التي ألبستها الحجارة السود (البركانية) .

(٢) ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، ثم يعلف الإبل ، (اللسان : خبط) .

شجر المدينة ، فان وجدت أحداً يفعل ذلك فخذ حبله وفأسه ، قال : قلت آخذ ثوبه ! قال لا .

وحدثني أبو مسعود بن القتّات ، قال حدثنا ابن أبي يحيى المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم من الشجر ما بين أُحُد إلى عَيْر(١) « وأذن لصاحب الناضح في الغضا(٢) وما يصلح به محارثه وعَرَبه .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لرجل استعمله عن حمى الرَّبَذَة(٣) نسي بكر اسمَهُ اضمُم جناحك عن كل مسلم ، واتّق دعوة المظلوم

---

(١) جبل عير قرب المدينة المنورة . (معجم البلدان : ٤ / ١٧١ .

(٢) الغضى : شجر (ويكتب بالألف أيضاً) ، واحدته غضاة ، وأهل الغضى : أهل نجد لكثرته هناك ، ونار غاضية : عظيمة أخذ من نار الغضى ، وهو من أجود الوقود عند العرب ، (اللسان : غضا) .

(٣) الربذة : من قرى المدينة ، قريبة من ذات عرق ، وبها قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (جندب بن جنادة) ، (معجم البلدان : ٣ / ٢٤) .

فانها مجابة ، وأدخل ربَّ الصريمة والغنيمة(١) ، ودعني من نعم ابن عفان وابن عوف فانهما أن تهلك ما شيتهما ترجعا إلى زرع ، وإنَّ هذا البائس إن تهلك ماشيته يجيء فيصرخ ياأمير المؤمنين ياأمير المؤمنين ، فالكلاء أهون على المسلمين من غرم المال ذهبُه وورِقُه ، والله إنها لأرضهم ، قاتلوا عليها في الجاهلية، وأسلموا عليها في الإسلام ، وإنهم ليرون أني أظلمهم ، ولولا النَّعم التي تُحمل عليها في سبيل الله ما حميت عن الناس من بلادهم شيئاً أبداً .

حدَّثنا القاسم بن سلام أبو عبيد ، قال حدثنا ابن أبي مريم ، عن العمري ، عن نافع عن ابن عمر ، قال حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم النّقيع(٢) لخيل المسلمين ، قال لي أبو عبيد بالنون ، وقال النّقيع فيه قاع ذُرَق وهو

(١) أدخل رب الصريمة والغنيمة : يعني في الحمى والمرعى ، يريد صاحب الإبل القليلة والغنم القليلة ، الصريمة تصغير الصرمة وهي القطيع من الإبل والغنم ، (اللسان : صرم) .

(٢) نقيع : من أودية الحجاز ، يدفع سيله إلى المدينة ، يسلكه العرب إلى مكة منه ، وحمى النقيع على عشرين فرسخاً ، أو نحو ذلك من المدينة ، (معجم البلدان : ٥ / ٣٠١) .

الخندقوق (١) . وحدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن أبيه ، عن ابن الدراوردي عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص ، أنه وجد غلاماً يقطع الحمى ، فضربه وسلبه فأسه ، فدخلت مولاته أو امرأة من أهله على عمر رضى الله عنه فشكت إليه سعداً ، فقال عمر رُد الفأس والثياب ، أبا اسحاق رحمك الله ، فأبى وقال : لا أُعطى غنيمة غنمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه وأسلبوه ، فاتخذ من الفأس مسحاة(٢) فلم يزل يعمل بها في أرضه حتى توفي .

وحدثنا أبو الحسن المدائني ، عن ابن جُعْدُبَة وأبي معشر قالا : لما كان النبي صلى الله عليه وسلم بِظُرَيب التعاويل مقدمه من غزوة ذي قَرَد(٣) قالت له بنو حارثة من الأنصار : يارسول الله ، ههنا مسارح إبلنا ،

---

(١) الخندقوق : الذرق : بقلة أو حشيشة كالفت الرطب ، (اللسان : حندق) .

(٢) المسحاة : المجرفة من الحديد ، (اللسان : مسح) .

(٣) غزوة الغابة أو غزوة ذي قرد سنة ٦ هـ .

ومرعى غنمنا ، ومخرج نسائنا ، يعنون موضع الغابة ، فقال رسول الله صلى عليه وسلم من قطع شجرة فليغرس مكانها وَدِيّة(١) ، فغرست الغابة . وحدثني عبد الأعلى ابن حماد النرسي ، قال حدثنا حماد بن سلمة ، قال أخبرنا محمد بن إسحاق عن أبي مالك بن ثعلبة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في وادي مَهْزُور أن يُحْبَس الماء في الأرض إلى الكعبين ، فاذا بلغ الكعبين أُرسل إلى الأُخرى ، لا يمنع الأعلى الأسفل . وحدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال حدثنا عبد الرحمن ابن أبي الزناد ، عن عبد الرحمن بن الحارث أنّ رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في سبيل مَهْزُور أن الأعلى يمسك على من أسفل منه حتى يبلغ الكعبين ، ثم يرسله على من أسفل منه ، وحدثني عمر بن حماد بن أبي حنيفة . قال حدثنا مالك بن أنس ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن أبيه ، قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيل مَهْزُور

(١) الودي : فسيل النخل وصغاره ، واحدتها ودية ، (اللسان : ودي) .

ومَذْينيب أن يحبس الماء حتى يبلغ الكعبين ثم يُرْسِل الأعلى على الأسفل ، قال مالك وقضى رسول الله عليه وسلم في سيل بطِحان بمثل ذلك . وحدثني الحسين بن الأسود العجلي ، قال حدثنا يحيى بن آدم ، قال حدثنا يزيد بن عبد العزيز ، عن محمد بن إسحاق قال حدثنا أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك عن أبيه ، قال اختُصِم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهزور وادي بني قريظة فقضى أن الماء إلى الكعبين لا يحبسه الأعلى على الأسفل، وحدثني الحسين ، قال حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حفص ابن غياث ، عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيل مهزور أن لأهل النخل إلى العقبَيْن ، ولأهل الزرع إلى الشِّراكين(١) . ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم . وحدثني حفص بن عمر الدُّوري قال حدثنا عباد بن عباد ، قال : حدثنا هشام بن عروة عن عروة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بَطِحان على ترعة من تُرَع الجنة .

(١) عقب القدم وعقبها : مؤخرتها ، والشراك : سير النعل .

وحدثني علي بن محمد المدائني أبو الحسن عن ابن جُعْدُبَة وغيره ، قالوا أشرفت المدينة على الغرق في خلافة عثمان من سيل مهزور ، حتى اتخذ له عثمان ردماً قال أبو الحسن وجاء أيضاً بماء مخوف عظيم في سنة ست وخمسين ومائة فبعث إليه عبد الصمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، وهو الأمير يومئذ ، عبيد الله بن أبي سلمة العمري ، فخرج وخرج الناس بعد صلاة العصر ، وقد ملأ السيل صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدلّتهم عجوز من أهل العالية على موضع كانت تسمع الناس يذكرونه ، فحفروه فوجد الماء منسرباً ، فغاص منه إلى وادي بَطحان ، قال ومن مهزور إلى مذينيب شعبة يصب فيها . حدّثني محمد بن أبان الواسطي ، قال حدثنا أبو هلال الراسبي ، قال حدثنا الحسن ، قال : « دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة وأهلها وسماها طيبة » ، وحدثني أبو عمر حفص بن عمر الدوري ، قال حدثنا عباد بن عباد عن هشام ابن عروة ، عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين قالت لما هاجر رسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مرض المسلمون بها ، فكان ممن اشتد به

مرضه أبو بكر ، وبلال وعامر بن فهيرة ، فكان أبو بكر رضى الله عنه يقول في مرضه :

كُـــلُّ امرىءٍ مُصَبَّـــحٌ في أهلِه
وَالمـــوت أدنـــى مِنْ شِراكِ نَعْلِه

وكان بلال رضي الله عنه يقول :

ألا ليـــتَ شعري هـــل أبيتـــنَّ ليـــلةً
بِفَـــخٍّ وَحَـــولي إذخرٌ وَجَليلُ

وَهَـــلْ أرِدَنْ يـــوماً مياهَ مَجَنَّة
وَهَـــل يَبْـــدوَن لي شامةٌ وَطَفيلُ

وكان عامر بن فهيرة يقول :

لَقَـــد وَجَـــدتُ الموتَ قبـــل ذَوْقِه
إنَّ الجَبَـــانَ حَتْفُـــهُ مِنْ فَوْقِه
(كُـــلُّ امرىءٍ مُجَـــاهِدٌ بطوقِه)
كالثَّـــورِ يَحْمِـــي جِلْـــدَهُ بِرَوْقِه

قال فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال « اللهم طيِّب لنا المدينة كما طيبتَ لنا مكة وبارك لنا في

مدها وصاعها » . حدثنا الوليد بن صالح . قال حدثنا الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير بن العوام في اشراج الحرّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسق يازبير ثم ارسل إلى جارك » وأخبرني علي الأثرم، عن أبي عبيدة ، قال الاشراح مسايل الماء في الحرار ، والحرّة أرض مفروشة بصخر ، قال وقال الأصمعي ، مسايل من الحرار إلى السهولة . حدّثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، قال حدثنا يحيى بن آدم ، قال حدثنا يزيد بن عبد العزيز ، حدثنا هشام ابن عروة عن أبيه ، قال : أقطع عمر رضى الله عنه العقيق حتى انتهى إلى أرض فقال : ما أقطعت مثلها ، قال خوّات بن جبير أقطعنيها فأقطعه إياها ، وحدثني الحسين ، قال حدثنا يحيى بن آدم ، عن يزيد بن عبد العزيز ، عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقطع عمر العقيق ما بين أعلاه إلى أسفله ، وحدثني الحسين ، قال حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة قال خرج عمر يقطع الناس ، وخرج معه الزبير ، فجعل عمر يقطع حتى مرّ بالعقيق ،

فقال أين المستقطعون ؟ مذ اليوم ما مررت بقطعة أجود منها ، فقال الزبير أقطعنيها ، فأقطعه إياها .

وحدثني الحسين ، قال حدثني يحيى بن آدم ، قال حدثنا أبو معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال أقطع عمر العقيق كلّه حتى انتهى إلى قطيعة خوّات ابن جبير الأنصاري ، فقال أين المستقطعون ؟، ما أقطعت اليوم أجود من هذه ، وحدثنا خلف بن هشام البزار ، قال حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، قال أقطع عمر بن الخطاب خوّات بن جبير الأنصاري أرضاً مواتاً فاشتريناها منه ، حدثني الحسين بن الأسود ، قال حدثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش، عن هشام عن أبيه بمثله . وحدثني الحسين ، قال حدثني يحيى بن آدم ، حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن عروة ، قال أقطع أبو بكر الزبير ما بين الجُرْف إلى قَنَاة(١) ، وأخبرني أبو الحسن المدائني ، قال قناة

---

(١) قناة : واد بالمدينة وهي أحد أوديتها الثلاثة ، عليه حرث ومال ، (معجم البلدان : ٤ / ٤٠١) .

وادٍ يأتي من الطائف ويصب إلى الأرحضية ، وقرقرة الكُدْر ، ثم يأتي سدَّ معاوية . ثم يمر على طرف القَدُوم ويصب في أصل قبور الشهداء بأُحُد . وحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال حدثنا إسحاق بن عيسى ، عن مالك ابن أنس ، عن ربيعة عن قوم من علمائهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المزني معادن بناحية الفُرُع . وحدثني عمرو الناقد وابن سهم الأنطاكي ، قالا حدثنا الهيثم بن جميل الأنطاكي ، قال حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سكين ، عن أبي عكرمة ، مولى بن الحارث المزني ، قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً أرضاً فيها جبل ومعدن ، فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز أرضاً منها فظهر فيها معدن أو معدنان ، فقالوا : إنما بعناك أرض حرث . ولم نبعك المعادن ، وجاؤوا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جريدة فقبّلها عمر ومسح بها عينه ، وقال لقيّمه : أنظر ماخرج منها وما أنفقت وقاصّهم بالنفقة ورُدّ عليهم الفضل. وحدّثنا أبو عبيد ، قال حدّثنا نعيم بن حماد ، عن عبد

العزيز بن محمد ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن الحارث بن بلال بن الحارث المزني ، عن أبيه بلال بن الحارث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطعه العقيق أجمع . وحدثني مصعب الزبيري ، قال : قال مالك بن أنس أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث معادن بناحية الفرع لا اختلاف في ذلك بين علمائنا ، ولا أعلم بين أحد من أصحابنا خلافاً أن في المعدن الزكاة ربع العشر ، قال مصعب : وروي عن الزهري أنه كان يقول : في المعادن الزكاة ، وروى عنه أيضاً قال ، فيها الخمس مثل قول أهل العراق ، وهم يأخذون اليوم من معادن الفُرع ، ونجران ، وذي المروة ، ووادي القرى ، وغيرها الخمس(١) ، على قول سفيان الثوري ، وأبي حنيفة ، وأبي يوسف وأهل العراق .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال حدثنا وكيع بن الجراح ، قال حدثنا الحسن بن صالح بن حي ، عن جعفر

---

(١) مثل حكم الركاز ، وهو كل مال وجد مدفوناً ، يكون لواجده ، وعليه دفع خمسه ليصرف في مصرف الزكاة .

ابن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع عليا رضي الله عنه أربع أرضين : الفُقَيْرين . وبئر قيس ، والشّجرة. وحدثني الحسين عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، عن جعفر بن محمد مثله . وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، قال : حدثنا حفص بن غياث ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أنه قال : أقطع عمر بن الخطاب علياً رضي الله عنهما ينبع فأضاف إليها غيرها . وحدثني الحسين ، عن يحيى بن آدم ، عن حفص بن غياث ، عن جعفر بن محمد عن أبيه بمثله، وحدثني من أثق به ، عن مصعب بن عبد الله الزبيري ، أنه قال : نسبت بئر عروة بن الزبير إلى عروة بن الزبير ، ونسب حوض عمرو إلى عمرو بن الزبير ، ونسب خليج بنات نائلة إلى ولد نائلة بنت الفَرَافِصَة الكلبية امرأة عثمان بن عفان ، وكان عثمان ابن عفان رضي الله عنه اتخذ هذا الخليج ، وساقه إلى أرض استخرجها واعتملها بالعرصة(١) ، وأرض أبي

(١) العرصة : كل بقعة بين الدور الواسعة ليس فيها بناء ، (اللسان : عرص) .

هريرة نسبت إلى أبي هريرة الدّوسي والصّهوة صدقة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في جبل جهينة ، وقصر نفيس ينسب فيما يقال إلى نفيس التاجر ابن محمد ابن زيد بن عبيد بن المُعَلّى بن لوذان بن حارثة بن زيد من الخزرج وهم حلفاء بني ذريق بن عبد حارثة من الخزرج ، وهذا القصر بحرّة واقم بالمدينة ، واستشهد عبيد بن المعلي يوم أُحُد قال : ويقال أنه نفيس بن محمد ابن زيد بن عبيد بن مرة مولى المعلي، فان عُبَيداً هذا وأباه من سبي عين التمر ، ومات عبيد بن مرة أيام الحرّة ، وكان يكنى أبا عبد الله قال : وبئر عائشة نسبت إلى عائشة بن نمير بن واقف . وعائشة رجل وهو من الأوس ، وبئر المطلب على طريق العراق ، نسبت إلى المطلب بن عبد الله بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، وبئر ابن المرتفع نسبت إلى محمد بن المرتفع بن النضير العبدري .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن شريك بن عبد الله عن أبي نمر الليثي . عن

عطاء بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية . قال : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ السوق بالمدينة قال : هذا سوقكم لاخراج عليكم فيه ، وحدثني العباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن جده ، محمد بن السائب ، وشرقي بن القطامي الكلبي ، قالا لما هدم بختنصر بيت المقدس(١) ، وأجلى من أجلى وسبى من سبى من بني إسرائيل لحق قوم منهم بناحية الحجاز فنزلوا وادي القرى ، وتيماء ويثرب ، وكان بيثرب قوم من جُرْهُم ، وبقية من العماليق قد اتخذوا النخل والزرع ، فأقاموا معهم وخالطوهم فلم يزالوا يكثرون وتقل جرهم والعماليق ، حتى نفوهم عن يثرب واستولوا عليها ، وصارت عمارتها ومراعيها لهم فمكثوا على ذلك ماشاء الله ، ثم إن من كان باليمن من ولد سبأ بن يَشجُب بن يعرب بن قحطان ، بغوا ، وطغوا . وكفروا نعمة ربهم ، فيما آتاهم من الخصب ورفاهة العيش ، فخاق الله جرذاناً جعلت تنقب سداً كان

---

(١) وذلك في سنة ٥٩٧ ق.م

لهم بين جبلين فيه أنابيب يفتحونها إذا شاؤوا فيأتيهم الماء منها على قدر حاجتهم وإرادتهم ، والسد العرم ، فلم تزل تلك الجرذان تعمل في ذلك العرم حتى خرقته، فأغرق الله تعالى جنانهم ، وذهب بأشجارهم ، وأبدلهم خمطاً وأثلاً وشيئاً من سدر (١) قليلاً ، فلما رأى ذلك مزيقياً ، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، باع كل شيء له من عقار وماشية وغير ذلك ودعا الأزد حتى صاروا معه إلى بلاد عك فأقاموا بها . وقال عمرو : الانتجاع قبل العلم عجز ، فلما رأت عك غلبة الأزد على أجود مواضعهم غمها ذلك ، فقالت للأزد انتقلوا عنا ، فقام رجل من الأزد أعور أصم يقال له جذع ،

(١) قال تعالى في الكتاب المجيد : (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) ، (سبأ : ٣٤ / ١٦) ، الخمط : ضرب من الأراك له حمل يؤكل ، وقيل شجر له شوك ، والخمط في الآية : شجر قاتل أو سم قاتل ، والأثل : شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عوداً ، تسوى به الأقداح الصفر الجياد ، والسدر : شجر النبق واحدتها سدرة .

فوثب بطائفة منهم فقتلهم ونشبت الحرب بين الأزد وعك، فانهزمت الأزد ، ثم كرت فقال جِذْع في ذلك :

نحنُ بنو مازن غيرَ شكّ
غسّانُ غسّانَ وعكٌّ عكّ
سيعلمون أيُّنا أركّ

وكانت الأزد نزلت بماء يقال له غسان ، فسمّوا بذلك ، ثم إن الأزد سارت حتى انتهت إلى بلاد حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فقاتلوهم فظهرت الأزد على حكم . ثم إنّه بدا لهم الانتقال عن بلادهم فانتقلوا وبقيت طائفة منهم معهم ، ثم أتوا نجران فحاربهم أهلها فنُصِروا عليهم فأقاموا بنجران ، ثم رحلوا عنها ، إلا قوم منهم تخلفوا بها لأسباب دعتهم إلى ذلك فأتوا مكة وأهلها جرهم فنزلوا بطن مر ، وسأل ثعلبة بن عمرو مزيقيا جرهم أن يعطوهم سهل مكة فأبوا ، فقاتلهم حتى غلب على السهل،

ثم إنه والأزد استوبوا مكانهم(١) ورأوا شدة العيش به فتفرقوا . فأتت طائفة منهم عُمان ، وطائفة السّراة وطائفة الأنبار والحيرة ، وطائفة الشام ، وأقامت طائفة منهم بمكة ، فقال جذع أكلّما صرتم يا معاشر الأزد إلى ناحية انخزعت(٢) منكم جماعة يوشك أن تكونوا أذناباً في العرب ، فسمي من أقام بمكة خُزاعة ، وأتى ثعلبة بن عمرو ، مزيقيا ووالده ومن تبعه يثرب ، وسكانها اليهود فأقاموا بها خارج المدينة ، ثم إنهم عفوا وكثروا ، وعزوا حتى أخرجوا اليهود منها ودخلوها فنزلت اليهود خارجها ، فالأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا ابن عامر وأمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو ، ويقال إنّها غسانيّة من الأزد ويقال إنها عذريّة ، وكانت للأوس والخزرج قبل الإسلام وقائع وأيام تدربوا فيها بالحروب واعتادوا اللقاء ، حتى شهُر بأسهم ، وعرفت نجدتهم ، وذكرت شجاعتهم ، وجل في قلوب العرب أمرهم ، وهابوا حدهم ، فامتنعت حوزتهم ، وعز جارهم ، وذلك لما أراد الله من إعزاز نبيه صلى الله عليه

(١) أقاموا في مكانهما وحافظوا عليهما .
(٢) تخلفت عنهم في مسيرهم .

وسلم وإكرامهم بنصرته ، قالوا ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كتب بينه وبين يهود يثرب كتاباً(١)، وعاهدهم عهداً ، وكان أول من نقض ونكس منهم يهود بني قَيْنُقاع(٢) ، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة ، وكان أول أرض افتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بني النّضير(٣) .

* * *

(١) انظر ابن هشام : ٢ / ١٠٦ ، حيث نص الكتاب .
(٢) بعد بدر الكبرى ، رمضان ٢ هـ ، لنقضهم العهد .
(٣) بعد أحد شوال ٣ هـ ، لتآمرهم مع قريش ضد المسلمين .

أموال بني النضير

قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النّضير من يهود (١) ، ومعه أبو بكر ، وعمر ، وأسَيْد بن حُضَير ، فاستعانهم في دية رجلين من بني كلاب بن ربيعة موادعَيْن له ، كان عمرو بن أمية الضّمري قتلهما ، فهموا بأن يلقوا عليه رحا(٢) ، فانصرف

(١) وهم قوم من يهود المدينة المنورة.

(٢) قال يهود : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، وقد آن لك ان تزورنا وأن تأتينا ، ولكن حتى تطعم وترجع بحاجتك ، وكان صلى الله عليه وسلم جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم ، فخلا بعضهم ببعض وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على هذه الحالة ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه (انظر : الاكتفاء : ١ / ١١١ ، الطبري : ٢ / ٥٥٠ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ١١٩ ، ابن هشام : ٣ / ١٠٨ ، البداية والنهاية : ٤ / ٧٤ ، عيون الأثر : ٢ / ٤٨ ..) .

عنهم ، وبعث إليهم يأمرهم بالجلاء عن بلده إذ كان منهم ما كان من الغدر والنكث ، فأبوا ذلك وأذنوا بالمحاربة (١)، فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم(٢) خمس عشرة ليلة ، ثم صالحوه على أن يخرجوا من بلده، ولهم ما حملت الإبل إلا الحَلْقة(٣) والآلة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أرضهم ونخلهم والحلقة وسائر السّلاح (والحلقة الدروع) ، فكانت أموال بني النّضير خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يزرع تحت النخل في أرضهم فيدخل من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله في الكُراع (٤) والسّلاح، وأقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض بني النّضير ، أبا بكر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبا

(١) بتشجيع من المنافقين : عبد الله بن أبي بن سلول ، ووديعة ومالك بن أبي قوقل .

(٢) في حصونهم ، وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين في عوالي المدينة من ناحية قباء .

(٣) الحلقة : الدروع ، وهي هنا آلة الحرب والسلاح عاماً .

(٤) الكراع : ذوات الحوافر ، وقد تستعمل الكراع أيضاً للإبل ، وهي هنا : الخيل والإبل .

دجانة سِماك بن خَرَشَة السّاعدي وغيرهم ، وكان أمر بني النّضير في سنة أربعة من الهجرة ، قال الواقدي وكان مُخَيْرِيق – أحد بني النّضير – حبراً عالماً، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل ماله له وهو سبعة حوائطِ ، فجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ، وهي المِيثَب والصّافية والدّلال ، وحُسنَى ، وبَرْقَة ، والأعواف ، ومشربة أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي مارية القبطيةّ .

حدثنا القاسم بن سلام ، قال حدثنا عبد الله بن صالح ، قال أخبرنا اللّيث بن سعد عن عقيل عن الزُّهري ، أن وقيعة بني النضير من يهود كانت على ستة أشهر من يوم أُحُد (١) ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أنّ لهم ما أقلّت الإبلِ من الأمتعة ، إلا الحلقة ، فأنزل الله فيهم : (سَبّح لله مافي السّموات ومَا في الأرْض وهُو العزيزُ الحكيمُ هُو الذّي أخرج الذّين كَفَرُوا من أهلِ

(١) أحد : شوال ٣ هـ = كانون الثاني ٦٢٥ م .

الكتابِ (إلى قوله) وليُخْزِي الفاسِقين(١)). وحدثنا الحسين بن الأسود قال حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن أبي زائدة ، عن محمد بن اسحق في قوله (مَا أفاء اللهُ على رَسُوله ِ منهم) قال من بني النضير ، (فَمَا أَوْجَفْتُم عَلَيه من خيلٍ وَلا رِكَابٍ ولكنَّ الله يُسَلِّطُ رَسُلَهُ على مَن يَشاء). قال أعلمهم أنّها لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة دون النّاس ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين إلاّ أن سهل بن حنيف ، وأبا دُجَانة ذكرا فقراً فأعطاهما ، قال وأما قوله : (ما أفاءَ على رَسُوله من أهْلِ القُرى فَلِله ولِلرسُول(٢)). إلى آخر الآية ، قال : هذا قسم آخر بين المسلمين على ما وصفه الله . وحدثني محمد بن حاتم السمين ، قال حدثنا الحجاج بن محمد عن ابن جُرَيْج ، عن موسى ابن عقبة ، عن نافع عن ابن عمر ، قال أحرق رسول الله

---

(١) أول سورة الحشر .

(٢) الحشر : ٧ ، والآية التي تليها : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) ، إلى آخر آيات سورة الحشر .

صلى الله عليه وسلم نخل بني النّضير ، وقطع ، وفي ذلك يقول حسان ابن ثابت :

لَهَانَ على سُرَاةِ بني لُؤَيٍّ
حَرِيقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

قال ابن جريح وفي ذلك نزلت : (مَاقَطَعْتُمْ مِن لينةٍ أَوْ تركتُمُوها قَائِمَةً عَلَى أصولها فَبإذْنِ الله وليُخْزِي الفاسقين (١)) « اللّينة النخله(٢)) .
وحدثنا أبو عبيد قال حدثنا حجاج ، عن ابن جريح ، عن موسى عن نافع ، عن ابن عمر بمثله وقال أبو عمر الشّيباني ، الراوية وغيره من الرُّواة أنّ هذا الشعر لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلّب وإنّما هو :

لَعَزَّ على سُرَاةِ بني لُؤَيٍّ
حَرِيقٌ بالبُوَيرَةِ مُسْتَطِيرُ

---

(١) الحشر : ٥ .

(٢) في (اللسان : لين) : كل شيء من النخل سوى العجوة فهو من اللين ، واحدته لينة .

ويروي بالبُوَيْله . فأجابه حسان بن ثابت فقال :

أدامَ اللهُ ذلكُــــمُ حَرِيقــــاً
وَضُــــرِّمَ في طَوائِفِــها السَّعِيــرْ

هُـــمْ أوتُــوا الكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ
فَهُـــمْ عُمْـــيٌ عَـــنِ التَّـــوراةِ بُورُ

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، قال : حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن معمر ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس ابن الحدثان قال : قال عمر بن الخطاب . كانت أموال بني النَّضير مما أفاء اللهُ على رسوله ، ولم يوجفِ(١) المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت له خالصة ، فكان ينفق منها على أهله نفقة سَنَة ، وما بقى جعله في الكُراع والسِّلاح عدَّة في سبيل الله .

---

(١) الوجف : سرعة السير ، والوجيف : ضرب من سير الإبل والخيل ، وقوله تعالى : (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) ، أي ما أعملتم ، يعني ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير فمالم يوجف المسلمون عليه خيلا ولا ركاباً ، والركاب الإبل ، (اللسان : وجف) .

حدثنا هشام بن عمار الدّمشقي ، قال حدثنا حاتم بن إسماعيل قال: حدثنا أُسامة بن زيد ، عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه أخبره أن عمر بن الخطاب ، قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا ، مال بني النّضير وخيبر ، وفَدَك ، فأمّا أموال بني النّضير فكانت حبساً لنوائبه ، وأمّا فَدَك فكانت لأبناء السبيل ، وأما خيبر فجزّأها ثلاثة أجزاء ، فقسم جزأين منها بين المسلمين وحبس جزءاً لنفسه ونفقة أهله ، فما فضل من نفقتهم ردّه إلى فقراء المهاجرين . وحدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا سفيان عن الزّهري قال : كانت أموال بني النّضير مما أفاء الله على رسوله ، ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، فقسمها بين المهاجرين(١) ولم يعط أحداً من

---

(١) اشترط صلى الله عليه وسلم أن يعطي المهاجرين خاصة ، على أن يخرجوا من دور الأنصار وأموالهم ، ففي عيون الأثر : ٢ / ٥٠ : « وسع – صلى الله عليه وسلم – بالفيء على المهاجرين » ، وفي الروض الأنف : ٣ / ٢٥٠ : « وليرفع بذلك مؤنتهم – أي مشقتهم – عن الأنصار » .

الأنصار منها شيئاً إلا رجلين كانا فقيرين ، سماك بن خرشة أبادجانة ، وسهل بن حنيف(١) . وحدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش، أبي الكلبي ، قال لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أموال بني النضير ، وكانوا أول من أجلى قال الله تبارك وتعالى (هو الذي أخرجَ الذين كفروا من أهلِ الكتاب من ديارِهِم لأوّلِ الحشرِ(٢))، والحشر الجلاء، فكانت مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار : ليست لإخوانكم من المهاجرين أموال ، فان شئتم قسمتُ هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً ، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمتُ هذه فيهم خاصة ، فقالوا : بل اقسم هذه فيهم واقسم من أموالنا ما شئت فنزلت (ويؤثرون على أنفسِهِم ولو كان بهم خَصاصةٌ(٣)) فقال أبو بكر :

(١) وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق ، وكان سيفاً له ذكر عندهم .

(٢) الحشر : ٥٩ / ٢ .

(٣) الحشر : ٥٩ / ٩ ، والخصاصة : الفاقة والحاجة إلى ما يؤثرون به.

جزاكم الله يامعشر الأنصار خيراً ، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي .

جزى الله عنّا جعفراً حينَ أُزْلِقَتْ
بنا نعلُنَا في الوطأتَيْنِ فزلتِ

أبَوْا أن يملُّونا ولو أنّ أمّنا
تُلاقي الذي يلقونَ منا لملتِ

فذو المالِ موفورٌ وكل مُعَصبٍ
إلى حُجُراتٍ أدْفأتْ وأظلّتِ

وحدثنا الحسين ، قال حدثنا يحيى بن آدم أخبرنا قيس بن الربيع ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام أرضاً من أرض بني النّضير ذات نخل . وحدثنا الحسين ، قال حدثنا يحيى ، قال حدثنا يزيد بن عبد العزيز ، عن هشام قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير . وأُقطع الزبير . وحدثني محمد بن سعد . كاتب الواقدي ، قال حدثنا أنس بن عياض ، وعبد الله بن نمير

قالا حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير أرضاً من أموال بني النضير فيها نخل، وأنّ أبا بكر أقطع الزبير الجرف(١) . قال أنس في حديثه أرضاً مواتاً . وقال عبد الله بن نمير في حديثه . وان عمر أقطع الزبير العقيق(٢) أجمع .

* * *

(١) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، (معجم البلدان : ٢ / ١٢٨) .

(٢) العقيق : بناحية المدينة ، فيه عيون ونخيل ، (معجم البلدان : ٤ / ١٣٨) .

أموال بني قُرَيْظَة

قالوا : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة لليال من ذي العقدة وليال من ذي الحجة سنة خمس ، فكان حصارهم خمس عشرة ليلة ، وكانوا ممن أعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق(١) ، وهي غزوة الأحزاب ثم إنهم نزلوا على حكمه ، فحكم فيهم سعد بن معاذ الأوسي ، فحكم بقتل

(١) غزوة بني قريظة قصاص عادل لخيانة علنية ، مع نقض معاهدة موقعة تعهدوا بموجبها دعم المسلمين إذا داهمهم عدو : « وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ... » ، (ابن هشام : ٢ / ١٠٧) ، لقد انحاز بنو قريظة إلى جانب الأحزاب لاستئصال المسلمين ، فجاءهم العقاب العادل بعد انسحاب الأحزاب .

من جرت عليه المواسي ، وبسبي النِّساء والذُّرية ، وأن يقسم مالهم بين المسلمين(١) ، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقال : لقد حكمت بحكم الله ورسوله.
حدثني عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب دخل مغتسلا ليغتسل ، فجاءه جبريل ، فقال : يامحمد قد وضعتم أسلحتكم وما وضعنا أسلحتنا بعد ، انهد إلى بني قريظة. فقالت عائشة : يارسول الله لقد رأيته من خلل الباب ، وقد عصب التراب رأسه .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، قال حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي ، عن عمارة بن خزيمة ، عن كثير بن السائب أن بني قريظة عُرِضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن كان منهم محتلماً أوقد نبتت عانته قتل ، ومن لم يكن احتلم ولا نبتت عانته تُرِك .

(١) قال سعد رضي الله عنه : « إني أحكم فيهم أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء » .

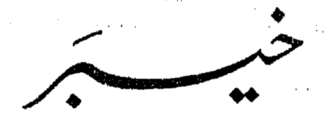
وحدثني وهب بن بقية ، قال حدثنا يزيد بن هارون ، عن هشام عن الحسن قال : عاهد حُيَيُّ بن أخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يظاهر عليه أحداً ، وجعل الله عليه كفيلاً ، فلما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قريظة وبابنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أوفى الكفل ، ثم أمر به فضربت عنقه وعنق ابنه . حدثني بكر بن الهيثم ، قال حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر قال سألت الزهري : هل كانت لبني قريظة أرض ؟ فقال : سديداً(1)) قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين على السِّهام . وحدثني الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة وخيبر بين المسلمين ، حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، كاتب

(1) لعلها السد : قناة إلى قباء ، (معجم البلدان : م / ١٩٧) .

الليث عن الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فقضى بأن تقتل رجالهم ، وسبي ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فقتل منهم يومئذ كذا وكذا رجلاً(١) .

* * *

(١) روى الليث عن أبي الزبير عن جابر : إنهم كانوا أربعمائة .



خيبر

قالوا غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر(١) في سنة سبع ، فطاوله أهلها وماكثوه وقاتلوا المسلمين ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من شهر ، ثم إنهم صالحوه على حقن دمائهم ، وترك الذُّرِّيَّة على أن يجلوا ويخلوا بين المسلمين وبين الأرض والصفراء والبيضاء والبزة(٢) ، إلا ما كان منها على الأجساد وأن لايكتموه شيئاً ، ثم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنَّ لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً فأقرنا ، فأقَرّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاملهم على الشّطر من

(١) الخيبر بلسان اليهود الحصن ، وقيل لها : (خيابر) لا شتمالها على الحصون ، بينها وبين المدينة المنورة ثمانية برد ، أي حوالي ١٨٠ كم .

(٢) البز والبزة : السلاح ، يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف (اللسان : بزز) .

الثمر والحبّ ، وقال : أقركم ماأقركم الله ، فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظهر فيهم الوباء ، وتعبثوا بالمسلمين(١) ، فأجلاهم عمر ، وقسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين .

حدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال حدثنا زياد بن عبد الله بن طفيل ، عن محمد بن إسحاق ، قال سألت ابن شهاب عن خيبر ، فأخبرني أنّه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتحها عنوة بعد القتال ، وكانت مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فخمّسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين ، ونزل من ترك من أهلها على الجلاء ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المعاملة ففعلوا. وحدثني عبد الأعلى بن حماد النّرْسي ، قال حدثنا حماد ابن سلمة عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر

(١) حتى عدى بعض اليهود على عبد الله بن عمر ليلا ، ففدعوا يداه ورجلاه ، والفدع في المفاصل كأنها أزيلت عن أماكنها ، أو اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم إلى أنسيها .

فقاتلهم حتى ألجأهم إلى قصرهم ، وغلبهم على الأرض والنخل ، وصالحهم على أن يحقن دماءهم ويجلوا ، ولهم ما حملت ركابهم ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء والحلقة(١) ، واشترط عليهم أن لا يكتموا ، ولا يغيبوا شيئاً فان فعلوا فلاذمة لهم ولا عهد ، فغيبوا مسكاً فيه(٢) مال وحلي لحيى ابن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أُجليت بنو النضير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعية بن عمرو : ما فعل مسك حي الذي جاء به من قبل بني النضير ؟ قال : أذهبته الحروب والنفقات ، قال : العهد قريب ، والمال كثير ، قد كان حيٌّ قُتِلَ قبل ذلك ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سعية إلى الزبير فمسه بعذاب ، فقال رأيت حييا يطوف في خربة ههنا ، فذهبوا إلى الخربة ففتشوها فوجدوا المسك، فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني أبي الحقيق ، وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب ، وسبي نساءهم وذراريهم ، وقسم أموالهم للنكث

(١) الحلقة : السلاح والدروع ، (اللسان : حلق) .
(٢) المسك : الجلد ، (اللسان : مسك) .

الذي نكثوا فأراد أن يجليهم عنها ، فقالوا دعنا نكن في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه غلمان يقومون بها ، وكانوا لا يفرغون للقيام عليها بأنفسهم ، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشيء مابدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان عبد الله بن رواحة يأتيهم في كل عام فيخرصها(١) عليهم ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه ، فقال يا أعداء الله أتطعمونني السُّحت(٢) ؟ والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الناس إلي ، وإنكم لأبغض إلي من عدتكم من القرود والخنازير . وان يحملني بغضي لكم وحبِّي

(١) الخرص : حزر ما على النخل من الرطب تمراً ، وقد خرصت النخل والكرم أخرصه خرصاً إذا حزر ما عليها من الرطب تمراً ، ومن العنب زبيباً ، وهو من الظن لأن الحزر إنما هو تقدير بظن ، (اللسان : خرص) .

(٢) السحت والسحت : كل حرام قبيح الذكر ، وقيل : هو ما خبث من المكاسب وحرم فلزم عنه العار ، وقبيح الذكر ، (اللسان : سحت) .

إياه على أن لا أعدل عليكم ، فقالوا بهذه قامت السموات والأرض . قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية بنت حيي خضرة فقال : ياصفية ما هذه الخضرة فقالت كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري ، فأخبرته بذلك فلطمني ، وقال أتمنين ملك يثرب(١) ، قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس إلي قتل زوجي وأبي وأخي ، فما زال يعتذر ويقول : إن أباك ألّب على العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي ، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام ، وعشرين وسقا من شعير من خيبر ، قال نافع : فلما كان عمر بن الخطاب عاثوا في المسلمين وغشوهم ، وألقوا ابن عمر من فوق بيت وفدغوا يديه ، فقسمها عمر رضي الله عنه بين المسلمين ممن كان شهد خيبر من أهل الحديبية .

---

(١) يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

وحدثنا الحسين بن الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنيهم الوَطِيح وسُلاَلِم(١) ، فلما أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن دماءهم ففعل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها الشّق والنّطَاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان في هذين الحصنين ، حدثنا الحسين بن الأسود قال حدثنا يحيى بن آدم ، قال حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله تعال : (وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً(٢)) ، قال خيبر (وَأُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها(٣)) ، فارس والرّوم .

(١) تشمل خيبر ثلاثة تجمعات من الحصون هي :
١ ـ النطاة ، وتضم : حصون ناعم والصعب وقلة .
٢ ـ الشق ، وتضم : حصني : أبي والبريء .
٣ ـ الكتيبة ، وتضم : حصون القموص والوطيح والسلالم .
(٢) الفتح : ٤٨ / ١٨ .
(٣) الفتح : ٤٨ / ٢١ .

حدثنا عمر والناقد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم خيبر على ستة وثلاثين سهماً ، وجعل كل سهم مائة سهم ، فعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به وقسم النصف الباقي بين المسلمين فكان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قسم الشق والنطّاة وما حيز معهما ، وكان فيما وقف الكتيبة وسُلالم(١) ، فلما صارت الأموال في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن له من العمال من يكفيه عمل الأرض ، فدفعها إلى اليهود يعملونها على نصف ما خرج منها . فلم يزل على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، فلما كان عمر وكثر المال في أيدي المسلمين ، وقووا على عمارة الأرض ، أجلي اليهود إلى الشام(٢) وقسّم الأموال بين المسلمين .

(١) الأصح حصن السلالم من مجموعة الكتيبة ، الذي فتح صلحاً .

(٢) أجلى عمر رضي الله عنه يهود خيبر لقوله صلى الله عليه وسلم في آخر ساعاته : « أخرجوا اليهود من الحجاز » ، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر وغيره ، كما أجلى يهود فدك ونصارى نجران ، ولم يخرج رضي الله عنه يهود وادي القرى وتيماء لأنهما من أرض الشام لا من الحجاز ، لقد ذهب بعضهم إلى تيماء ، وبعضهم إلى أريحا ، وتيماء من جزيرة العرب ، لكنها ليست من الحجاز .

حدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزّهري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر كان سهْم الخُمُس منها الكتيبة ، وكان الشّق والنطّاة وسُلالم والوطيح للمسلمين. فأقرها في يد يهود على الشطر ، فكان ما أخرج الله منها للمسلمين يقسم بينهم ، حتى كان عمر فقسم رقبة الأرض بينهم على سهامهم . وحدثنا أبو عبيد ، قال حدثنا علي ابن معبد ، عن أبي المليح عن ميمون بن مهران ، قال: حصر رسول لله صلى لله عليه وسلم أهل خيبر ما بين عشرين ليلة إلى ثلاثين ليلة .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال: حدثنا يحيى بن آدم ، قال أخبرنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن بشير ابن يسار. أنّ رسول ألله صلى ألله عليه وسلم قسم خيبر على ستة وثلاثين سهماً ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهماً ، لما ينوبه من الحقوق ، وأمْر الناس ، والوفود ، وقسم ثمانية عشر سهماً كل سهم لمائة رجل . وحدثنا الحسين ، قال حدثنا يحيى بن آدم . عن عبد

السلام بن حرب ، عن يحيى بن سعيد ، قال سمعت بشير بن يسار يقول قسمت سهمان خيبر على ستة وثلاثين سهماً جمع كل سهم مائة سهم ، فكان من ذلك للمسلمين ثمانية عشر سهماً اقتسموها بينهم ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل سهم أحدهم . وثمانية عشر سهماً لمن نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس . والوفود. وما نابه .

حدثنا عمر والناقد . والحسين بن الأسود ، قالا حدثنا وكيع بن الجراح ، قال حدثني العمري . عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . بعث ابن واحة إلى خيبر ، فخرص عليهم النّخل ، ثم خيرهم أن يأخذوا أو يردوا ، فقالوا هذا الحق وبه قامت السّموات والأرض . وحدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا الحجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن رجل من أهل المدينة : أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح بني أبي الحقيق على أن لا يكتموا كنزاً ، فكتموه ، فاستحل دماءهم .

حدثنا أبو عبيد ، قال حدثنا علي بن معبد ، عن أبي المليح عن ميمون بن مهران أن أهل خيبر أخذوا الأمان على أنفسهم . وذراريهم . على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلّ شيء في الحصن ، قال : وكان في الحصن أهل بيت فيهم شدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : قد عرفت عداوتكم لله ، ولرسوله ، ولن يمنعني ذلك من أن أُعطيكم ما أعطيت أصحابكم ، وقد أعطيتموني أنكم إن كتمتم شيئاً حلّت لي دماؤكم، ما فعلت آنيتكم ، قالوا استهلكناها في حربنا ، قال فأمر أصحابه فأتوا المكان الذي هي فيه فاستثاروها (١) . ثم ضرب أعناقهم .

حدثنا عمر والناقد ، ومحمد بن الصباح ، قالا : حدثنا هشيم ، قال أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بأرضها ونخلها إلى أهلها مقاسمة على النِّصف .

(١) أخرجوها من التراب حيث دفنت .

حدثنا محمد بن الصباح ، قال : حدثنا هشيم بن بشير ، قال أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر إلى أهلها بالنِّصف ، وبعث عبد الله بن رواحة لخرص التمر — أو قال النخل — فحرص عليهم وجعل ذلك نصفين . فخيرهم أن يأخذوا أيُّهما شاؤا . فقالوا بهذا قامت السّموات والأرض ، وحدثنا بعض أصحاب أبي يوسف . قال حدثنا أبو يوسف ، عن مسلم الأعور ، عن أنس آن عبد الله بن رواحة قال لأهل خيبر ، إن شئتم خرصت وخيرّتكم ، وإن شئتم خرصتم وخيرتموني فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض وحدثنا القسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح المصري ، عن ليث بن سعد ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري أنّ النبي صلى الله عليه وسلم فتح خيبر عنوة بعد قتال ، فخمّسها ، وقسم أربعة أخماسها بين المسلمين. وحدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال قرأت على مالك ابن أنس ، عن ابن شهاب ، قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب(١) ، ففحص عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك حتى أتاه الثلج(٢) واليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب فأجلى يهود خيبر .

حدثني الوليد بن صالح ، عن الواقدي عن أشياخه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم من سهمه بخيبر طعماً ، فجعل لكل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر ، وعشرين وسقاً من شعير ، وأطعم عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مائتي وسق ، وأطعم أبا بكر وعمر والحسن والحسين وغيرهم ، وأطعم بني المطلب بن عبد مناف أوساقاً معلومة ، وكتب لهم بذلك كتاباً ثابتاً وحدثني الوليد ، عن الواقدي عن أفلح بن حميد . عن أبيه . قال : ولاّني عمر بن عبد العزيز الكتيبة فكنا نعطي ورثة

(١) وورد النص أيضاً : « لا يبقى بجزيرة العرب دينان » ، ابن هشام : ٣ / ٢٢٨ و ٢٣١ ، السيرة الحلبية : ٣ / ٦٨ ، السيرة النبوية لابن كثير : ٣ / ٤١٥ ، الكامل في التاريخ : ٢/ ١٥١ ، وفي البداية والنهاية : ٤ / ٢١٩ : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » .

(٢) ثلجت نفسي بالشيء ثلجاً : اشتفت به واطمأنت إليه ، وثلجت نفسي بالأمر إذا اطمأنت إليه وسكنت وثبت فيها ووثقت به ، (اللسان : ثلج) .

المطعمين . وكانوا محصين عندنا وحدثنا محمد بن حاتم السمين ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن ليث عن نافع ، قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أهلها بالشطر ، فكانت في أيديهم حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وصدراً من خلافة عمر ثم أن عبد الله بن عمر أتاهم في حاجة فبيتوه(١). فأخرجهم منها وقسّمها بين من حضرها من المسلمين ، وجعل لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيها نصيباً . وقال : أيتكن شاءت أخذت الثمرة ، وأيتكن شاءت أخذت الضّيعة فكانت لها ولورثتها . وحدثني الحسين بن الأسود . قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن الكلبي . عن أبي صالح عن ابن عباس قال : قسمت خيبر على ألف وخمسمائة سهم وثمانين سهماً . وكانوا ألفاً وخمسمائة وثمانين رجلاً . الذين شهدوا الحديبية منهم ألف وخمسمائة

---

١) مر ما فعلو به .

وأربعون . والذين كانوا مع جعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة أربعون رجلاً .

حدثنا الحسين بن الأسود . قال حدثني يحيى بن آدم قال : حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضاً بخيبر فيها نخل وشجر .

* * *



فدك (١)

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل فَدك منصرفه من خيبر محيصة بن مسعود الأنصاري يدعوهم إلى الإسلام . ورئيسهم رجل منهم ، يقال له يوشع بن نون اليهودي ، فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصف الأرض بتربتها فقبل ذلك منهم ، فكان نصف فَدك خالصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكان يصرف مايأتيه منها إلى أبناء السبيل . ولم يزل أهلها بها إلى أن استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وأجلى يهود

(١) فدك : بالتحريك ، قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة ، (معجم البلدان : ٤ / ٢٣٨) .

الحجاز فوجه أبا الهيثم مالك بن التيهان — ويقال النيهان — وسهل بن أبي حثمة ، وزيد بن ثابت الأنصاريين . فقوموا نِصْفَ تربتها بقيمة عدل . فدفعها إلى اليهودي وأجلاهم إلى الشام .

حدثنا سعيد بن سليمان . عن الليث بن سعد . عن يحيى ابن سعيد أن أهل فَدَك صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصف أرضهم ونخلهم . فلما أجلاهم عمر بعث من أقام لهم حظهم من النخل والأرض فأداه إليهم .

حدثني بكر بن الهيثم : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر عن الزهري أن عمر بن الخطاب أعطى أهل فدك قيمة نصف أرضهم ونخلهم .

حدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق . عن الزُّهري وعبد الله بن أبي بكر . وبعض ولد محمد بن مسلمة قالوا : بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسيِّرهم ، فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك ، وكانت فدك

لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة . لأنه لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب .

وحدثنا الحسين عن يحيى بن آدم عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بنحوه وزاد فيه ، وكان فيمن مشي بينهم محيصة بن مسعود .

حدثنا الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم : حدثني إبراهيم بن حُمَيْد عن أُسامة بن زيد عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا فكانت أرض بني النضير حبساً(١) ، وكانت لنوائبه ، وجزأ خيبر على ثلاثة أجزاء وكانت فدك لأبناء السّبيل .

حدثنا عبد الله بن صالح العجلي ، قال : حدثنا صفوان بن عيسى عن أُسامة بن زيد بن شهاب عن عروة ابن الزبير ، أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن

---

(١) الحبس لغة : ضد التخلية ، والحبس (بالضم) : ما وقف ذلك حبيس في سبيل الله ، أي موقوف على الغزاة يركبونه في الجهاد ؛ (اللسان : حبس) .

عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ، أما سمعتنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا نورث ماتركنا صدقة إنما هذا المال لآل محمد ، لنائبتهم وضيفهم ، فاذا مت فهو إلى والي الأمر بعدي ، قال : فأمسكن »(١) .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقي ، حدثنا صفوان ابن عيسى الزّهري عن أسامة عن ابن شهاب عن عروة بمثله . حدثني إبراهيم بن محمد عن عرعرة عن عبد الرزاق عن معمر عن الكلبي ، أن بني أمية اصطفوا فدك ، وغيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ردّها إلى ما كانت عليه .

---

(١) جاء في المسند : ١ / ١٠ : قال أبو بكر رضي الله عنه : « سمعت أن النبي لا يورث ، ولكني أعول ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعول ، وأنفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق عليه » .

وحدثنا عبد الله بن ميمون المكتب ، قال أخبرنا الفُضيْل بن عياض عن مالك بن جعونة عن أبيه ، قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لي فدك فأعطني إياها وشهد لها علي بن أبي طالب . فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن ، فقال قد علمت يابنت رسول الله أنّه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين فانصرفت . وحدثني روح الكرابيسي قال : حدثنا زيد بن الحباب ، قال : أخبرنا خالد بن طهمان عن رجل حسبه روح جعفر بن محمد أن فاطمة رضى الله عنها قالت لأبي بكر الصديق رضى الله عنه : اعطني فدك ، فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ، فسألها البيّنة ، فجاءت بأُمّ أيمن ورباح مولى النبي صلى الله عليه وسلم فشهدا لها بذلك ، فقال : إنّ هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين .

حدثنا ابن عائشة التيّمي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح باذام ، عن أم هانيء أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله

الله عليه وسلم أتت أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فقالت له من يرثك إذا مت ؟ قال ولدي وأهلي ، قالت : فما بالك ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا ، فقال : يابنت رسول الله ، والله ما ورثتُ أباك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا . فقالت سهمنا بخيبر وصدقتنا فدك ، فقال يابنت رسول الله سمعت رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم يقول « إنما هي طعمة أطعمنيها الله حياتي فإذا مت فهي بين المسلمين » .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة أنّ عمر بن عبد العزيز جمع بني أمية فقال : إنّ فدك كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ينفق منها . ويأكل ، ويعود على فقراء بني هاشم ، ويزوج أيمهم ، وأن فاطمة سألته أن يهبها لها فأبى ، فلما قبض عمل أبو بكر فيها كعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ولي عمر فعمل فيها بمثل ذلك ، وإني أشهدكم أني قد رددتها إلى ما كانت عليه .

حدثنا سريج بن يونس ، قال : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن الزهري في قول الله تعالى : (فَمَا أَوْجَفْتُم عَلَيهِ مِن خَيْلٍ وَلا رِكَاب(١)) ، قال هذه قرى عربية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدك وكذا وكذا .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا سعيد بن عفير ، عن مالك بن أنس ، قال أبو عبيد : لا أدري ذكره عن الزهري أم لا ، قال أجلى عمر يهود خيبر فخرجوا منها ، فأما يهود فدك فكان لهم نصف الثمرة ونصف الأرض ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالحهم ذلك ، فأقام لهم عمر نصف الثمرة ونصف الأرض من ذهب وورق واقتاب(٢) ثم أجلاهم . وحدثني عمرو الناقد ، قال حدثني الحجاج بن أبي منيع الرصافي ، عن أبيه عن أبي برقان ، أنَّ عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة خطب ، فقال : إن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ،

(١) الحشر : ٥٩ / ٦ .

(٢) الأقتاب : جمع القتب والقتب ، إكاف – رحل – البعير ، وقد يؤنث ، والتذكير أعم ، (اللسان : قتب) .

ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فسألته إياها فاطمة رحمها الله تعالى ، فقال : ما كان لك أن تسأليني ، وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل ، ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك، فصارت لي وللوليد وسليمان ، فلما ولي الوليد سألته حصته منها فوهبها لي ، وسألت سليمان حصته منها فوهبها لي فاستجمعتها وما كان لي من مال أحب إلي منها ، فاشهدوا أني قد رددتها إلى ما كانت عليه ، ولما كانت سنة عشر ومائتين أمر أمير المؤمنين المأمون(١) عبد الله بن هارون الرشيد — فدفعها إلى ولد فاطمة ، وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة : أما بعد ، فإنّ أمير المؤمنين بمكانه من دين الله . وخلافة رسوله

(١) الخليفة العباسي السابع : عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور : (١٧٠ — ٢١٨ هـ / ٧٨٦ — ٨٣٣ م) ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ ، كان واسع العلم ، محباً للعفو ، (الأعلام : ٤ / ١٤٢) .

صلى الله عليه وسلم والقرابة به أولى من استن سنته ، ونفذ أمره وسلم لمن منحه منحة ، وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته ، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدك وتصدق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لاختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه ، ولم تزل تدعى منه ما هو أولى به من صدق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ، ويسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى باقامة حقه وعدله ، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر باثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عماله ، فلئن كان ينادي في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه صلى الله عليه ، أن يذكر كل صدقة أو وهبة أو عدة ذلك فيقبل قوله وينفذ عدته ، أن فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن تصدق قولها فيما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولي أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، بحدودها ، وجميع حقوقها المنسوبة إليها ، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد ابن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين، وما ألهمه الله من طاعته ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم واعلمه من قبلك ، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري ، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله والسلام » وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة عشر ومائتين ، فلما استخلف المتوكل(١) على الله رحمه الله أمر بردها إلى ما كانت عليه قبل المأمون رحمه الله .

(١) المتوكل على الله : جعفر بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد : (٢٠٦ - ٢٤٧ هـ / ٨٢١ - ٨٦١ م) خليفة عباسي ، بويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، وكان جواداً ممدحاً محباً للعمران ، (الأعلام : ٢ / ١٢٧) .

أمر وادي القرى وتيماء

قالوا: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من خيبر وادي القُرى فدعى أهلها إلى الأسلام ، فامتنعوا من ذلك وقاتلوا ، ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموال أهلها ، وأصاب المسلمون منهم أثاثاً ومتاعاً ، فخمّس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وترك النخل والأرض في أيدي اليهود. وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر ، فقيل أن عمر أجلي يهودها وقسمها بين من قاتل عليها ، وقيل : أنه لم يجلهم لأنها خارجة من الحجاز وهي اليوم مضافة إلى عمل المدينة وأعراضها .

وأخبرني عدة من أهل العلم : أن رفاعة بن زيد الجذامي كان أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً

يقال له مدعم ، فلما كانت غزاة وادي القرى أصابه سهم غَرْب(١) وهو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يارسول الله هنيئاً لغلامك أصابه سهم فاستشهد فقال : كلا إن الشملة التي أخذها من المغانم(٢) يوم خَيْبَر لتشتعل عليه ناراً .

حدثنا شيبان بن فروخ ، قال : حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اسْتُشْهِدَ فتاك فلان ، فقال : إنه يُجَرُّ إلى النار في عَبَاءةٍ غَلَّها .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن عبد الله بن سفيان ، قال : وحدثنا حبيب بن الشهيد ، عن الحسن أنه قيل لرسول الله صلى الله

---

(١) أصابه سهم غرب وغرب إذا كان لا يدري من رماه ، وقيل : إذا أتاه من حيث لا يدري ، (اللسان : غرب) .

(٢) أخذها من المغانم دون حق ، قال صلى الله عليه وسلم حينما سمع : هنيئاً له الجنة : « كلا ، والذي نفس محمد بيده ، إن شملته الآن لتحترق عليه في النار ، كان غلها من فيء المسلمين يوم خيبر » .

عليه وسلم : هنيئاً لك ، استشهد فتاك فلان ؛ فقال : بل هو يجر إلى النار في عباءة غلها .

قالوا : ولما بلغ أهل تيماء ما وطيء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل وادي القرى ، صالحوه على الجزية ، فأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم ، وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد بن العاصي ابن أمية وادي القرى، وولى يزيد بن أبي سفيان بعد الفتح(١) ، وكان إسلامه يوم فتح تيماء ، وحدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن حكيم عن عمر بن عبد العزيز أنّ عمر بن الخطاب أجلى أهل فدك وتيماء وخيبر ، قال وكان قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل وادي القرى في جمادى الآخر سنة سبع .

---

(١) يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب ، الأموي ، أبو خالد : (ت : ١٨ ﻫ / ٦٣٩ م) ، أمير ، صحابي ، من رجالات بني أمية شجاعة وحزماً ، أسلم – على أرجح الاقوال – يوم فتح مكة ، ولاه عمر رضي الله عنه دمشق وخراجها ، له وقائع كثيرة وأثر محمود في فتوح البلاد الشامية توفي دمشق بالطاعون وهو على الولاية ، (الأعلام : ٨ /١٨٤) .

حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده ، قال : أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن النعمان بن هوذة العذري رمية سوطه من وادي القرى ، وكان سيد بني عذرة ، وهو أول أهل الحجاز قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة بني عذرة ، وحدثني محمد بن عبد الله مولي قريش عن العباس بن عامر عن عمه ، قال أتى عبد الملك بن مروان يزيد بن معاوية فقال ياأمير المؤمنين إن أمير المؤمنين معاوية كان ابتاع من بعض اليهود أرضاً بوادي القرى،وأحيا إليها أرضاً.وليست لك بذلك المال عناية ، فقد ضاع وقلّت غلته ، فأقطعنيه فانه لا خطر له ، فقال يزيد : إنا لا نبخل بكبير ، ولا نخدع عن صغير ، فقال ياأمير المؤمنين : غلته كذا ، قال : هو لك ، فلما ولي قال يزيد : هذا الذي يقال إنه يلي بعدنا . فان يكن ذلك حقاً فقد صانعناه وإن يكن باطلاً فقد وصلناه .

* * *



قالوا : لما قاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً عام الحديبية وكتب القضية على الهدنة(١) ، وأنه من أحبَّ أن يدخل في عهد محمد صلى الله عليه وسلم دخل ومن أحبَّ أن يدخل في عهد قريش دخل وأنه من أتى قريشاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه ، ومن أتاه منهم ومن حلفائهم ردَّه ، قام من كان من كنانة فقالوا : ندخل في عهد قريش ومدتها . وقامت خُزاعة فقالت : ندخل في عهد محمد وعقده ، وقد كان بين

(١) صلح الحديبية : ذي القعدة ٦ هـ .

عبد المطلب وخزاعة حلف قديم . فلذلك قال عمرو ابن سالم بن حَصِيرَة الخزاعي .

لاَهُــــمَّ إِنِّــي نَاشِدٌ مُحَمَّــــدا
حِلْــــفَ أبينا وَأبيــــهِ الأتْلَدا

ثمَّ إن رجلاً من خزاعة سمع رجلا من كنانة ينشدُ هجاءً في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثب عليه فشجّه . فهاج ذلك بينهم الشرَّ والقتال ، وأعانت قريش بني كنانة ، وخرج منهم رجال معهم فبيتوا خزاعة ، فكان ذلك مما نقضوا العهد والقضية ، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعي يستنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ذلك إلى غزو مكة. وحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة في حديث طويل ، قال : فهادنت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يأمن بعضهم بعضاً على الإغلال والإِسلال (١)

---

(١) الإسلال السرقة الخفية ، قال الجوهري : وهذا يحتمل الرشوة والسرقة جميعاً ، أما الإغلال : فهو الخيانة ، (اللسان : غلل) .

أو قال ارسال — فمن قدم مكة حاجاً أومعتمرا أو مجتازاً إلى اليمن والطائف فهو آمن ومن قدم المدينة من المشركين عامداً إلى الشام والمشرق فهو آمن ، قال : فادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده بني كعب ، وأدخلت قريش في عهدها حلفاءها من بني كنانة وحدثنا عبد الواحد ابن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن عكرمة أن بني بكر من كنانة كانوا في صلح قريش ، وكانت خزاعة في صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقتتلت بنو بكر وخزاعة بعرفة ، فامدت قريش بني بكر بالسلاح ، وسقوهم الماء وظللوهم ، فقال بعضهم لبعض : نكثتم العهد ، فقالوا : ما نكثنا ، والله ما قاتلنا إنما مددناهم وسقيناهم وظللناهم ، فقالوا لأبي سفيان بن حرب : انطلق فأجدّ الحلف وأصلح بين الناس ، فقدم أبو سفيان المدينة فلقي أبا بكر فقال له : يا أبا بكر أجدّ الحلف واصلح بين الناس ، فقال أبو بكر : الق عمر ، فلقي عمر ، فقال له : أجدّ الحلف واصلح بين الناس ، فقال عمر : قطع الله منه ما كان متصلاً ، وأبلى ما كان جديداً ، فقال أبو سفيان تالله

مارأيت شاهدَ عشيرة شراً منك ، فانطلق إلى فاطمة فقالت : الق علياً ، فلقيه فذكر له مثل ذلك ، فقال علي : أنت شيخ قريش وسيدها فأَجِدّ الحلف واصلح بين الناس ، فضرب أبو سفيان يمينه على شماله ، وقال : قد جددت الحلف وأصلحت بين الناس ، ثم انطلق حتى أتى مكة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أبا سفيان قد أقبل وسيرجع راضياً بغير قضاء حاجة ، فلما رجع إلى أهل مكة أخبرهم الخبر ، فقالوا تالله مارأينا أحمق منك ، ماجئتنا بحرب فنحذر ، ولا بسلم فنأمن ، وجاءت خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ما أصابهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني قد أُمِرْتُ باحدى القريتين مكة أو الطائف ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير ، فخرج في أصحابه وقال : « اللهم اضرب على آذانهم فلا يسمعوا حتى نبغتهم بغتة » وأغذّ المسير حتى نزل مَرَّ الظّهْران، وقد كانت قريش قالت لأبي سفيان : ارجع ، فلما بلغ مرّ الظهران ورأى النيران والأخبية ، قال : ماشأن

الناس ، كأنهم أهل عشيّة عَرَفَه ، وغشيته خيول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذوه أسيراً فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء عمر فأراد قتله (١) ، فمنعه العباس وأسلم ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما كان عند صلاة الصبح تحشحش(٢) الناس وضوءاً للصلاة ، فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : ماشأنهم يريدون قتلي ؟ قال : لا ولكنهم قاموا إلى الصلاة ، فلما دخلوا في صلاتهم رآهم إذا ركع رسول الله عليه وسلم ركعوا ، وإذا سجد سجدوا فقال : تالله مارأيت كاليوم طواعية قوم جاؤوا من ههنا وههنا . ولا فارس الكرام ، ولا الروم ذات القرون ، فقال العباس : يارسول الله

(١) قال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه ، فقال العباس : يا رسول الله قد أجرته ، (الكامل في التاريخ ٢ / ١٦٥ ، الطبري : ٣ / ٥٣) .

(٢) الحش والحش : المتوضأ ، سمي به لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين ، والحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، والحشحشة : الحركة ودخول بعض القوم في بعض والتحشش : التحرك للنهوض ، (اللسان : حشش) .

ابعثني إلى أهل مكة أدعهم إلى الإسلام ، فلما بعثه أرسل في أثره وقال : ردوا علي عمي لايقتله المشركون ، فأبى أن يرجع حتى أتى مكة ، فقال أي قوم اسلموا تسلموا أُتيتُم واستبطنتم بأشهب بازل (١) ، هذا خالد بأسفل مكة ، وهذا الزبير بأعلى مكة ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار وخزاعة ، فقالت قريش : وما خزاعة المجدّعة الأُنوف(٢)

وحدثنا عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أن قائل خزاعة ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم :

لاهُمّ(٣) إنّي ناشدٌ محمداً
حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا(٤)

(١) أي رميتم بأمر صعب شديد ، والبزلاء : الداهية العظيمة ، وأمر ذو بذل أي ذو شدة ، (اللسان : بذل) .
(٢) الجدع : القطع وقيل : هو القطع البائن في الأنف والأذن ، والشفة واليد ونحوها ، (اللسان : جدع) .
(٣) وورد : يا رب ، كما في السيرة الحلبية ٣ / ٨٣ .
(٤) الأتلدا : القديم ، يذكر بحلف خزاعة وعبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فانصُرْ هداكَ اللهُ نصراً أيّدا
وادْعُ عبادَ اللهِ يأتُوا مَدَدا

قال حماد : فحدثني علي بن زيد ، عن عكرمة أن خزاعة نادوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يغتسل فقال : لبيّكم ، وقال الواقدي وغيره ، تسلح قوم من قريش يوم الفتح ، وقالوا : لا يدخلها محمد إلا عنوة ، فقاتلهم خالد بن الوليد ، وكان أول من أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول ، فقتل أربعة وعشرين رجلاً من قريش ، وأربعة نفراً من هذيل ، ويقال : قتل يومئذ ثلاثة وعشرين رجلاً من قريش ، وانهزم الباقون فاعتصموا برؤوس الجبال وتوغلوا فيها ، واستشهد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كُرْز بن جابر الفهري ، وخالد الأشعر الكعبي ، وقال هشام بن الكلبي : هو حُبَيْش الأشعر بن خالد الكعبي من خزاعة .

وحدثنا شيبان بن أبي شيبة الأُبُلّي ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، قال : حدثنا ثابت البناني ، عن عبد الله بن ربّاح ، قال . وفدت وفود إلى معاوية وذلك في شهر رمضان ،

وكان بعضنا يصنع لبعض الطعام ، وكان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال : فصنعت لهم طعاماً ودعوتهم ، فقال : أبو هريرة ألا أعلّلكم بحديث من حديثكم معشر الأنصار ، ثمّ ذكر فتح مكة فقال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم مكة ، فبعث الزبير على إحدى المجنبتيْن ، وبعث خالد بن الوليد على الأُخرى ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح على الحُسّر ، فأخذوا بطن الوادي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته فرآني ، فقال : ياأبا هريرة ، قلت : لبيك يارسول الله.قال: نادِ الأنصار فلا يأت إلا أنصاري، قال: فناديتهم ،فاطافوا به.وجمعت قريش أوباشها وأتباعها وقالوا نقدّم هؤلاء ، فان أصابوا ظفراً كنا معهم ، وإن أُصيبوا أعطينا الذي يُسألُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أترون أوباش قريش ؟ قالوا : نعم ، فقال . (باحدى يديه على الأُخرى يُشير) : ان اقتلوهم ، ثمّ قال : وافوني بالصّفا ، قال فانطلقنا فما يشاء أحد أن أن يقتل أحداً إلا يقتله فجاء أبو سفيان ، فقال يارسول

أبيد (. خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، فقال بعض الأنصار لبعض ، أما الرجل فأدركته رغبة في قرابته ورأفة بعشيرته ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، وكان إذا جاءه لم يخف علينا ، فقال : يامعشر الأنصار قلتم كذا وكذا ، قالوا: قد كان ذلك يارسول الله ، قال : كلا إني عبد الله ورسوله ، هاجرتُ إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم ، فجعلوا يبكون ويقولون : والله ماقلنا الذي قلنا إلا للضنّ (١) برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأقبل الناس إلى دار أبي سفيان ، وأغلقوا أبوابها ، ووضعوا سلاحهم ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجر فاستلمه ، ثمّ طاف بالبيت ، وأتى على صنم كان إلى جنب الكعبة وفي يده قوس قد أخذ بسيها(٢) ،

(١) أي بخلا وشحاً أن يشاركنا فيه غيرنا ، (اللسان : ضنن) .

(٢) سيه القوس : طرف قابها ، وقيل : رأسها ، وقيل : ما اعوج من رأسها ، ما عطف من طرفيها ، ولها سيان ، (اللسان : سيا) .

فجعل يطعن في عين الصنم ويقول : (جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقا(١))، قال: فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاه حتى نظر إلى البيت ، ثم رفع يده يحمد الله ويدعو .

حدثنا محمد بن الصبّاح ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي حصين ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : لاتجهزن على جريح ، ولا يتبعن مدبر . ولا يقتلن أسير ، ومن أغلق بابه فهو آمن .

قال الواقدي : كانت غزوة الفتح في شهر رمضان سنة ثمان ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة إلى الفطر . ثم توجه لغزوة حُنَيْن . وولى مكة عتاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدم الأصنام ، ومحو الصور التي كانت في الكعبة ، وقال : اقتلوا ابن خطل ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، فقتله أبو برزة الأسلمي . قال أبو

---

(١) الإسراء : ١٧ / ٨١ .

اليقظان . واسم ابن خطل قيس(١) ، وقتله أبو شرياب الأنصاري ، وكان لابن خطل قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلت أحداهما وبقيت الأخرى حتى كسرت لها ضلع أيام عثمان فماتت ، وقتل نميلة ابن عبد الله الكناني مِقْيس بن صُبَابة الكناني ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر من وجده أن يقتله وذلك لأن أخاه هاشم بن صُبَابة بن حزن أسلم ، وشهد غزوة المريسيع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقتله رجل من الأنصار خطأ وهو يظنه مشركاً . فقدم مقيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى له بالدية على عاقلة القاتل ، فأخذها وأسلم ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله وهرب مرتداً ، وقال :

شَفَى النَّفْسَ أن قد باتَ بالقاع مُسْنَدا
يُضَرِّجُ ثَوبَيْه دِماءُ الأخادعِ

(١) ويقال : عبد الله بن خطل ، رجل من بني تميم بن غالب ، أسلم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم جابي صدقات ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له ، فغضب عليه غضبة فقتله ، ثم ارتد مشركاً ، وكان له قينتان ، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، (ابن هشام : ٤ / ٣٨ ، الطبري : ٣ / ٥٨) .

ثـأرتُ بـه قهـراً وحمّلت عقلَه
سَراةَ بنـي النّجّـار أربابَ فارعِ
حللْتُ به وِتْري وأدركت ثُؤرتي
وكنـتُ عـن الإسـلامِ أوّلَ راجـعِ

وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحويرث بن نُقَيذ بن بُجَير بن عبد بن قصي ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يقتله من وجده . وحدثني بكر بن الهثيم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الكلبي ، قال : جاءت قينة لهلال بن عبد الله ، وهو ابن خَطَل الأدرمي من بني تيم إلى النبي صلى الله عليه وسلم متنكرة ، فاسلمت وبايعت وهو لا يعرفها ، فلم يعرض لها ، وقتلت قينة له أُخرى ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأسلم ابن الزِّعبري السّهمي قبل أن يُقدر عليه ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد أباح دمه يوم الفتح ولم يعرض له .

حدثنا محمد بن الصبّاح البزار ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا خالد الحذّاء عن القاسم بن ربيعة ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم مكة فقال : « الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر جنده ، وهزم الأحزاب وحده ألا إنّ مأثرة كانت في الجاهلية ، وكل دم ودعوى موضوعة تحت قدمي ، إلاسدانة البيت ، وسقاية الحاج » .

وحدثنا خلف البزار ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أشياخه ، قالوا : « لما كان يوم فتح مكة قال النبي صلى الله عليه وسلم لقريش ما تظنون ، قالوا : نظن خيراً ، ونقول خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . وقد قدرت ، قال : فاني أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام : (لا تَثْرِيبَ(١) عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين(٢)) ألا كل دَيْن ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي إلاسدانة البيت ، وسقاية الحاج » .

---

(١) التثريب : كالتأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم ، (اللسان : ثرب) .

(٢) يوسف : ١٢ / ٩٢ .

حدثنا شيبان ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، قال حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته « ألا إن مكة حرام ما بين أخشبيها(١) لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، لا يختلى خلاها ولا تعضد عضاهها(٢) . ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا أن يُعَرَّف — أو يُعْرف — فقال العباس رحمة الله إلا الإذْخِر(٣) فانه لصاغتنا وقيوننا وطهور بيوتنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : إلا الإذخر » .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : حدثنا جرير ابن عبد الحميد عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لايختلي خلا مكة . ولا يعضد شجرها ، فقال العباس : إلا الإذخر فانه للقيون وطهور البيوت فرخص في ذلك » .

---

(١) لأخشبان : جبلا مكة ، أبو قبيس ، والأحمر ، والأخشب كل جبل خشن غليظ ، (اللسان خشب) .

(٢) أي لا يقطع شجرها .

(٣) الإذخر : شجرة صغيرة ، (اللسان : ذخر) .

حدثنا شيبان ، قال : حدثنا أبو هلال الراسبي عن الحسن ، قال . أراد عمر أن يأخذ كنز الكعبة فينفقه في سبيل الله ، فقال له أُبَيّ بن كعب الأنصاري ، ياأمير المؤمنين قد سبقك صاحباك ، ولو كان هذا فضلاً لفعلاه.

وحدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مكة حرام لايحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها » .

حدثنا محمد بن حاتم المروزي ، قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن يوسف بن ماهك عن أبيه عن عائشة قالت : قلت يارسول الله ، ابْنِ لك بناءً يظللك من الشمس بمكة ، فقال : « إنما هي مُناخ(١) من سبق » .

حدثنا خلف بن هشام البزّار ، حدثنا إسماعيل عن ابن جريج ، قال : قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز ينهي عن كراء بيوت مكة . حدثنا أبو عبيد حدثنا

---

(١) المناخ : الموضع الذي تناخ فيه الإبل ، والنوخة : الإقامة ، (اللسان : نوخ) .

إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر ، قال : الحرم كلّه مسجد .

حدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير مكة أن لا تدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجراً فانّه لا يحل لهم .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، قال . حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن سابط في قوله : ﴿ سَوَاءً العَاكِفُ فيه وَالبَاد (١)﴾ ، قال : البادي من يخرج من الحجّاج والمعتمرين ، هم سواء في المنازل ، ينزلون حيث شاؤوا ، غير ألا يخرج أحد من بيته .

حدثنا عثمان ، قال حدثنا جرير ، عن منصور عن مجاهد في هذه الآية ، قال : أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء . وحدثنا عثمان وعمرو ، قالا : حدثنا وكيع عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد أن عمر بن الخطاب ، قال لأهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبواباً لينزل البادي

(١) الحج : ٢٢ / ٢٥ .

حيث شاء . وحدثنا عثمان بن أبي شيبة ، وبكر بن الهيثم ، قالا : حدثنا يحيى بن ضَريس الرازي عن سفيان ، عن أبي حصين قال قلت لسعيد بن جبير وهو بمكة : إني أريد أن أعتكف ، فقال : أنت عاكف ثم قرأ : (سَوَاءً العاكفُ فيه وَالباد) .

حدثنا عثمان ، قال : حدثنا حفص بن غياث عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله (سَوَاءً العاكفُ فيه وَالبَاد) قال : خلق الله فيه سواء أهل مكة وغيرها ، وحدثني محمد بن سعيد عن الواقدي ، قال . كان يتخاصم إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في أجور الدور بمكة فيقضي بها على من اكتراها ، وهو قول مالك وابن أبي ذئب ، قال : وقال ربيعة ، وأبو الزناد ، لا بأس بأكل كراء بيوت مكة وبيع رباعها ، وقال الواقدي ، رأيت ابن أبي ذئب يأتيه كراء داره بمكة بين الصّفا والمروة ، وقال الليث بن سعيد ما كان من دار فآجرها طيب لصاحبها ، فأمّا القاعات ، والسكاك ، والأفنية والخرابات ، فمن سبق نزل ذلك بغير كراء ، وأخبرني عبد الرحمن الأودي عن الشافعي بمثل ذلك ؛ وقال سفيان

ابن سعيد الثوري ، كراء بيوت مكة حرام ، وكان يشدد في ذلك . وقال الأوزاعي وابن أبي ليلى . وأبو حنيفة أن كراها في ليالي الحج فالكراء باطل ، وإن كان في غير ليالي الحج ، وكان المكتري مجاوراً أو غير ذلك فلا بأس ، وقال بعض أصحاب أبي يوسف كراؤها حلٌ طلق ، وإنما يستوي العاكف والبادي في الطواف بالبيت .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، قال حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن الحسن بن صالح عن العلاء بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، أنه كان لا يرى ببقل مكة ، ولا بالزرع الذي يزرع فيها ، ولا بشيء مما أنبته الناس بها من شجر أو نخل بأساً أن تقطعه وتأكله وتصنع فيه ماشئت ، قال وإنما كره ما أنبتت الأرض بمكة من شجر وغيره مما لم يعمله الناس إلا الإذخر ، قال الحسن بن صالح . وقد رخص في الشجر البالي الذي قد يبس وتكسر . وقال محمد بن عمر الواقدي . قال ما لك ، وابن أبي ذئب في محرم أو حلال قطع شجراً من الحرم أنه قد أساء.

فان كان جاهلاً علم ولا شيء عليه . وإن كان عالماً خالعاً عوقب ولا قيمة عليه . ومن قطع من ذلك شيئاً فلا بأس أن ينتفع به . قال وقال سفيان الثوري وأبو يوسف : عليه في الشجرة لقطعها قيمة ولا ينتفع بذلك . وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك بن أنس . وابن أبي ذئب : لا بأس بالضغابيس(١) وأطراف السنا . تؤخذ من الحرم للدواء والسِّواك . وقال سفيان بن سعيد ، وأبو حنيفة وأبو يوسف : كل شيء أنبته الناس في الحرم أو كان مما ينبتون فلا شيء على قاطعه . وكل شيء مما لا ينبته الناس فعلى قاطعه قيمته ، وقال الواقدي : سألت الثوري، وأبا يوسف عن رجل أنبت في الحرم مالا ينبته الناس ، فقام عليه حتى نبت له، أله أن يقطعه ، قالا : نعم ، قلت : فان نبتت في بستانه شجرة مما لا ينبت الناس من غير أن يكون أنبتها ، قالا يصنع بها ما شاء .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، قال : روى لنا أن ابن عمر كان يأكل بمكة بقلاً زُرع في الحرم ،

---

(١) الضغابيس : القثاء الصغار ، وقيل : شبيه به يؤكل ، واحدتها : ضغبوس ، (اللسان : ضغبس) .

وحدثني محمد بن سعد ، قال حدثني الواقدي ، عن معاذ بن محمد ، قال : رأيت على مائدة الزهري بقلاً من الحرم ، قال أبو حنيفة : لا يُرعي الرجل المحرم بعيره في الحرم ولا يحتش له ، وهو قول زُفَر ، وقال مالك وابن أبي ذئب ، وسفيان ، وأبو يوسف ، وابن أبي سبرة . لا بأس بالرعي ولا يحتش ، وقال ابن أبي ليلى لا بأس بأن يحتش.

وحدثني عفان ، والعباس بن الوليد النّرسي ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : حدثنا ليث ، قال كان عطاء لا يرى بأساً ببقل الحرم وما زرع فيه وبالقضيب والسواك ، قال وكان مجاهد يكرهه ، قال : ولم يكن للمسجد الحرام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر جدار يحيط به ، فلما استخلف عمر بن الخطاب وكثر الناس ، وسّع المسجد واشترى دوراً فهدمها وزادها فيه ، وهدم على قوم من جيران المسجد أبوا أن يبيعوا ووضع لهم الأثمان حتى أخذوها بعد ، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة . فكانت المصابيح توضع عليه . فلما استخلف عثمان بن عفان ابتاع منازل وسع المسجد بها وأخذ منازل أقوام ووضع لهم الأثمان

فضجُّوا به عند البيت ، فقال : إنما جرّأكم علي حلمي عنكم وليني لكم لقد فعل بكم عمر مثل هذا فأقررتم ورضيتم ، ثم أمر بهـم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص فخلّى سبيلهم .

ويقال : إنّ عثمان أول من اتخذ للمسجد الأروقة، واتخذها حين وسّعه ، قالوا : وكان باب الكعبة على عهد إبراهيم عليه السلام وجرهم والعماليق بالأرض حتى بنته قريش ، فقال أبو حذيفة بن المغيرة : ياقوم ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا بسُلّم فانه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم ، فان جاء أحدٌ ممن تكرهون رميتم به فسقط فكان نكالاً لمن وراءه ، فعملت قريش بذلك .

قال : ولما تحصن عبد الله بن الزبير بن العوام في المسجد الحرام واستعاذ به — والحصين بن نمير السكوني إذ ذاك يقاتله في أهل الشّام — أخذ ذات يوم رجل من أصحابه ناراً على ليفة في رأس رمح ، وكانت الريح عاصفاً ، فطارت شرارة فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتها. فتصدعت حيطانها واسودّت ، وذلك في سنة أربع وستين

حتى إذا مات يزيد بن معاوية ، وانصرف الحصين بن نمير إلى الشام . أمر ابن الزبير بما في المسجد من الحجارة التي رمى بها فأخرج ، ثم هدم الكعبة وبناها على أساسها وأدخل الحجر فيها ، وجعل لها بابين موضوعين بالأرض شرقياً وغربياً يدخل من واحد ويخرج من الآخر ، وكان قد وجد أساس الكعبة متصلاً بالحجر ، وإنما التمس إعادتها إلى بناء إبراهيم عليه السلام على ما كانت عائشة أم المؤمنين أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل على بابها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من ذهب ، فلما حاربه الحجاج بن يوسف من قبل عبد الملك بن مروان وقتله ، كتب إليه عبد الملك يأمره ببناء الكعبة والمسجد الحرام ، وقد كانت الحجارة حلحلت الكعبة ، فهدمها الحجاج ، وبناها فردها إلى بناء قريش ، وأخرج الحجر ، فكان عبد الملك يقول بعد ذلك : وددت أني كنت حملت ابن الزبير أمر الكعبة وبناءها ما تحمل .

قالوا : وكانت كسوة الكعبة في الجاهلية الانطاع والمغافر(١) فكساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب

(١) النطع : الأدم ، الجلد ، والمغفر : زرد ينسج من الدروع من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .

اليمانية ، ثم كساها عمر وعثمان رضي الله عنهما القُباطي(١) ، ثم كساها يزيد بن معاوية الديباج الخسر واني ، وكساها ابن الزبير والحجاج بعده الديباج ، وكساها بنو أمية في بعض أيامهم الحلل التي كان أهل نجران يؤدونها. وأخذوهم بتجريدها وفوقها الديباج ، ثم إن الوليد بن عبد الملك وسع المسجد الحرام . وحمل إليه عمد الحجارة والرخام والفيسفساء ، قال الواقدي : فلما كانت خلافة أمير المؤمنين المنصور رحمه الله . زاد في المسجد ، وبناه ، وذلك في سنة تسع وثلاثين ومائة . وقال علي بن محمد ابن عبد الله المدائني ، ولي المهدي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس مكة والمدينة واليمامة فوسع مسجدَيْ مكة والمدينة وبناهما ، وقد جدد أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن أبي إسحاق المعتصم بالله بن الرشيد هارون ابن المهدي رضوان الله عليهم رخام الكعبة وأزرها بفضة ، وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب ، ولم يفعل ذلك أحد قبله وكسا أساطينها الديباج .

(١) القبطية : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر ، وهي منسوبة إلى القبط على غير قياس ، والجمع قباطي وقباطي ، (اللسان : قبط) .

الطّائفُ

قال لما هزمت هوازن يوم حنين ، وقتل دريد بن الصمّة . أتى فلهم أوْطاس(١) ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الأشعري فقُتِل ، فقام بأمر الناس أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، وأقبل المسلمون إلى أوطاس ، فلما رأى ذلك مالك بن عوف بن سعد أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وكان رئيس هوازن يومئذ ، هرب إلى الطائف فوجد أهلها مستعدين للحصار ، قد رَمّوا حصنهم وجمعوا فيه الميرة ، فأقام بها ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين حتى نزل الطّائف ، فرمتهم ثقيف بالحجارة والنبل ، ونصب رسول الله صلى الله عليه وسلم منجنيقاً

(١) الفل : المنهزمون ، وأوطاس : واد بين مكة والطائف .

على حصنهم ، وكانت مع المسلمين دبابة(١) من جلود البقر فألقت عليها ثقيف سكك الحديد المحماة فأحرقتها فأصيب مَنْ تحتها من المسلمين ، وكان حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف خمس عشرة ليلة ، وكان غزوه إياها في شوال سنة ثمان قالوا : ونزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق من رقيق أهل الطائف ، منهم أبو بكر بن مسروح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه نفيع ، ومنهم الأزرق الذي نسبت الأزارقة إليه .كان عبداً رومياً حداداً وهو أبو نافع بن الأزرق الخارجي فاعتقوا بنزولهم ويقال أن نافع بن الأزرق الخارجي من بني حنيفة . وإن الأزرق الذي نزل من الطائف غيره . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إلى الجعرانة ليقسم سبي أهل حنين وغنائمهم ، فخافت ثقيف أن يعود إليهم فبعثوا إليه وفدهم فصالحهم على أن يسلموا ويقرهم على مافي أيديهم من أموالهم وركازهم(٢) . واشترط عليهم أن لا يرابوا . ولا

(١) الدبابة : التي تتخذ للحروب ، يدخل فيها الرجال ، ثم تدفع في أصل حصن فينقبون وهم في جوفها ، سميت بذلك لأنها تدفع فتدب ، (اللسان : دبب) .

(٢) الركاز : قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن ، (اللسان : ركز) .

يشربوا الخمر ، وكانوا أصحاب ربا وكتب لهم كتابا قال : وكانت الطائف تسمى وَج . فلما حصنت وبُني سورها سميت الطائف .

حدثني المدائني ، عن أبي إسماعيل الطائفي ، عن أبيه. عن أشياخ من أهل الطائف . قال : كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فأقاموا بها للتجارة ، فوضعت عليهم الجزية . ومن بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف . قالوا : وكانت للعباس بن عبد المطلب رحمه الله أرض بالطائف . وكان الزبيب يحمل منها فينبذ في السقاية للحاج ، وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها ، فلما فتحت مكة وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها . حتى إذا فتحت الطائف أقِرّت في أيدي المكيّين ، وصارت أرض الطائف مخلافاً من مخاليف مكة ، قالوا : وفي يوم الطائف أصيبت عين أبي سفيان بن حرب .

حدثنا الوليد بن صالح . قال حدثنا الواقدي ، عن محمد ابن عبد الله ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن عتاب

ابن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تخرص(١) أعناب ثقيف كخرص النخل . ثم يأخذ زكاتهم زبيباً كما تؤدي زكاة النخل ، قال الواقدي ، قال أبو حنيفة لا يخرص . ولكنه إذا وضع بالأرض أخذت الصدقة من قليله وكثيره ، وقال يعقوب إذا وضع بالأرض فبلغت مكيلته خمسة أوسق ففيه الزكاة العشر ، أو نصف العشر . وهو قول سفيان بن سعيد الثوري . والوسق ستون صاعاً . وقال مالك بن أنس . وابن أبي ذئب : السنّة أن تؤخذ منه الزكاة على الخرص ، كما يؤخذ التمر من النخل .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة . قال حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا يحيى بن سعيد . عن عمرو بن شعيب أن عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على الطائف كتب إليه أنّ أصحاب العسل لا يرفعون إلينا ما كانوا يرفعون

(١) الخرص : التقدير بظن ، والخرص : حزر ما على النخل من الرطب تمراً ، وقد خرصت النخل والكرم أخرصته خرصاً إذا حزر ما عليها من الرطب تمراً ، ومن العنب زبيباً ، وهو من الظن لأن الحزر إنما هو تقدير بظن ، (اللسان : خرص) .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من كل عشرة زقاق زق(١) ، فكتب إليه عمر إن فعاوا فأحموا لهم أوديتهم وإلا فلا تحموها . حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن أبيه ، عن جده ، عن عمر أنه جعل في العسل العشر .

حدثنا داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن مروان ابن شجاع عن خصف عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عماله على مكة والطائف : أن في الخلايا صدقة فخذوها منها ، قال : والخلايا الكوائر ، وقال الواقدي : وروي عن ابن عمر أنه قال ليس في الخلايا صدقة ؛ وقال مالك والثوري : لا زكاة في العسل وإن كثر ، وهو قول الشافعي ، وقال أبو حنيفة في قليل العسل وكثيره إذا كان في أرض العشر ، العشر ، وإذا كان في أرض الخراج فلا شيء عليه ، لأنه لا يجتمع الزكاة والخراج

---

(١) الزق : من الجلد ، كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه ، (اللسان : زقق) .

على رجل ، وقال الواقدي : أخبرني القاسم بن معن ، ويعقوب ، عن أبي حنفية أنّه قال في العسل يكون في أرض ذمي وهي من أرض العشر أنه لا عشر عليه فيه وعلى أرضه الخراج ، وإذا كان في أرض تغلبي أخذ منه الخمس ، وقول زُفَر مثل قول أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف : إذا كان العسل في أرض الخراج فلا شيء فيه ، وإذا كان في أرض العشر ففي كل عشرة أرطال رطل ، وقال محمد بن الحسن ليس فيما دون خمسة أفراق صدقة ، وهو قول ابن أبي ذئب .

وروى خالد بن عبد الله الطحان عن ابن أبي ليلى أنه قال : إذا كان في أرض الخراج أو العُشر ففي كل عشرة أرطال رطل ، وهو قول الحسن بن صالح بن حي . وحدثني أبو عبيد ، قال : حدثنا محمد ابن كثير عن الأوزاعي ، عن الزهري ، قال : في كل عشرة زقاق زق ، وحدثنا . الحسين بن علي بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن حميد الرقاشي عن جعفر بن نجيح المديني ، عن بشر

ابن عاصم ، وعثمان بن عبد الله بن أوس ، أن سفيان بن عبد الله الثقفي كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عاملاً له على الطائف يذكر إن قبله حيطاناً فيها كروم وفيها من الفِرْسِك(١) والرمان ، وما هو أكثر غلّة من الكروم أضعافاً ، واستأمره في العشر ، فقال فكتب إليه عمر : ليس عليها عشر .

قال يحيى بن آدم ، وهو قول سفيان بن سعيد ، سمعته يقول ليس فيما أخرجت الأرض صدقة إلا أربعة أشياء : الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، إذا بلغ كل واحد من ذلك خمسة أوسق ، قال : وقال أبو حنيفة فيما أخرجت أرض العشر العشر ولو دستجة بقل(٢) ، وهو قول زُفَر ، وقال مالك ، وابن أبي ذئب ويعقوب . ليس في البقول وما أشبهها صدقة ، وقالوا ليس فيما دون خمسة أوسق من الحنطة والشعير ، والذرة ،

(١) الفرسك : الخوخ ، وقيل : هو مثل الخوخ في القدر ، (اللسان : فرسك) .

(٢) الدستجة : الحزمة ، فارسي معرب ، (اللسان ، هامش دسج) .

والسُّلت(١) ، والزوان ، والتمر والزبيب ، والأرز ، والسمسم ، والجلجان ، وأنواع الحبوب التي تكال وتدخر مع العدس ، واللوبيا : والحمص ، والماش(٢) ، والدُّخن صدقة ، فاذا بلغت خمسة أوسق ففيها صدقة ، قال الواقدي ، وهذا قول ربيعة بن أبي عبد الرحمن وقال الزهري . التوابل والقطاني كلها تزكّي ، وقال مالك: لا شيء في الكمثري والفرسك . وهو الخوخ . ولا في الرُّمان وسائر أصناف الفواكه الرطبة من صدقة . وهو قول ابن أبي ليلى . قال أبو يوسف : ليس الصدقة إلا فيما وقع عليه القفيز(٣) . وجرى عليه الكيل . وقال أبو الزناد . وابن أبي ذئب . وابن أبي سبرة لاشيء في الخضر والفواكه من صدقة ، ولكن الصدقة في أثمانها ساعة تباع . وحدثني عباس بن هشام . عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عثمان بن أبي العاصي الثقفي على الطائف .

---

(١) السلت : ضرب من الشعير ، وقيل : هو الشعير بعينه ، (اللسان : سلت) .

(٢) في اللسان (الماش) : حب ، وهو معرب أو مولد .

(٣) القفيز من المكاييل ، وهو من الأرض قدر مائة وأربع وأربعين ذراعاً ، (اللسان : قفز) .

اليمن

قالوا : لما بلغ أهل اليمن ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلو حقه أتته وفودهم . فكتب لهم كتاباً باقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم ، وأرضيهم ، وركازهم(١) ، فأسلموا ووجه إليهم رسله وعماله ، لتعريفهم شرائع الإسلام وسننه . وقبض صدقاتهم . وجزرؤوس من أقام على النصرانية واليهودية والمجوسية منهم .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع بن الجراح ، قال : حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري ، عن

(١) الركاز : قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن ، وفي الحديث : وفي الركاز الخمس ، والركاز : المال المدفون خاصة مما كنز بنو آدم قبل الإسلام ، (اللسان : ركز) .

الحسن ، قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن : من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا . وأكل ذبيحتنا . فذلكم المسلم له ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن أبى فعليه الجزية . وحدثني هدبة ، قال : حدثنا يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن بمثله ، قال الواقدي : وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص أميراً إلى صنعاء وأرضها قال؛ وقال : ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبي أميّة ابن المغيرة المخزومي صنعاء فقُبِضَ وهو عليها ، ، قال وقال آخرون إنما ولى المهاجر صنعاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وولى خالد بن سعيد مخاليف أعلى اليمن.

وقال هشام بن الكلبي ، والهيثم بن عدي : ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر كندة والصَّدِف(١). فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتب أبو

(١) الصدف : قبيلة من عرب اليمن .

بكر إلى زياد بن لبيد البياضي من الأنصار بولاية كندة والصدف إلى ما كان يتولى من حضر موت . وولى المهاجر صنعاء ثم كتب إليه بانجاد زياد بن لبيد . ولم يعزله عن صنعاء .

وأجمعوا جميعاً : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولّى زياد بن لبيد حضر موت . قالوا وولى النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري زبيد ورِمَع(١)وعدن والساحل : وولى معاذ بن جبل الجند وصير إليه القضاء وقبض جميع الصدقات باليمن . وولى نجران عمرو بن حزم الأنصاري ، ويقال : إنه ولّى أبا سفيان بن حرب نجران بعد عمرو بن حزم .

وأخبرني عبد الله بن صالح المقرئ ، قال : حدثني الثقة ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى ذرعة بن ذي يزن :

(١) رمع : موضع من بلاد علك باليمن .

« أما بعد ، فاذا أتاكم رسولي معاذ بن جبل(١) وأصحابه فاجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية فأبلغوه ذلك ، فان أمير رسلي معاذ وهو من صالحي من قبلي ، وأن مالك بن مرارة الرهاوي حدثني أنك قد استلمت أول حِمْيَر ، وفارقت المشركين ، فابشر بخير ، وأنا آمركم يامعشر حمير ألا تخونوا ، ولا تحادوا فان رسول الله مولى غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآله ، إنما هي زكاة تزكون بها : هي لفقراء المسلمين والمؤمنين ، وأن مالكاً قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وأن معاذاً من صالحي أهلي وذوي دينهم ، فآمركم به خيراً فانه منظور إليه والسلام » .

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الرحمن : (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ = ٦٠٣ - ٦٣٩ م) ، صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، أرسله صلى الله عليه وسلم قاضياً ومرشداً لأهل اليمن ، عاد إلى المدينة زمن الصديق ، ثم سار مع أبي عبيدة بن الجراح لفتح الشام ، ولما أصيب أبو عبيدة في الطاعون عمواس ، استخلف معاذاً ، وأقره عمر ، فمات في ذلك العام ، له ١٥٧ حديثاً ، (الأعلام : ٧ / ٢٥٨) .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال حدثني بن آدم ، قال : حدثنا يزيد بن عبد العزيز ، عن عمرو بن عثمان بن موهب ، قال : سمعت موسى بن طلحة يقول : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل على صدقات اليمن ، وأمره أن يأخذ من النّخل والحنطة والشعير والعنب ، أو قال الزبيب العشر ونصف العشر . وحدثني الحسين ، قال حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا زياد عن محمد ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾(١) : عهد من محمد النبي رسوله الله ، لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، وأن يأخذ من المغانم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقى البعل وسقت السماء ، ونصف

(١) المائدة : ٥ / ١ .

العشر مما سقى الغَرْبُ(١) . وحدثني الحسين ، قال : حدثني ابن آدم ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك حِمْيَر .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله ، إلى الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، وشرح بن كلال ، وإلى النعمان قَيْل(٢) ذي رعين ، ومعافر وهمدان ، أما بعد فان الله قد هداكم بهدايته ، أن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة ، وأتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خمس الله . وسهم النبي وصفيه ، وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء وما سقى بالغَرْب نصف العشر . وقال هشام بن محمد الكلبي كان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عريب ، والحارث

---

(١) الغرب : الراوية التي يحمل عليها الماء ، وهو الدلو الكبير الذي يستقى به على السانية ، (اللسان : غرب) .

(٢) القيل : الملك من ملوك حمير ، يتقيل من قبله من ملوكهم يشبهه ، وجمعه : أقيال وقيول ، (اللسان : قيل) .

ابنى عبد كلال بن عريب بن ليشرح . وحدثنا يوسف ابن موسى القطان ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد قال : حدثنا منصور عن الحكم ، قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وهو باليمن أن فيما سقت السماء أو سقى غيلا العشر ، وفيما سقي بالغَرْب والدالية نصف العشر ، وإن على كل حالم دينارا أو عدل ذلك من المعافر ، وإن لا يفتن يهودي عن يهوديته ، قالوا الغيل السيح : والغَرْب الدلو يعني ماسقي بالسواني ، والدوالي . والغرافات ، والبعل السيح أيضاً : والمعافر ثياب لهم .

حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا مروان بن معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي وائل عن مسروق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً(١) ، ومن كل أربعين

(١) التبيع : الفحل من ولد البقر لأنه يتبع أمه ، وقيل : هو تبيع أول سنة ، (اللسان : تبع) .

مُسِنّة(١) ، ومن كل حالم ديناراً أو عدل ذلك من المعافر .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثني شيبان البرجمي ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس(٢) هَجَر ، ومجوس أهل اليمن ، وفرض على كل من بلغ الحلم من مجوس اليمن من رجل أو امرأة ديناراً أو قيمته من المعافر .

حدثنا عمرو الناقد ، عن عبد الله بن وهب ، عن مسلمة ابن علي ، عن المثنى بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض الجزية على كل محتلم من أهل اليمن ديناراً .

---

(١) أسن إذا نبتت سنه التي يصير بها مسناً من الدواب ، والبقرة والشاة يقع عليهما اسم المسن إذا أثنتا ، فإذا سقطت ثنيتهما بعد طلوعها فقد أسنت ، وليس معنى إسنانها كبرها كالرجل ، ولكن معناه طلوع ثنيتها ، وتثني البقرة في السنة الثالثة ، (اللسان : سنن) .

(٢) المجوسية : نحلة ، والمجوسي منسوب إليها ، والجمع المجوس ، يعبدون النار ، واتخذت المجوسية الزراد شتية ديانة رسمية ، وكتابها الديني (الأفستا) فيه ثنائية (إله النور ، وإله الظلام) .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الإبلي ، قال : حدثنا قزعة ابن سويد الباهلي، قال : سمعت زكريا بن إسحاق يحدث عن يحيى بن صيفي ، أو أبي معبد « عن ابن عباس ، قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن قال : أما أنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فقل لهم . إنّ الله فرض عليكم في اليوم والليلة خمس صلوات ، فان أطاعوك فقل : إن الله فرض عليكم في السنة صوم شهر رمضان ، فان أطاعوك فقل : إنّ الله فرض عليكم حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، فان أطاعوك فقل : إن الله قد فرض عليكم في أموالكم صدقة تؤخذ من أغنيائكم فترد في فقرائكم ، فان أطاعوك فاياك وكرائم أموالهم . وإياك ودعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب ولا ستر » .

حدثنا شيبان ، قال : حدثنا حماد بن مسلمة . قال : حدثنا الحجاج بن أرطاة . عن عثمان بن عبد الله . أن المغيرة بن عبد الله قال : قال الحجاج صدقوا كل خضراء فقال أبو بردة بن أبي موسى : صدق . فقال موسى بن طلحة لأبي بردة : هذا الآن يزعم أن أباه كان من

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن فأمره أن يأخذ الصدقة من التمر والبر والشعير والزبيب . وحدثني عمرو الناقد . قال : حدثنا وكيع عن عمرو بن عثمان . عن موسى بن طلحة بن عبيد الله . قال : قرأت كتاب معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فكان فيه ، أن تؤخذ الصدقة من الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والذرة .

حدثنا علي بن عبد الله المديني ، قال : حدثنا سفيان ابن عيينة عن ابن أبي نجيح ، قال: سألت مجاهداً لم وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أهل الشام من الجزية أكثر مما وضع على أهل اليمن ، فقال لليسار . حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، قال حدثنا وكيع عن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس ، قال : لما أتى معاذ اليمن أتى بأوقاص البقر(١) ، والعسل ، فقال لم أومر في هذا بشيء .

(١) يعني ببقر أخذت في الصدقة ، ما بين الفريضتين ، (اللسان : وقص) .

وحدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن دم ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن يحيى ابن قيس المازني عن رجل عن أبيض بن حمال إنّه استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الملح الّذي بمأرب ، فقال رجل إنه كالماء العِد(١) ، فأبى أن يقطعه إياه . وحدثني القاسم بن سلام وغيره عن اسماعيل بن عياش عن عمرو بن يحيى بن قيس المازني عن أبيه عمن حدثه عن أبيض بن حمال بمثله . وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسي ، قال حدثنا شعبة عن سماك عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطعه أرضا بحضر موت . وحدثني علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف ، مولى قريش ، عن مسلمة بن محارب ، قال : لما ولي محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف اليمن ، أساء السِّيرة ، وظلم الرعية ، وأخذ أراضي الناس بغير حقها ، فكان مما اغتصبه الحرجة ، قال : وضرب على أهل اليمن خراجاً

(١) العد : الكثرة (اللسان : عدو) . ، ولعل الصواب : إنه كالماء العذب .

جعله وظيفة عليهم ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بالغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر، وقال : والله لأن لا تأتيني من اليمين حفنة كَتم(١) أحب إلي من إقرار هذه الوظيفة ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك أمر بردّها .

حدثني الحسن بن محمد الزعفراني عن الشافعي عن أبي عبد الرحمن هشام بن يوسف قاضي صنعاء ، أن أهل خُفّاش أخرجوا كتاباً من أبي بكر الصديق رضى الله عنه في قطعة أديم يأمرهم فيه أن يؤدوا صدقة الورس (٢)، مالك ، وابن أبي ذئب ، وجميع أهل الحجاز من الفقهاء، وسفيان الثوري ، وأبو يوسف : لا زكاة في الورس ، والوسمة (٣) ، والقرط(٤) ، والكتم ، والحناء ، والورد، وقال أبو حنيفة : في قليل ذلك وكثيره الزكاة ، وقال

(١) الكتم : نبات ورقه كورق الآس ، يخضب به مدقوقاً .
(٢) الورس : نبات أصفر يزرع باليمن ، ويصبغ به .
(٣) الوسمة والوسمة : ورق النيل ، أو نبات يخضب بورقه .
(٤) القرط : نوع من الكراث يعرف بكراث المائدة .

مالك في الزّعفران : إذا بلغ ثمنه مائتي درهم وبيع خمسة دراهم ، وهو قول أبي الزناد ، وروي عنه أيضاً أنه قال : لاشيْ في الزغفران ، وقال أبو حنيفة وزفر في قليله وكثيره الزكاة ، وقال أبو يوسف ومحمد بن الحسن . إذا بلغ ثمنه أدنى ثمن خمسة أوسق تمر أو حنطة أو شعير أو ذرة أو صنف من أصناف الحبوب ففيه الصّدقة ، وقال ابن أبي ليلى ليس في الخضر شيء ، وهو قول الشعبي ، وقال عطاء ، وإبراهيم النخّعي : فيما أُخرجت أرض العشر من قليل وكثير العشر ، أو نصف العشر .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن سعيد بن سالم ، عن الصلت بن دينار ، عن ابن أبي رجاء العطاردي ، قال : كان ابن عباس بالبصرة يأخذ صدقاتنا حتى دساتج(١) الكراث . وحدثنا الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا ابن المبارك . عن معمر ، عن طاوس ، وعكرمة أنهما قالا : ليس في

(١) الدستجة : الحزمة (فارسي معرب) .

الورس والعطب — وهو القطن — زكاة وقال أبو حنيفة وبشر في الذمة يملكون الأرضين من أراضي العشر ، مثل اليمن التي أسلم عليها أهلها . والبصرة التي أحياها المسلمون ، وما أقطعته الخلفاء من القطائع التي لاحق فيها لمسلم ولا معاهد أنهم يلزمون الجزية في رقابهم ، ويوضع الخراج على أرضهم بقدر احتمالها ، ويكون مجرى ما يجتبى منهم مجرى مال الخراج ، فإن أسلم منهم مسلم وضعت عنه الجزية ، والزم الخراج في أرضه أبداً على قياس السواد ، وهو قول ابن أبي ليلى .

وقال ابن شبرمة ، وأبو يوسف : توضع عليهم الجزية في رقابهم وعليهم الضعف مما على المسلمين في أرضيهم . وهو الخمس أو العشر ، وقاسا ذلك على أمر نصارى بني تغلب ، وقال أبو يوسف : ماأخذ منهم فسبيله الخراج ، فإن أسلم الذمي أو خرجت أرضه إلى مسلم صارت عشرية ، وقد روى ذلك عن عطاء ، والحسن ، وقال ابن أبي ذئب ، وابن أبي سبرة ، وشريك ابن عبد الله النخعي، والشافعي : عليهم الجزية في رقابهم

ولا خراج ولا عشر في أرضهم ، لأنهم ليسوا ممن تجب عليه الزكاة وليست أرضهم بأرض خراج ، وهو قول الحسن بن صالح بن حي الهمداني ، وقال سفيان الثوري، ومحمد بن الحسن : عليهم العشر غير مضعف ، لأن الحكم حكم الأرض ولا ينظر إلى مالكها .

وقال الأوزاعي ، وشريك بن عبد الله ، إن كانوا ذمة مثل يهود اليمن التي سلم أهلها وهم بها : لم تؤخذ منهم شيئاً غير الجزية ولا تدع الذمي يبتاع أرضاً من أراضي العشر ولا يدخل فيها — يعني يملكها به — وقال الواقدي : سألت مالكاً عن اليهودي من يهود الحجاز يبتاع أرضاً بالجُرْفِ فيزرعها ، قال : يؤخذ منه العشر، قلت أو لست تزعم إنه لاعشر على أرض ذمي إذا ملك أرض عشر ، فقال : ذاك إذا أقاموا ببلادهم فأما إذا خرجوا من بلادهم فانها تجارة ، وقال أبو الزناد ، ومالك بن أنس ، وابن أبي ذئب ، والثوري ، وأبو حنيفة ويعقوب ، في التغلبي يزرع أرضاً من أرض العشر

إنه يؤخذ منه ضعف العشر ، وإذا اكترى رجل مزرعة عُشْرِّية فانَّ مالكاً . والثوري وابن أبي ذئب ، ويعقوب ، قالوا : العشر على صاحب الزرع ، وقال أبو حنيفة : هو على رب الأَرض . وهو قول زُفَر ، وقال أبو حنيفة إذا لم يؤد رجل عشر أرضه سنتين فان السلطان يأخذ منه العشر لما يستأنف ، وكذلك أرض الخراج . وقال أبو شمر : يأخذ ذلك منه لما مضى لأنه حق وجب في ماله .

* * *

خبر ردة العرب
في خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

قالوا : لما استخلف أبو بكر رحمه الله ارتدت طوائف من العرب ومنعت الصدقة ، وقال قوم منهم : نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة(١) ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لو منعوني عقالاً لقاتلتهم ، وبعض الرواة يقول : لو منعوني عناقاً(٢) . « والعقال » صدقة السنة .

(١) ارتدت العرب عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلا المسجدين مكة والمدينة ، (إلا قريشاً وثقيفاً لم يكن بهما ارتداد حتى ولو جزئياً » ، (الطبري : ٣ / ٢٤١ ، والكامل في التاريخ : ٢ / ٢٣١ ،) منهم من انحاز إلى المتنبئين ، ومنهم من أقر بالصلاة ومنع الزكاة .

(٢) العناق : الأنثى من المعز ، (اللسان : عنق) . قال أبو بكر رضي الله عنه : والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، (البداية والنهاية : ٦ / ٣١١) .

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي عن يحيى بن آدم عن عوانة بن الحكم عن جرير بن يزيد عن الشعبي، قال : قال عبد الله بن مسعود : لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أنّ الله منّ علينا بأبي بكر ، اجتمع رأينا جميعاً عن أن لا نقاتل على بنت مخاض ، وابن لبون ، وأن نأكل قرى عربيّة ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، وعزم الله لأبي بكر رضى الله عنه على قتالهم ، فوالله مارضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية : فأما الخطة المخزية فان أقرّوا بأن من قتل منهم في النار ، وإن ماأخذوا من أموالنا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فان يخرجوا من ديارهم .

حدثنا إبراهيم بن محمد عن عرعرة ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : أخبرنا سفيان الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب ، قال : قدم وفد بزاخة على أبي بكر فخيرهم بين الحرب المجلية، والسِّلم المخزية ، فقالوا قد عرفنا الحرب المجلية فما

السلم المخزية، قال : أن ننزع منكم الحلقة (١) والكُرَاع (٢) ونغنم ماأصبنا منكم . وتردوا إلينا ماأصبتم منا ، وتدوا قتلانا ويكون قتلاكم في النار .

حدثنا شجاع بن مخلد الفلاس ، قال . حدثنا بشر بن المفضل مولى بني رقاش قال . حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عمته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بأبي مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها(٣) ، اشرأبَّ النفاق بالمدينة ، وارتدت العرب ، فوالله ما اختلفوا في واحدة إلا طار أبي بحظّها وغَنائها عن الإسلام ، قالوا : فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى القَصّة من أرض مُحارب لتوجيه الزُّحوف إلى الردة ومعه المسلمون ، فصار إليهم خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ومنظور بن

(١) الحلقة : الدروع ، أو السلاح عامة .
(٢) الكراع : الخيل والبغال والحمير .
(٣) لهاضها : لكسرها ، الهيض : الكسر ، (اللسان : هيض) .

زبان ابن سيار الفزاري أحد بني العُشَرَاء في غطفان فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم المشركون . واتبعهم طلحة ابن عبيد الله التيمي فلحقهم بأسفل ثنايا عَوْسجَة ، فقتل منهم رجلاً وفاته الباقون ، فأعجزوه هرباً . فجعل خارجة ابن حصن يقول : ويل للعرب من ابن أبي قحافة ، ثم عقد أبو بكر وهو بالقَصّة لخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي على الناس ، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، وهو أحد من استشهد يوم اليمامة إلا أنه كان من تحت يد خالد . وأمر خالداً أن يصمد لطليحة ابن خويلد الأسدي ، وكان قد إدعى النبوة ، وهو يومئذ ببُزَاخة ، وبزاخة ماء لبني أسد بن خزيمة ، فسار إليه خالد ، وقدَّم أمامه عكاشة بن محصن الأسدي حليف بني عبد شمس ، وثابت بن أقرم البلوي حليف الأنصار ، فلقيهما حبَال بن خويلد فقتلاه ، وخرج طليحة وسلمة أخوه وقد بلغهما الخبر فلقيا عكاشة وثابتاً فقتلاهما فقال طليحة :

ذَكَرتُ أخي لما عرفتُ وجوهَهُم
وأيقنتُ أنّي ثائرٌ بِمجِبَالِ

عشيّةَ غادرتُ ابن أقرَم ثاوياً
وعُكاشةَ الغنميَّ عندَ مَجَالِ

ثم التقى المسلمون وعدوهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة ، فلما رأى سيوف المسلمين قد استلحمت(١) المشركين أتاه فقال له : أما ترى ما يصنع جيش أبي الفَصِيل ، فهل جاءك جبريل بشيء ؟ قال : نعم جاءني ، فقال : إن لك رحاً كرحاه ، ويوماً لاتنساه ، فقال عيينة : أرى والله أن لك يوماً لاتنساه ، يابني فزارة هذا كذّاب وولّى عن عسكره ، فانهزم الناس ، وظهر المسلمون ، وأُسر عيينة بن حصن ، فقدم به المدينة فحقن أبو بكر دمه وخلّى سبيله ، وهرب طليحة بن خويلد ،

(١) ألحمته سيفي ، ولحم الرجل فهو لحيم ، وألحم : قتل ، واللحيم : القتيل ، واستلحم الرجل إذا احتوشه العدو في القتال ، (اللسان : لحم) .

فدخل خباء له فاغتسل ، وخرج فركب فرسه وأهلّ بعمرة ، ثم مضى إلى مكة ثم أتى المدينة مسلماً ، وقيل : بل أتى الشام فأخذه المسلمون ممن كان غازياً ، وبعثوا به إلى أبي بكر بالمدينة فأسلم وأبلى بعدُ في فتح العراق ونهاوند ، وقال له عمر : أقتلت العبد الصالح عكاشة بن محصن ؟ فقال : إن عكاشة بن محصن سعد بي . وشقيت به وأنا أستغفر الله .

وأخبرني داود بن حبال الأسدي عن أشياخ من قومه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لطليحة : أنت الكذاب على الله حين زعمت أنه أنزل عليك : إنّ الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً ، فاذكروا الله أعفّة قياماً فان الرغوة فوق الصريح ، فقال يا أمير المؤمنين : ذلك من فتن الكفر الذي هدمه الإسلام كلّه ، فلا تعنيف عليّ ببعضه ، فأسكت عمر ، قالوا : وأتى خالد بن الوليد رمّان وأبانَيْن وهناك فلّ بزاخة ، فلم يقاتلوه وبايعوه لأبي بكر ، وبعث خالد بن الوليد هشام بن العاصي بن وائل السهمي ، أخا عمرو بن العاصي ،

وكان قديم الإسلام، وهو من مهاجرة الحبشة إلى بني عامر بن صعصعة فلم يقاتلوه، وأظهروا الإسلام والأذان فانصرف عنهم، وكان قُرَّة بن هبيرة القشيري امتنع من أداء الصدقة، وأمد طليحة، فأخذه هشام بن العاصي وأتى به خالداً، فقال: والله ما كفرت مذ آمنت، ولقد مرَّ بي عمرو بن العاصي منصرفاً من عُمان فأكرمته وبررته، فسأل أبو بكر عَمْراً رضي الله عنهما عن ذلك. فصدَّقه فحقن أبو بكر دمه، ويقال: إنَّ خالداً كان سار إلى بلاد بني عامر فأخذ قُرَّة وبعث به إلى أبي بكر.

قال: ثم سار خالد بن الوليد إلى الغَمْر، وهناك جماعة من بني أسد وغطفان وغيرهم. وعليهم خارجة ابن حصن بن حذيفة، ويقال: إنَّهم كانوا متساندين قد جعل كل قوم عليهم رئيساً منهم قاتلوا خالداً والمسلمين، فقتلوا منهم جماعة، وانهزم الباقون، وفي يوم الغمر يقول الحطيئة العبسي:

ألا كُلُّ أَرْماحٍ قِصَارٍ أذلةٍ
فِداءٌ لأرْمَاحِ الفَوارسِ بالغَمْرِ

ثم أتى خالد جو قُرَاقِر ، ويقال أتى النُّقْرَة ، وكان هناك جمع لبني سُلَيم عليهم أبو شجرة عمرو بن عبد العزى السلمي وأمه الخنساء . فقاتلوه فاستشهد رجل من المسلمين ، ثم فضّ الله جمع المشركين ، وجعل خالد يومئذ يحرق المرتدين ، فقيل لأبي بكر في ذلك ، فقال لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكفار ، وأسلم أبو شجرة فقدم على عمر وهو يعطي المساكين ، فاستعطاه فقال له ألست القائل :

وَرَوَّيتُ رُمْحي مِن كتيبةِ خالدٍ
وإنّي لأَرْجُو بَعْدَهَا أن أُعَمَّرَا

وعلاه بالدِّرَّة فقال : قد محا الإسلام ذلك يا أمير المؤمنين ، قالوا : وأتى الفُجاءة وهو بُجير بن إياس بن عبد الله السُّلمي أبا بكر ، فقال : احملني وقوني أقاتل المرتدين ، فحمله وأعطاه سلاحاً . فخرج يعترض الناس فيقتل المسلمين والمرتدين . وجمع جمعاً . فكتب أبو بكر إلى طريفة بن حاجزة أخي معن بن حاجزة يأمره بقتاله ، فقاتله وأسره ابن حاجزة فبعث به إلى أبي بكر فأمر أبو بكر

بإحراقه في ناحية المصانع(١) . ويقال : إن أبا بكر كتب إلى معن في أمر الفجاءة ، فوجه معن إليه طريفة أخاه فأسره ، ثم سار خالد إلى من بالبطاح والبعوضة من بني تميم ، فقاتلوه ، ففض جمعهم وقتل مالك بن نويرة أخا متمم بن نويرة ، كان مالك عاملاً للنبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بني حنظلة ، فلما قبض صلى الله عليه وسلم خلّى ما كان في يده من الفرائض . وقال : شأنكم بأموالكم يابني حنظلة ، وقد قيل : إن خالداً لم يلق بالبطاح والبعوضة أحداً ، ولكنه بث السرايا في بنى تميم ، وكان منها سرية عليها ضرار بن الأزور الأسدي فلقى ضرار مالكاً فاقتتلوا وأسره وجماعة معه ، فأتى بهم خالداً فأمر بهم فضربت أعناقهم ، وتولى ضرار ضرب عنق مالك .

ويقال : إن مالكاً قال لخالد : إني والله ما ارتددت وشهد أبو قتادة الأنصاري أن بني حنظلة وضعوا السلاح.

---

(١) تحريقه في النار معاملة بالمثل ، فقد حرق فجاءة المسلمين وغير المسلمين .

وأذنوا ، فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما: بعثت رجلاً يقتل المسلمين ، ويعذّب بالنار .

وقد روي أن متمّم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له : ما بلغ من وجدك على أخيك مالك ؟ قال : بكيته حولاً حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة . وما رأيت ناراً إلا كدت انقطع لها أسفاً عليه، لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف فلا يعرف مكانه . قال : فصفه لي ، قال : كان يركب الفرس الجرور(١) ، ويقود الجمل الثفال(٢) ، وهو بين المزادتين النضوحين في الليلة القرّة وعليه شملة فاوتٌ معتقلاً رمحاً خطِلاً فيسري ليلته ، ثم يصبح ، وكان وجهه فلقة قمر ، قال فأنشدني بعض ما قلت فيه ، فأنشده مرثيته التي يقول فيها :

وَكُنّا كَنَدمانَيْ جَذِيمةَ حِقْبةً
مِنَ الدَّهرِ حتّى قيلَ : لَن يتصدّعا

---

(١) الفرس الجرور : التي زادت على أحد عشر شهراً ولم تضع ما في بطنها ، وكلما جرت كان أقوى لولدها ، (اللسان : جرر) .
(٢) الثفال : المبطىء الثقيل ، (اللسان : ثفل) .

فقال عمر : لو كنت أُحسن قول الشعر لرثيت أخي زيداً ، فقال مُتَمّم : ولا سواء ياأمير المؤمنين : لو كان أخي صرع مصرع أخيك مابكيته.فقال عمر : ماعزّاني أحد بأحسن مما عزّيتني .

قالوا : وتنبأت أم صادر سجاح بنت أوس بن أُسامة بن العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم ، ويقال : هي سجاح بنت الحارث ابن عُقفان ابن سويد بن خالد بن أُسامة ، وتكهنت ، فأتبّعها قوم من بني تميم وقوم من أخوالها بني تغلب ثم إنها سَجَعت ذات يوم فقالت : إن رب السحاب ، يأمركم أن تغزوا الرِّباب(١) ، فغزتهم فهزموها ولم يقاتلها أحد غيرهم ، فأتت مسيلمة الكذاب وهو بحجر ، فتزوجته ، وجعلت دينها ودينه واحداً . فلما قتل صارت إلى أخوالها فماتت عندهم ، وقال ابن الكلبي : أسلمت سجاح وهاجرت إلى البصرة وحَسُن إسلامها ، وقال عبد الأعلى بن حماد

---

(١) الرباب وأحياء ضبه ، سموا بذلك لتفرقهم ، أو لتعاقدهم وتحالفهم ، (اللسان : ربب) .

الأرسي سمعت مشايخ من البصريين يقولون إن سَمُرة ابن جُنْدَب الفزاري صلى عليها .وهو يلي البصرة من قبل معاوية . قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة ، وقال ابن الكلبي كان مؤذن سجاح الجنَبَة بن طارق بن عمرو بن حوط الرياحي ، وقوم يقولون : إن شَبَث بن ربعي الرياحي كان يؤذّن لها . قالوا : وارتدت خَوْلان باليمن ، فوجّه أبو بكر إليهم يَعْلَى ابن مُنية . وهي أمه ، وهي من بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مضر وأبوه أُمية ابن أبي عبيدة من ولد مالك بن حنظلة بن مالك ، حليف بني نوفل بن عبد مناف فظفر بهم وأصاب منهم غنيمة وسبايا ، ويقال : لم يلقَ حرباً ، فرجع القوم إلى الإسلام .

* * *

ردّة بني وليعة والأشعث بن قيس

ابن معدي كرب بن معاوية الكندي

قالوا : ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم زياد بن لبيد البياضي من الأنصار حضر موت ، ثمّ ضمّ إليه كندة ، ويقال : إن الذي ضمّ إليه كندة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان زياد بن لبيد رجلاً حازماً صليباً ، فأخذ في الصدقة من بعض كندة قلوصاً ، فسأله الكندي ردّها عليه وأخذ غيرها ، وكان قد وسمها بميسم الصدقة فأبى ذلك ، وكلّمه الأشعث بن قيس فيه فلم يجبه ، وقال : لست براد شيئاً قد وقع الميسم عليه ، فانتقضت عليه كندة كلّها إلا السّكُون ، فانهم كانوا معه ، فقال شاعرهم :

وَنَحْــنُ نصرنَا الدِّيــنَ إذْ ضَلَّ قَوْمُنا
شقاءً ، وشايَعْنَا ابــنَ أُمِّ زِيـــادِ
وَلَـــم نَبْــغِ عن حَــقِ البياضي مزحلاً
وكَـانَ تُقَــى الرحمــن أفضلَ زادِ

وجمع له بنو عمرو بن معاوية بن الحارث الكندي فبيتهم فيمن معه من المسلمين ، فقتل منهم بشراً فيهم مخْوَس ، ومشرَح ، وجَمَد ، وأبضعة بنو معدي كرب ابن وليعة بن شُر حبيل بن معاوية بن حجر القَرِد — « والقَرِد » الجواد في كلامهم — بن الحارث بن الولادة ابن عمرو بن معاوية بن الحارث ، وكانت لها ولاء الأُخوة أودية يملكونها فسُمُّوا الملوك الأربعة ، وكانوا وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا ، وقتلت أُختٌ لهم يقال العَمَرَّدة وقاتلها يحسبها رجلاً ، ثم إنَّ زياداً أقبل بالسبي والأموال ، فمر على الأشعث بن قيس وقومه ، فعرض لزياد ومن معه فأُصيب ناس من المسلمين ، ثم هزموهم ، فاجتمعت عظماء كندة إلى الأشعث بن قيس ، فلما رأى زياد ذلك كتب إلى أبي بكر يستمده.

وكتب أبو بكر إلى المهاجر بن أبي أمية يأمره بانجاده ، فلقيا الأشعث بن قيس فيمن معهما من المسلمين ففضّا جمعه ، وأوقعا بأصحابه ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة ، ثم إنهم لجأوا إلى النُّجَيْر — وهو حصن لهم — فحصرهم المسلمون حتى جهدوا . فطلب الأشعث الأمان لعدّة منهم ، وأخرج نفسه من العدّة ، وذلك أنّ الجفشيش الكندي ، واسمه معدان بن الأسود بن معدي كرب أخذ بحقوه(١) وقال : اجعلني من العدة فأدخله وأخرج نفسه ، ونزل إلى زياد بن لبيد والمهاجر فبعثا به إلى أبي بكر الصديق فمنّ عليه ، وزوجه أخته أمّ فروة بنت أبي قحافة . فولدت له محمداً وإسحق وقريبة وحُبابة وجعدة ، وبعضهم يقول : زوجه أخته قريبة ، ولما تزوجها أتى السوق فلم يمرّ بها جزوراً إلا كشف عرقوبيها وأعطى ثمنها وأطعمها الناس ، وأقام بالمدينة ثم سار إلى الشام والعراق غازياً ، ومات بالكوفة وصلى عليه الحسن بن

(١) الحقو والحقو : الكشح ، معقد الأزار ، وفي الصحاح : الحقو الخصر ومشد الإزار من الجنب ، (اللسان : حقا) .

أبي طالب بعد صلحه معاوية ، وكان الأشعث يكنى أبا محمد ويلقب عُرْف النار .

وقال بعض الرواة : ارتد بنو وَليعَة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغت زياد بن لبيد وفاته صلى الله عليه وسلم ، دعا الناس إلى بيعة أبي بكر فبايعوه ، خلا بني وليعة ، فبيّتهم وقتلهم وارتد الأشعث ، وتحصن في النجير ، فحاصره زياد بن لبيد والمهاجر ، اجتمعا عليه وأمدهما أبو بكر رضى الله عنه بعكرمة بن أبي جهل بعد انصرافه من عُمان ، فقدم عليهما وقد فتح النجير ، فسأل أبو بكر المسلمين أن يشركوه في الغنيمة ففعلوا ، قالوا : وكان بالنجيرة نسوة شمتن بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب أبو بكر رضي الله عنه في قطع أيديهن وأرجلهن منهن الثَبجاء الحضرميّة ، وهند بنت يامين اليهودية .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثني عبد الرزاق ابن همّام اليماني ، عن مشايخ حدّثوه من أهل اليمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولّى خالد بن سعيد بن

العاصي صنعاء ، فأخرجه العَنْسِي الكَذاب عنها ، وأنه ولّى المهاجر بن أبي أُمية على كندة ، وزياد بن لبيد الأنصاري على حضر موت والصّدِف ، وهم ولد مالك ابن مرتع بن معاوية بن كندة ، وإنما سمي صَدِفاً لأنّ مرتعاً تزوج حضرمية ، وشرط لها أن تكون عنده ، فاذا ولدت ولداً لم يخرجها من دار قومها ، فولدت له مالكا ، فقضى الحاكم عليه بأن يخرجها إلى أهلها ، فلما خرج مالك عنه معها قال : صَدَف عني مالك فسمى الصَدِف ، وقال عبد الرزاق : فأخبرني مشايخ من أهل اليمن ، قالوا : كتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد والمهاجر بن أبي أُمية المخزومي ، وهو يومئذ على كندة يأمرهما أن يجتمعا ، فتكون أيديهما يداً وأمرهما واحداً ، فيأخذ له البيعة ، ويقاتلا من امتنع من أداء الصدقة وأن يستعينا بالمؤمنين على الكافرين ، وبالمطيعين على العاصين والمخالفين ، فأخذا من رجل من كندة في الصدقة بكرة من الإبل ، أخذ غيرها فسامحه المهاجر وأبى زياد إلا أخذها . وقال: ما كنت لأردها بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة ، فجمع بنو عمرو بن معاوية جمعاً فقال زياد بن لبيد للمهاجر :

قد ترى هذا الجمع ، وليس الرأي أن نزول جميعاً عن مكاننا ، ولكن انفصل عن العسكر في جماعة فيكون ذلك أخفى للأمر وأستر ، ثم أبيِّت هؤلاء الكفرة ، وكان زياد حازماً صليباً فصار إلى بني عمرو ، وألفاهم في الليل فبيتهم ، فأتى على أكثرهم وجعل بعضهم يقتل بعضاً ، ثم اجتمع والمهاجر ومعهما السبي والأسارى ، فعرض لهما الأشعث بن قيس ووجوه كندة ، فقاتلاهم قتالا شديداً ، ثمّ إن الكنديين تحصنوا بالنُجَيْر فحاصراهم حتى جهدهم الحصار وأضرَّبهم ، ونزل الأشعث على الحكم ، قالوا : وكانت حضرموت أتت كندة منجدة لها فواقعهم زياد والمهاجر فظفرا بهم ، وارتدت خَوْلان ، فوجّه إليهم أبو بكر يعلَى بن مُنْيَة فقاتلهم حتى أذعنوا وأقروا بالصدقة ، ثم أتى المهاجر كتاب أبي بكر بتوليته صنعاء ومخاليفها ، وجمع عمله لزياد إلى ما كان في يده ، فكانت اليمن بين ثلاثة : المهاجر وزياد ، ويَعْلَى ووُلِّيَ أبو سفيان بن حرب ما بين آخر حد الحجاز وآخر حدّ نجران .

وحدثني أبو نصر التمار ، قال : حدثني شريك قال أنبأنا ابراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي ، قال : ارتد الأشعث بن قيس الكندي في ناس من كندة فحوصروا فأخذ الأمان لسبعين منهم ، ولم يأخذه لنفسه. فأتى به أبو بكر فقال : إنا قاتلوك لأنه لا أمان لك ، إذا أخرجت نفسك من العدة ، فقال : بل تمنُّ عليَّ ياخليفة رسول الله وتزوجني ، ففعل وزوّجه أُخته .

وحدثني القاسم بن سلام أبو عبيد ، قال : حدثنا عبدالله بن صالح كاتب الليث بن سعد عن علوان بن صالح عن صالح بن كيسان ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي بكر الصديق أنه قال : ثلاث تركتهنَّ وودت أني لم أفعل ، وددت أني يوم أُتيتُ بالأشعث بن قيس ضربت عنقه ، فانه تخيّل إليَّ أنه لايرى شراً إلا سعى فيه وأعان عليه ، ووددت أني يوم أُتيتُ بالفجاءة قتلته ولم أُحرقه ، ووددت أني حيث وجهت خالداً إلى الشام وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فأكون قد بسطتُ يميني وشمالي جميعاً في سبيل الله .

أخبرني عبد الله بن صالح العجلي ، عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن فراس أو بنان ، عن الشعبي أن أبا بكر ردَّ سبايا النجير بالفداء لكل رأس أربعمائة درهم ، وإنَّ الأشعث بن قيس استسلف من تجار المدينة فداءهم ففداهم ، ثم ردَّه لهم ، وقال الأشعث بن قيس يرثي بشير بن الأَوْدَح ، وكان ممّن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ، ويزيد ابن أمانَاة ومن قُتل يوم النجير :

لعمري وَمَا عمري عليَّ بهيِّنٍ
لقد كنتُ بالقتلى أحقَّ ضَنينِ

فلا غروَ إلا يَوْمَ يُقْسَمُ سَبيهُم
ومَا الدَّهْرُ عندي بعدَهُم بأَمينِ

وكنتُ كذات البَوِّ ريعَتْ فأقبلَتْ
عَلى بَوِّها إذ طُرِّبَتْ بِحَنينِ

عَن ابنِ أمَانَاةَ الكريم وبعدَهُ
بشيرِ النَّدى فليَجْرِ دَمعُ عيُونِ

أمر الأسود العنسي ومن ارتد معه باليمن

قالوا : كان الأسود بن كعب بن عوف العنسي قد تكهن وادّعى النبوّة ، فاتبعه عَنْس ، واسم عنس : زيد بن مالك بن أُدَد بن يَشْجُب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وعنس أخو مراد بن مالك ، وخالد بن مالك وسعد العشيرة بن مالك ، واتبعه أيضاً قوم من غير عنس ، وسمى نفسه (رحمان اليمن) كما تسمى مسيلمة (رحمان اليمامة) ، وكان له حمار معلّم ، يقول له اسجد لربك فيسجد ، ويقول له ابرك فيبرك ، فسُمّي ذا الحمار . وقال بعضهم : هو ذو الخِمار لأنّه كان متخمرا معتماً أبداً . وأخبرني بعض أهل اليمن أنه كان أسود الوجه ، فسمي الأسود للونه وإن اسمه عَبْهَلَة .

قالوا : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير ابن عبد الله البجلي في السنة التي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، وفيها كان إرسال جرير إلى الأسود يدعوه إلى الإسلام فلم يجبه ، وبعض الرّواة ينكر بعثة

النبي صلى الله عليه وسلم جريراً إلى اليمن ، قالوا ، وأتى الأسود صنعاء ، فغلب عليها ، وأخرج خالد بن سعيد بن العاصي عنها ، ويقال ، إنّه إنما أخرج المهاجر بن أبي أمية وانحاز إلى ناحية زياد بن لبيد البياضي ، وكان عنده حتى أتاه كتاب أبي بكر يأمره بمعاونة زياد ، فلما فرغ من أمرهما ولاّه صنعاء وأعمالها ، وكان الأسود متجبراً فاستذل الأبناء ، وهم أولاد أهل فارس الذين وجّههم كسرى إلى اليمن مع ابن ذي يزن وعليهم وَهْرِز واستخدمهم فأضر بهم ، وتزوج المرزبانة امرأة باذام ملكهم ، وعامل أبرويز عليهم ، فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن هبيرة المكشوح المرادي لقتاله ، وإنّما سمي المكشوح لأنّه كُوِيَ على كشحه من داءٍ كان به ، وأمره باستمالة الأبناء ، وبعث معه فروة بن مُسَيك المرادي ، فلما صار إلى اليمن بلغتهما وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأظهر قيس للأسود أنه على رأيه حتى خلّي بينه وبين دخول صنعاء ، فدخلها في جماعة من

مذْحِج وهَمْدان وغيرهم ، ثم استمال فيروز بن الدّيلمي أحد الأَبناء ، وكان فيروز قد أسلم ، ثم أتيا باذام رأس الأَبناء ، ويقال : إن باذام قد كان مات ورأس الأَبناء بعده خليفة له يسمى داذَوَيْه ، وذلك أثبت فأسلم داذويه ولقي قيس ثات بن ذي الحرة الحميري فاستماله . وبث داذويه دعاته في الأَبناء فأسلموا ، فتطابق هؤلاء جميعاً على قتل الأَسود واغتياله ، ودسوا إلى المرزبانة امرأته من أعلمها الذي هم عليه . وكانت شانئة(١) له ، فدلّتهم على جدول يدخل إليه منه فدخلوا سحراً . ويقال : بل نقبوا جداربيته بالخلّ نقباً ، ثم دخلوا عليه في السحر وهو سكران نائم ، فذبحه قيس ذبحاً فجعل يخور خوار الثور ، حتى أفزع ذلك حرسه ، فقالوا : ماشأن رحمان اليمن ؟ فبدرت امرأته فقالت : إن الوحي ينزل عليه فسكنوا وأمسكوا ، واحتز قيس رأسه ثم علا

---

(١) شانئة : مبغضة كارهة له .

سور المدينة حين أصبح ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن الأسود كذاب عدو الله ، فاجتمع أصحاب الأسود فألقى إليهم رأسه فتفرقوا إلا قليلاً ، وخرج أصحاب قيس ففتحوا الباب ، ووضعوا في بقية أصحاب العنسي السيف ، فلم ينجح إلا من أسلم منهم .

وذكر بعض الرواة أن الذي قتل الأسود العنسي فيرور بن الديلمي ، وأن قيساً أجهز عليه واحتز رأسه . وذكر بعض أهل العلم أن قتل الأسود كان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أيام فقال في مرضه: قد قتل الله الأسود العنسي قتله الرجل الصالح فيروز بن الديلمي ، وإن الفتح ورد على أبي بكر بعد ما استخلف بعشر ليالٍ .

وأخبرني بكر بن الهيثم . قال . حدثني ابن انس اليماني ، عمن أخبره عن النعمان بن بُزُرج أحد الأبناء

أنّ عامل النبي صلى الله عليه وسلم الذي اخرجه الأسود عن صنعاء ابان بن العاصي ، وان الذي قتل الأسود العنسي فيروز بن الديلمي وان قيساً وفيروزاً ادعيا قتله ، وهما بالمدينة ، فقال عمر : قتله هذا الأسد يعني فيروز. قالوا : ثم إن قيساً اتهم بقتل داذويه . وبلغ ابا بكر أنه على إجلاء الأبناء عن صنعاء فأغضبه ذلك ، وكتب إلى المهاجر بن أبي امية حين دخل صنعاء ، وهو عامله عليها ، يأمره بحمل قيس إلى ما قبله فلما قدم به عليه احلفه خمسين يميناً عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما قتل داذويه فحلف فخلى سبيله ووجّهه إلى الشام مع من انتدب لغزو الروم من المسلمين .

* * *

فُتُوحُ الشَّامِ

قالوا : لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من أمر أهل الرِّدَّة ، رأى توجيه الجيوش إلى الشام . فكتب إلى أهل مكة ، والطائف ، واليمن ، وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ، ويرغبهم فيه وفي غنائم الرُّوم ، فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع ، وأتوا المدينة من كل أَوب ، فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال خالد بن سعيد بن العاصي بن أُمية ، وشرحبيل بن حسنة حليف بني جُمح ، وشرحبيل فيما ذكر الواقدي ابن عبد الله بن المطاع الكندي . وحسنة أمه وهي مولاة معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح . وقال الكلبي : هو شرحبيل ابن ربيعة بن المطاع من ولد صُوفة وهم الغوث بن مُر

ابن أُد بن طابخة ، وعمرو بن العاصي بن وائل السهمي ، وكان عقده هذه الألوية يوم الخميس المستهل صفر سنة ثلاث عشرة . وذلك بعد مقام الجيوش معسكرين بالجرف المحرّم كله ، وأبو عبيدة بن الجراح يصلي بهم . وكان أبو بكر أراد أبا عبيدة أن يعقد له فاستعفاه من ذلك ، وقد روى قوم أنه عقد له ، وليس ذلك بثبت ، ولكن عمر ولاه الشام كلّه حين استخلف .

وذكر أبو مخنف أن أبا بكر قال للأمراء : إن اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري وإلا فيزيد بن أبي سفيان. وذكر أن عمرو بن العاصي إنما كان مدداً للمسلمين وأميراً على من ضم إليه.

قال : ولما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد كره عمر ذلك . فكلم أبا بكر في عزله ، وقال : إنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب ، فعزله أبو بكر ووجه أبا أروى الدوسي لأخذ لوائه فلقيه بذي المَرْوَة فأخذ اللواء منه . وورد به على أبي بكرٍ فدفعه أبو بكر رضي الله عنه إلى يزيد بن أبي سفيان ، فسار به ومعاوية أخوه يحمله بين يديه ، ويقال : بل سلم إليه اللواء بذي المروة فمضى على

جيش خالـــد ، وسار خالـــد بن سعيد محتسباً في جيش شرحبيل .

وأمر أبو بكر رضي الله عنه عمرو بن العاصي أن يسلك طريق أَيْلَـة عامداً لفلسطين ، وأمر يزيد أن يسلك طريق تبوك ، وكتب إلى شرحبيل أن يسلك أيضاً طريق تبوك ، وكان العقد لكل أمير في بدء الأمر على ثلاثة آلاف رجل ، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الأمداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة ثم تتامَّ جمعهم بعد ذلك أربعة وعشرين ألفاً . وروى عن الواقدي أن أبا بكر ولّي عَمْراً فلسطين ، وشرحبيل الأردن ، ويزيد دمشق ، وقال : إذا كان بكم قتال فأميركم الذي تكونون في عمله . وروى أيضاً أنه أمر عَمْراً مشافهة أن يصلي بالناس إذا اجتمعوا ، وإذا تفرقوا صلي كلُّ أمير بأصحابه ، وأمر الأمراء أن يعقدوا لكل قبيلة لواء يكون فيهم ، قالوا : فلما صار عمرو بن العاصي إلى أول عمل فلسطين كتب إلى أبي بكر يعلمه كثرة عدد العدو وعدتهم ، وسعة أرضهم ، ونجدة مقاتلتهم ، فكتب أبو بكر إلى خالد ابن الوليد بن المغيرة المخزومي وهو بالعراق يأمره بالمسير

إلى الشام فيقال : إنه جعله أميراً على الأمراء في الحرب ، وقال قوم : كان خالد أميراً على أصحابه الذين شخصوا معه ، وكان المسلمون إذا اجتمعوا لحرب أمّره الأمراء لبأسه وكيده ويُمْنِ نقيبته . قالوا : فأوّل وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزة يقال لها داثِن ، كانت بينهم وبين بطريق غَزّة ، فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً ثم إن الله تعالى أظهر أولياءه ، وهزم أعداءه وفض جمعهم ، وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام ، وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك البطريق فبلغه أنّ بالعربة من أرض فلسطين جمعاً للروم ، فوجّه إليهم أبا أُمامة الصُدي بن عجلان الباهلي فأوقع بهم ، وقتل عظيمهم ، ثم انصرف .

وروى أبو مخنف في يوم العربة أن ستة قواد من قواد الروم نزلوا العربة في ثلاثة آلاف ، فسار إليهم أبو أُمامة في كثف من المسلمين فهزمهم وقتل أحد القُوّاد ثم اتبعهم فصاروا إلى الدُبِّية — وهي الداَبية — فهزموهم ، وغنم المسلمون غُنماً حسناً .

وحدثني أبو حفص الشامي عن مشايخ من أهل الشام ، قالوا : كانت أول وقائع المسلمين وقعة العربة ، ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز ، ولم يمروا بشيء من الأرض فيما بين الحجاز وموضع هذه الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب وصار في أيديهم .

ذكر شخوص خالد بن الوليد الى الشام
وما فتح في طريقه

قالوا : لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة خلّف المثنى بن حارثة الشّيباني على ناحية الكوفة ، وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ، ويقال في ستمائة ، ويقال في خمسمائة ، فأتى عين التّمر ففتحها عنوة ، ويقال . إن كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التمر فأتى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم ، فقاتله أهلها وخلّف بها سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري فولده اليوم بها ، وبلغ خالداً أنّ جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمُضَيّح

والحُصَيد مرتدين، عليهم ربيعة بن بجير فأتاهم فقاتلوه فهزمهم وسبي وغنم وبعث بالسبي إلى أبي بكر ، فكانت منهم أم حبيب الصهباء بنت حبيب بن بجير ، وهي أم عمر بن علي بن أبي طالب(١) ، ثم أغار خالد على قُرَاقِر وهو ماء لكلاب ثم فوّز منه إلى سُوَى. وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بَهرَاء فقتل حُرْقُوص ابن النعمان البهراني من قضاعة ، واكتسح أموالهم . وكان خالد لما ركب المفازة عمد إلى إلى الرواحل ، فأرواها من الماء ثم قطع مشافرها وأجرّها لئلا تجترّ فتعطش ، ثم استكثر من الماء وحمله معه ، فنفد في طريقه فجعل ينحر تلك الرواحل راحلة راحلة ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها ، وكان له دليل يقال يقال له رافع بن عُدَير الطائي ففيه يقول الشاعر .

لله دَرّ نافعٍ أنّى اهتدى
فَوّزَ مِن قُراقرٍ إلى سُوَى

(١) ولعلي رضي الله عنه أيضاً ولد اسمه (أبو بكر) أمه : ليلى بنت مسعود النهشلية ، وآخر اسمه (عثمان) أمه : أم البنين الكلابية . (أعيان الشيعة : ١ / ٣٢٦) . للعلامة المرحوم محسن الأمين .

مَــــاءٍ إذا ما رامَــهُ الجيشُ انثَنَى
مَا جازَهـــا قبلك مِنْ أنسٍ يُرَى

وكان المسلمون لما انتهوا إلى سُوَى ، وجدوا حرقوصاً وجماعة معه ، يشربون ويتغنون وحرقوص يقول :

ألا عَلِّـــلاني قَبلَ جيش أَبي بكرٍ
لعلَّ منايانـــا قَرِيبٌ وَلاَ نَــدْري

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيل في الجفنة التي كان فيها شرابه ، ويقال إنَّ رأسه سقط فيها أيضاً ، وقال بعض الرواة إن المغني بهذا البيت رجل ممن كان أغار خالد عليه من بني تغلب مع ربيعة بن بجير .

وقال الواقدي : خرج خالد من سُوَى إلى الكواثل ثم أتى قرقيسيا ، فخرج إليه صاحبها في خلق فتركه وانحاز إلى البر ومضى لوجهه ، وأتى خالد أَرَكَة — وهي أَرَك — فأغار على أهلها وحاصرهم ففتحها صلحاً على شيء أخذه منهم للمسلمين ، وأتى دومة الجندل ففتحها ، ثم أتى قُصَم فصالحه بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن

وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكتب لهم أماناً ، ثم اتى تدمر فامتنع اهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمان فأَمنهم على ان يكونوا ذمة ، وعلى ان قروا المسلمين ورضخوا لهم ، ثم اتى القريتَين فقاتله اهلها فظفر وغنم ، ثم اتى حُوّارين من سَنير ، فأَغار على مواشي اهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد اهل بعلبك واهل بُصرى ، وهي مدينة حوران فظفر بهم فسبى وقتل ، ثم اتى مرج رَاهِط فأَغار على غسان في يوم فصحهم ، وهم نصارى ، فسبى وقتل ، ووجه خالد بسر بن ابي ارطاة العامري من قريش وحبيب بن مسلمة الفهري إلى غوطة دمشق فأَغارا على قرى من قراها ، وصار خالد إلى الثَّنيّة التي تعرف بثنية العقاب بدمشق ، فوقف عليها ساعة ناشراً رايته وهي راية كانت لرسول الله صلى الله عليه سلم سوداء . فسميت ثنية العُقاب يومئذ ، والعرب تسمي الراية عقاباً ، وقوم يقولون : إنّها سميت بعقاب من الطير كانت ساقطة عليها ، والخبر الأول أصح ،

وسمعت من يقول : كان هناك مثال عقاب من حجارة وليس ذلك بشيء ، قالوا : ونزل خالد بالباب الشرقي من دمشق ، ويقال : بل نزل بباب الجابية فأخرج إليه أسقف دمشق نُزُلاً وخدمة فقال . احفظ لي هذا العهد ، فوعده بذلك ، ثم سار خالد حتى انتهى إلى المسلمين وهم بقناة بُصْرى .

ويقال : إنه اتى الجابية ، وبها ابو عبيدة في جماعة من المسلمين ، فالتقيا ومضيا جميعاً إلى بُصْرى .

فتح بصرى

قالوا : لما قدم خالد بن الوليد على المسلمين بصرى اجتمعوا عليها وامّروا خالداً في حربها ، ثم الصقوا بها وحاربوا بطريقها حتى ألجأوه وكماة اصحابه إليها ويقال : بل كان يزيد بن ابي سفيان المتقلد لأمر الحرب . لأن ولايتها وإمرتها كانت إليه لأنها من دمشق . ثم إن اهلها صالحوا على ان يؤمنوا على دمائهم وأموالهم وأولادهم على أن يؤدوا الجزية .

وذكر بعض الرواة أن أهل بصرى صالحوا على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة ، وافتتح المسلون جميع ارض كورة حوران وغلبوا عليها قال : وتوجه ابو عبيدة بن الجراح في جماعة من المسلمين كثيفة من اصحاب الأمراء ضُمُّوا إليه فأتى مآب من ارض البلقاء . وبها جمع العدو فافتتحها صلحاً على مثل بصرى ، وقال بعضهم : إن فتح مآب قبل فتح بصرى، وقال بعضهم : إن ابا عبيدة فتح مآب وهو امير على جميع الشام ايام عمر .

يوم اجنادِين ويقال اجنادَيْن(١)

ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مائة الف سرّب هرقل اكثرهم وتجمع باقوهم مِن النواحي، وهرقل يومئذ مقيمٍ بحمص ، فقاتلهم المسلمون قتالاً

(١) موضع بالشام من نواحي فلسطين ، قرب الرملة من كورة بيت جبرين وهي إما بصيغة الجمع ، وإما بلفظ التثنية ، (معجم البلدان : ١ / ١٠٣) .

شديداً ، وابلى خالد بن الوليد يومئذ بلاء حسناً ، ثم إن الله هزم أعداءه ومزقهم كل ممزّق ، وقتل منهم خلق كثير ، واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب هاشم ، وعمرو بن سعيد بن العاصي بن أُمية ، واخوه ابان بن سعيد وذلك الثبت ، ويقال : بل توفي أبان في سنة تسع وعشرين ، وطليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي بارزة علج فضربه ضربة ابانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه ، ثم غشيه الروم فقتلوه ، وأمه أروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يكنى أبا عدي ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ويقال : أنه قتل بمرج الصُفّر ، وعكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي ، وهبّار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي. ويقال : بل قتل يوم مُوْتة ، ونُعيم بن عبد الله النحّام العدوي ، ويقال . قتل يوم اليرموك ، وهشام بن العاصي ابن وائل السهمي ،ويقال : قتل يوم اليرموك ، وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي ، ويقال : قتل يوم اليرموك وجندب بن عمرو الدوسي . وسعيد بن الحارث ، والحارث

ابن الحارث ، والحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي ، وقال هشام بن محمد الكلبي : قتل النحام يوم مؤتة ؛ وقتل سعيد بن الحارث بن قيس يوم اليرموك ، وقتل تميم بن الحارث يوم أجنادين ، وقُتل عبيد الله بن عبد الأسد أخوه يوم اليرموك قال : وقتل الحارث بن هشام بن المغيرة يوم أجنادين .

قالوا : ولما انتهى خبر هذه الوقعة إلى هرقل نُخِبَ قلبه(١) وسقط في يده ومُلِئ رعباً ، فهرب من حمص إلى أنطاكية ، وقد ذكر بعضهم أن هربه من حمص إلى انطاكية كان عند قدوم المسلمين الشام ، وكانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، ويقال : لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، ويقال : لليلتين بقيتا منه .

قالوا : ثم جمعت الروم جمعاً بالياقُوصة(٢) — والياقوصة واد فمه الفَوَّارة فلقيهم المسلمون هناك فكشفوهم

(١) النخب : الجبن وضعف القلب . رجل نخب : جبان كأنه منتزع الفؤاد ، أي لا فؤاد له ، (اللسان : نخب) .
(٢) ووردت : الواقوصة ، (الطبري : أحداث سنة ١٣ هـ) .

وهزموهم وقتلوا كثيراً منهم ولحق فَلُّهم بمدن الشام ، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، فأتى المسلمين نعيه وهم بالياقُوصة .

يوم فِحْل من الأردن

قالوا : وكانت وقعة « فحل » من « الأُردن » لليلتين بقيتا من ذي القعدة ، بعد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخمسة أشهر ، وأمير الناس أبو عبيدة ابن الجراح ، وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وإمره الأُمراء مع عامر بن أبي وقاص أخي سعد بن أبي وقاص ، وقوم يقولون : إن ولاية أبي عبيدة الشام أتته والناس محاصرون دمشق ، فكتمها خالداً أياماً لأن خالداً كان أمير الناس في الحرب ، فقال له خالد ، مادعاك — رحمك الله — إلى ما فعلت ؟ قال : كرهت أن أكسرك وأوهِنَ أمرك وأنت بازاء عدو .

وكان سبب هذه الوقعة أن هرقل لما صار إلى أنطاكية ، استنفر الروم وأهل الجزيرة . وبعث عليهم رجلاً من

خاصته وثقاته في نفسه ، فلقوا المسلمين بفِحْل من الأُردن فقاتلوهم أشد قتال وأبرحه ، حتى أظهرهم الله عليهم ، وقُتل بطريقُهُم وزهاء عشرة آلاف معه ، وتفرّق الباقون في مدن الشام ، ولحق بعضهم بهرقل ، وتحصن أهل « فحل » فحصرهم المسلمون حتى سألوا الأمان على أداء الجزية عن رؤوسهم ،والخَرَاج عن أرضهم،فأمنوهم على أنفسهم وأموالهم وأن لا تهدم حيطانهم ، وتولى عقد ذلك أبو عبيدة بن الجراح ، ويقال : تولاه شرحبيل ابن حسنة .

امر الاردن

حدثني حفص بن عمر العمري ، عن الهيثم بن عدي ، قال : افتتح شرحبيل بن حسنة « الأُردن » عنوة ماخلا طبرية . فان أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن عدة منهم أبو بشر مؤذن مسجد دمشق أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية

ليغزوها . ويبث غاراته فيها . فكان عمرو بن العاصي يقصد لفلسطين ، وكان شرحبيل يقصد الأُردن ، وكان يزيد بن أبي سفيان يقصد لأرض دمشق ، وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه وإذا احتاج أحدهم إلى معاضدة صاحبه وانجاده سارع إلى ذلك ، وكان أميرهم عند الاجتماع في حربهم أول أيام أبي بكر رضي الله عنه عمرو بن العاصي ، حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين في كل حرب ، ثم ولي أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كله ، وإمرة الأُمراء في الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك أنه لما استخلف كتب الى خالد بعزله وولّى أبا عبيدة .

ففتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحاً بعد حصار أيام ، على أن أمّن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم ، إلا ما جلوا عنه وخلوه ، واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً ، ثم إنهم نقضوا في خلافة عمر واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم ، فأمر أبو عبيدة عَمْرو بن العاصي بغزوهم فسار إليهم في أربعة

آلاف ففتحها على مثل صلح شرحبيل ، ويقال : بل فتحها شرحبيل ثانية ، وفتح شرحبيل جميع مدن الأُردن وحصونها على هذا الصلح فتحاً يسيراً بغير قتال ، ففتح بَيْسان ، وفتح سوسية ، وفتح أَفيق ، وجرش ، وبيت رأس ، وقَدَس(١) ، والجولان ، وغلب على سواد الأُردن وجميع أرضها .

قال أبو حفص ، قال أبو محمد سعيد عبد بن العزيز . وبلغني أن الوضين بن عطاء ، قال ، فتح شرحبيل عكا وصور ، وصفورية ، وقال أبو بشر المؤذن أن أبا عبيدة وجّه عمرو بن العاصي إلى سواحل الأردن فكثر به الروم ، وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية ، فكتب إلى أبي عبيدة يستمده فوجه ابو عبيدة يزيد بن سفيان ، فسار يريد وعلى مقدمته معاوية اخوه ففتح يزيد وعمرو سواحل الأُردن ، فكتب أبو عبيدة بفتحهما لها ، وكان لمعاوية في ذلك بلاء حسن ، واثر جميل .

وحدثني ابو اليسع الأنطاكي ، عن ابيه عن مشايخ اهل انطاكية والأُردن ، قالوا : نقل معاوية قوماً من

(١) قدس : بلد بالشام قرب حمص ، من فتوح شرحبيل بن حسنة ، (معجم البلدان : ٤ / ٣١١) . فهي غير بيت المقدس في فلسطين .

من فرس بعلبك ، وحمص ، وانطاكية إلى سواحل الأردن وصور ، وعكا . وغيرها سنة اثنتين واربعين ونقل من أساورة البصرة والكوفة وفرس بعلبك وحمص إلى أنطاكية في هذه السنة أو قبلها أو بعدها بسنة جماعة ، فكان من قواد الفرس مسلم بن عبدالله جد عبد الله ابن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكي. وحدثني محمد ابن سعد عن الواقدي، وأخبرني هشام بن الليث الصوري، عن مشايخ من أهل الشام ، قالوا : رَمّ(١) معاوية عكا عند ركوبه منها إلى قبرص : ورَمّ صور ، ثم إن عبد الملك بن مروان جددهما وقد كانتا خربتا . وحدثني هشام ابن الليث قال : حدثني أشياخنا ، قالوا : نزلنا صور والسواحل وبها جندمن العرب وخلق من الروم ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوها معنا، وكذلك جميع سواحل الشام.

وحدثني محمد بن سهم الأنطاكي عن مشايخ أدركهم، قالوا : لما كانت سنة تسع وأربعين خرجت الروم إلى السواحل . وكانت الصناعة بمصر(٢) فقط ، فأمر معاوية ابن أبي سفيان بجمع الصناع والنجارين فجمعوا ورتبهم

(١) الرم : إصلاح الشيء الذي فسد بعضه ، (اللسان : رمم) .
(٢) صناعة المراكب والسفن .

في السواحل وكانت الصناعة في الأردن بعكا . قال : فذكر أبو الخطاب الأزدي أنه كانت لرجل من ولد أبي معيط بعكا أرجاء ومستغلات فأراده هشام بن عبد الملك على أن يبيعه إياها فأبى المعيطي ذلك عليه ، فنقل هشام إلى صور واتخذ بصور فندقاً ومستغلاً .

وقال الواقدي : لم تزل المراكب بعكا حتى ولي بنو مروان فنقلوها إلى صور فهي بصور إلى اليوم ، وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله في سنة سبع وأربعين ومائتين بترتيب المراكب بعكا . وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة .

يوم مرج الصفّر

قالوا : ثم اجتمعت الروم جمعاً عظيماً وأمدهم هرقل بمدد فلقيهم المسلمون بمرج الصفر ، وهم متوجهون إلى دمشق ، وذلك لهلال المحرم سنة أربع عشرة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى جرت الدماء في الماء وطحنت بها الطاحونة وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف . ثم ولّى الكفرة منهزمين مفلولين لايلوون على شيء . حتى أتوا دمشق وبيت المقدس ، واستشهد يومئذ خالد بن سعيد بن العاصي بن

أمية ، ويكنى أبا سعيد ، وكان قد أعرس في الليلة التي كانت الواقعة في صبيحتها بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي ، امرأة عكرمة ابن أبي جهل ، فلما بلغها مصابه : انتزعت عمود الفسطاط فقاتلت به ، فيقال : إنها قتلت يومئذ سبعة نفر ، وإن بها لَردعُ الخَلُوق(١).

وفي رواية أبي مخنف أن وقعة المرج بعد أجنادين بعشرين ليلة ، وأن فتح مدينة دمشق بعدها ، ثم بعد فتح مدينة دمشق وقعة فحل ، ورواية الواقدي أثبت ، وفي يوم المرج يقول خالد بن سعيد بن العاصي :

مَــنْ فَارِسٌ كَرِهَ الطِّعَــانَ يُعيرُني
رمحــاً إذا نَزَلُــوا بمرج الصُّفَّرِ

وقال عبد الله بن كامل بن حبيب بن عميرة بن خفاف ابن امرىء القيس بن بهثة بن سليم :

شَهِــدَت قبائل مالك وَتغيَّبَــت
عَنِّــي عُمَيْــرَةُ يومَ مَرْجِ الصُّفَّرِ

---

(١) الردع : اللطخ بالزعفران ، وقيل : الردع أثر الخلوق والطيب في الجسد ، وقميص رادع ومردوع ومردع : فيه أثر الطيب والزعفران ، (اللسان : ردع) .

يعني مالك بن خَفَّاف ، وقال هشام بن محمد الكلبي : استشهد خالد بن سعيد يوم المرج وفي عنقه الصمصامة سيفه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وجهه إلى اليمن عاملاً فمر برهط عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، من مذحج ، فأغار عليهم فسبى امرأة عمرو ، وعدةً من قومه ، فعرض عليه عمرو أن يمنّ عليهم ويسلموا ، ففعل وفعلوا ، فوهب له عمرو سيفه الصمصامة وقال :

خليلٌ لم أهبـهُ مِنْ قِلاَهُ
وَلَكِنَّ المواهِبَ للكرَامِ
خليلٌ لم أخُنْهُ ولم يخُنّي
كذلكَ ما خِلالي أَو نِدامي
حَبَوتُ بِهِ كَريماً مِن قُريشٍ
فَسُرَّ بهِ وَصِينَ عَنِ اللِّئامِ

قال : فأخذ معاوية السيف من عنق خالد يوم المرج حين استشهد ، فكان عنده ، ثم نازعه فيه سعيد بن العاصي ابن سعيد بن العاصي بن أُمية فقضى له به عثمان ، فلم يزل عنده ، فلما كان يوم الدار وضُرِبَ مروان على قفاه

وضُرِب سعيد فسقط صريعاً أخذ الصمصامة منه رجل من جهينة فكان عنده ، ثم إنه دفعه إلى صَيْقَل(١) ليجلوه. فأنكر الصيقل أن يكون للجهني مثله ، فأتى به مروان ابن الحكم وهو والي المدينة ، فسأل الجهني عنه فحدثه حديثه فقال: أما والله لقد سلبت سيفي يوم الدار وسلب سعيد بن العاصي سيفه، فجاء سعيد فعرف السيف. فأخذه وختم عليه وبعث به إلى عمرو بن سعيد الأشدق وهو على مكة فهلك سعيد فبقي السيف عند عمرو بن سعيد ، ثم أصيب عمرو بن سعيد بدمشق وانتهب متاعه . فأخذ السيف محمد بن سعيد أخو عمرو لأبيه ، ثم صار إلى يحيى بن سعيد ، ثم مات فصار إلى عنبسة بن سعيد بن العاصي ، ثم إلى سعيد بن عمرو بن سعيد ، ثم هلك فصار إلى محمد بن عبد الله بن سعيد وولده ينزلون ببارق ثم صار إلى أبان بن يحيى بن سعيد فحلاه بحلية ذهب ، فكان عند أم ولد له ، ثم إن أيوب بن أبي أيوب بن سعيد بن عمرو بن سعيد باعه من المهدي أمير المؤمنين بنيف وثمانين ألفاً ، فرد المهدي حليته عليه،

---

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها ، (اللسان : صقل) .

ولما صار الصمصامة إلى موسى الهادي أمير المؤمنين أُعجب به وأمر الشاعر – وهو أبو الهول – أن ينعته فقال :

خَـــازَ صمصامةَ الزُّبيـــديّ عَمْرٍو
خيـــرُ هذ الأنامِ مُوسى الأمِيـــنُ
سيـــفُ عمرو وكان فيما علِمْنا
خيـــرُ ما أُطبقـــتْ عليهِ الجُفُـــونُ
أخضـــرُ اللّـــون بينَ حدَّيهِ بُرْدٌ
مِـــن زُعـــافٍ تَميسُ فيـــه المنونُ
فَاذا مـــا سللته بَهرَ الشّمـــ
س ضيـــاءً فلم تكـــدْ تستبيـــنُ
مَايبُـــالي إذا الضّريبـــةُ حَانتْ
أَشِمـــالٌ سطتْ بهِ أَمْ يَمِيـــنُ
نِعْـــمَ مِخْرَاقُ ذي الحفيظةِ في الهَيْـ
جَـــا يُعَصّـــا بِـــهِ ونِعمَ القرينُ

ثمَّ إنَّ أمير المؤمنين الواثق بالله دعا له بصيقل ، وأمره أنْ يُسقِنه(١) فلما فعل ذلك تغير .

---

(١) أسقن الرجل إذا تمّ جلاء سيفه ، (اللسان : سقن) .

فتح مدينة دمشق وأرضها

قالوا : لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمَرْج أقاموا خمس عشرة ليلة ، ثمّ رجعوا إلى مدينة دمشق ، لأَربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة اربع عشرة ، فأَخذوا الغوطة وكنائسها عنوة ، وتحصن أهل المدينة واغلقوا بابها فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي في زهاء خمسة آلاف ضمهم إليه أبو عبيدة ، وقوم يقولون : إنّ خالداً كان أميراً . وإنما أتاه عزله وهم محاصرون دمشق ، سمي الدّير الذي نزل عنده خالد دير خالد، ونزل عمرو بن العاصي على باب توما ونزل شرحبيل على باب الفراديس ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير إلى الباب الذي يعرف بكيسان ، وجعل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي على مسلحة ببرزة ، وكان الأَسقف الذي أقام لخالد النزل في بدأته ربما وقف على السور ، فدعا له خالد فاذا أتى سلّم عليه وحادثه ، فقال له ذات يوم : ياأبا سليمان إنّ امركم مقبل ، ولي عليك عِدَة .

فصالحني عن هذه المدينة فدعا خالد بدواة وقرطاس فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أماناً على انفسهم واموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيءٌ من دورهم ، لهم بذلك عهد الله ، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم إلا بخير إذا اعطوا الجزية .

ثم إنّ بعض أصحاب الأسقف أتى خالداً في ليلة من الليالي فأعلمه انها ليلة عيد لأهل المدينة ، وانهم في شغل وان الباب الشرقي قد ردم بالحجارة وترك ، واشار عليه ان يلتمس سلّماً ، فأتاه قوم من أهل الدير الذي عند عسكره بسلّمين فرقي جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور ونزلوا إلى الباب ، وليس عليه إلا رجل او رجلان ، فتعاونوا عليه وفتحوه ، وذلك عند طلوع الشمس ، وقد كان أبو عبيدة بن الجراح عاني فتح

باب الجابية وأصعد جماعة من المسلمين على حائطه فانصب مقاتلة الروم إلى ناحيته فقاتوا المسلمين قتالاً شديداً ، ثم إنهم ولّوا مدبرين ، وفتح ابو عبيدة والمسلمون معه باب الجابية عنوة ودخلوا منه ، فالتقى ابو عبيدة وخالد بن الوليد بالمقسلاط ، وهو موضع النّحاسين بدمشق ، وهو البَرِيص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمِ
بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلسَلِ

وقد رُوي ان الروم اخرجوا ميتاً لهم من باب الجابية ليلاً وقد احاط بجنازته خلق من شجعانهم وكماتهم ، وانصبّ سائرهم إلى الباب فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين من فتحه ودخوله إلى رجوع أصحابهم من دفن الميت . وطمعوا في غفلة المسلمين عنهم وأن المسلمين نذروا بهم فقاتلوهم على الباب اشد قتال وابرحه حتى فتحوه في وقت طلوع الشمس ، فلما رأى الأُسقف أن ابا عبيدة قد قارب دخول المدينة بَدَرَ إلى خالد فصالحه وفتح له

الباب الشرقي فدخل والأسقف منه ناشراً كتابه الذي كتبه له ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير ، فكيف يجوز صلحه ؟ فقال ابو عبيدة : إنه يجيز(١) على المسلمين ادناهم ، واجاز صلحه وامضاه ولم يلتفت إلى ما فتح عنوة ، فصارت دمشق صلحاً كلها ، وكتب ابو عبيدة بذلك إلى عمر وانفذه ، وفتحت ابواب المدينة فالتقى القوم جميعاً . وفي رواية ابي مخنف وغيره ان خالداً دخل دمشق بقتال ، وأن أبا عبيدة دخلها بصلح فالتقيا بالزيّاتين والخبر الأول أثبت .

وزعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على انصاف منازلهم وكنائسهم ، وقال محمد بن سعد قال أبو عبد الله الواقدي : قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أرَ فيه أنصاف المنازل والكنائس ، وقد رُوي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بانطاكية ، فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون ، وقد روي قوم

(١) لعلها : يجير ، « ويجير على المسلمين أدناهم » .

أنّ أبا عبيدة كان بالباب الشرقي وأن خالداً كان بباب الجابية وهذا غلط(١) .

قال الواقدي: وكان فتح مدينة دمشق في رجب سنة أربع عشرة ، وتاريخ كتاب خالد بصلحها في شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة ، وذلك أن خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ ، فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم باليرموك أتى الأسقف خالداً فسأله أن يجدد له كتاباً ويشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين ففعل ، واثبت في

(١) يقول محمد بن عساكر قد اعتمد المؤلف على الرواية في فتح دمشق من باب الجابية عنوة بيد أبي عبيدة رضي الله عنه وأكد ذلك بقوله هنا « والخبر الأول أثبت » وهو على الحقيقة أضعف الروايات في فتح دمشق ، والصحيح الثابت بالأخبار والآثار أن خالداً رضي الله عنه دخلها من الباب الشرقي قسراً ، ودخلها أبو عبيدة سلماً من باب الجابية ، هذا من حيث صحة الأخبار ، وأما من حيث دلالة الآثار ، فإن جامع دمشق لم يكن بيد المسلمين منه قبل عمارته إلا الجانب الشرقي بحكم السيف ، ودليلنا أن المقصور التي تنسب إلى الصحابة والسبع القراء به أيضاً ولم تزل الكنيسة من غربه إلى أن هدمها الوليد بن عبد الملك لما عزم على بنائه في خلافته ، وفي رواية المؤلف أولا من أن خالداً أتي بسلمين من الدير المجاور لعسكره ، فرقي أصحابه فيهما إلى سور الباب الشرقي دليل يقوي ما ذكرناه ههنا والله أعلم بالصواب .

الكتاب شهادة ابي عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل ابن حسنة ، وغيرهم فأرخه بالوقت الذي جدده .

وحدثني القاسم بن سلاّم ، قال . حدثنا أبو مُسْهِر ، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي قال . دخل يزيد دمشق من الباب الشرقي صلحاً ، فالتقيا بالمقسلاط ، فأُمضيت كلتاهما على الصلح .

وحدثني القاسم ، قال . حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب الصنعاني ، عن ابي الأشعث الصنعاني ، أو أبي عثمان الصنعاني أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر .

حدثني أبو عبيد ، قال ، حدثنا نعيم بن حماد عن ضمرة بن ربيعة عن رجاء ابن أبي سلمة ، قال : خاصم حسان بن مالك عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعه إياها ، فقال عمر : إن كانت من الخمس عشرة كنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك عليها ، قال ضَمْرة عن علي بن أبي حَمَلة خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في

كنيسة كان فلان قطعها لبني نصر بدمشق . فأخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردها إلى بني نصر .

حدثني أبو عبيد ، قال : حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، أنه قال كانت الجزية بالشام في بدء الأمر جريباً وديناراً على كل جمجمة(١) ، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير ، وعلى أهل الورق أربعين درهماً ، وجعلهم طبقات لغنى الغني ، واقلال المُقِل ، وتوسُّط المتوسط قال هشام : وسمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمة للنصاري يؤدون إليهم الخراج فدخلوا معهم في الصلح .

وقد ذكر بعض الرواة : أنه خالد بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كل رجل من الجزية ديناراً ، وجريب حنطة ، وخلاً وزيتاً لقوت المسلمين .

حدثنا عمرو الناقد قال : حدثنا عبد الله بن وهب المصري ، عن عمر بن محمد عن نافع عن أسلم مولي عمر

---

(١) أي : على كل رأس .

ابن الخطاب ، أنّ عمر كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى ، وأن يجعلوها على أهل الوَرِق على كل رجل أربعين درهماً ، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مُدّان حنطة ، وثلاثة أقساط زيتا كل شهر ، لكل إنسان بالشام والجزيرة ، وجعل عليهم وَدَكاً(١) عسلاً ولا أدري كم هو ، وجعل لكل إنسان بمصر في في كل شهر أُرِدُبّاً وكسوة وضيافة ثلاثة أيام .

وحدثنا عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال : حدثنا مالك ابن أنس عن نافع عن أسلم أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير ، وعلى أهل الورق أربعين درهماً مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام .

وحدثني مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله ، قالوا : ولما ولي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك

(١) الودك : الدسم معروف ، وقيل : دسم اللحم ، (اللسان : ودك) .

فأَمسك ، ثم طلبها عبد الملك بن مروان في أَيامه للزيادة في المسجد وبذل لهم مالاً فأَبوا أَن يسلموها إِليه ، ثم إِن الوليد بن عبد الملك جمعهم في أَيامه ، وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إِياها فأَبوا ، فقال : لئن لم تفعلوا لأَهدمنّها ، فقال بعضهم : ياأَمير المؤمنين إِن من هدم كنيسة جُنّ وأَصابته عاهة ، فأحفظه قوله ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز أَصفر ، ثم جمع الفعلة والنقّاضين فهشموها وأَدخلها في المسجد . فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكي النصاري إِليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم ، فكتب إِلى عامله يأمره بردّ مازاده في المسجد عليهم ، فكره أهل دمشق ذلك ، وقالوا : نهدم مسجدنا بعد أَن أَذنّا فيه وصلّينا ويُرَدّ بيعة ، وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء ، وأَقبلوا على النصاري فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أُخذت عنوة وصارت في أَيدي المسلمين على أَن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ، ويمسكوا عن المطالبة بها ، فرضوا بذلك وأَعجبهم ، فكتب به إِلى

عبر فسره وأمضاه ، وبمسجد دمشق في الرواق القبلي مما يلي المئذنة كتاب في رخامة بقرب السقف مما أمر ببنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ست وثمانين ، وسمعت هشام بن عمار يقول : لم يزل سور مدينة دمشق قائماً حتى هدمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بعد انقضاء أمر مروان وبني أمية .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز عن مؤذن مسجد دمشق وغيره قالوا : اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بُصرى ففتحوها صلحاً وانبثُّوا في أرض حوران جميعاً فغلبوا عليها ، وأتاهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل ماصولح عليه أهل بصرى على أن جميع أرض البَثَنِيَّة أرض خراج ، فأجابوهم إلى ذلك ، ومضى يزيد بن أبي سفيان حتى دخلها وعقد لأهلها ، وكان المسلمون يتصرفون بكورتَي حوران والبثنية ، ثم مضوا إلى فلسطين والأردن وغزوا ما لم يكن فتح ، وسار يزيد إلى عمان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صلح بصرى ، وغلب على أرض البلقاء

وولى أبو عبيدة ، وقد فتح هذا كله فكان أمير الناس حين فتحت دمشق إلا أنّ الصلح كان لخالد و جاز صلحه، وتوجّه يزيد بن أبي سفيان في ولاية أبي عبيدة ففتح عَرَنْدَل صلحاً ، وغلب على أرض الشّراة وجبالها ، قال : وقال سعيد بن عبد العزيز :

أخبرني الوَضِين أنّ يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا ، وعرقة ، وجبيل ، وبيروت وهي سواحل ، وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً . وجلا كثير من أهلها ، وتولى فتح عرقة معاوية نفسه في ولاية يزيد ، ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب ، أو أول خلافة عثمان بن عفان ، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ثم رَمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع ، قالوا : فلما استخلف عثمان وولي معاوية الشام ، وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلى طرابلس ، وهي ثلاثة مدن مجتمعة فبنى في مرج على أميال منها حصناً سمي حصن سفيان . وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم ، فلما اشتد عليهم

الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى ما قبله فوجّه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا ، فلما أصبح سفيان ، وكان يبيت كلّ ليلة في حصنه ، ويحصن المسلمين فيه ثمّ يغدو على العدو وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً فدخله ، وكتب بالفتح إلى معاوية فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود ، وهو الذي فيه الميناء اليوم ، ثم إنّ عبد الملك بعدُ وحصّنه ، قالوا : وكان معاوية يوجه في كل عام إلى طرابلس جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم ويوليها عاملاً ، فاذا انغلق البحر قفل . وبقي العامل في جُمَيْعة منهم يسيرة فلم يزل الأمر فيها جارياً على ذلك حتى ولي عبد الملك فقدم في أيامه بطريق من بطارقة الروم ومعه بشر منهم كثير . فسأل أن يُعطي الأمان على أن يقيم بها ويؤدي الخراج . فأجيب إلى مسألته ، فلم يلبث إلا سنتين أو أكثر منهما بأشهر ، حتى تحين قفول الجند عن المدينة ثم أغلق بابها وقتل عاملها وأسر من معه من

الجند وعدّة من اليهود ، ولحق وأصحابه بأرض الروم ، فقدر المسلمون بعد ذلك عليه في البحر وهو متوجه إلى ساحل للمسلمين في مراكب كثيرة فقتلوه ، ويقال : بل أسروه وبعثوا به إلى عبد الملك فقتله وصلبه ، وسمعت من يذكر أن عبد الملك بعث إليه من حصره بطرابلس ، ثم أخذه سلماً وحمله إليه فقتله وصلبه وهرب من أصحابه جماعة فلحقوا ببلاد الروم ، وقال علي بن محمد المدائني قال عتّاب بن إبراهيم : فتح طرابلس سفيان بن مجيب ثمّ نقض أهلها أيام عبد الملك ففتحها الوليد بن عبد الملك في زمانه .

وحدثني أبو حفص الشامي عن سعيد ، عن الوضين ، قال : كان يزيد بن أبي سفيان وجّه معاوية إلى سواحل دمشق سوى طرابلس فانه لم يكن يطمع فيها ، فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة ، فربما قوتل قتالاً غير شديد ، وربما رمى ففتحها ، قال : وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها إليه من المسلمين ، فان حدث في شيء منها حدث

من قبل العدو وسرّبوا إليها الأمداد ، فلما استخلف عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنتها وإقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل .

وحدثني أبو حفص عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : أدركت الناس وهم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل ، فكتب إليه في مرمّة حصونها . وترتيب المقاتلة فيها ، وإقامة الحرس على مناظرها ، واتخاذ المراقيد لها ، ولم يأذن له في غزو البحر ، وإنّ معاوية لم يزل بعثمان حتى أذن له في الغزو بحراً وأمره أن يُعِدّ في السواحل إذا غزا أو أغزى جيوشاً سوى من فيها من الرتب ، وأن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ويبني المساجد ، ويكبّر ما كان ابتنى منها قبل خلافته ، قال الوضين : ثمّ إن الناس بعدُ انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية .

حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جعفر بن كلاب الكلابي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولّى علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن

كلاب حوران ، وجعل ولايته من قبل معاوية ، فمات بها.

وله يقول الحطيئة العبسي ، وخرج إليه فكان موته قبل وصوله ، وبلغه أنّه في الطريق يريده فأوصى له بمثل سهم من سهام ولده :

فَمَا كَانَ بيني لَوْ لقيتُكَ سَالِماً
وَبَيْنَ الغِنَى إلا لَيَالٍ قَلائِلُ

وحدثني عدة من أهل العلم منهم جار لهشام بن عمار، أنه كانت لأبي سفيان بن حرب أيام تجارته إلى الشام في الجاهلية ضيعة بالبلقاء تدعى بقبش، فصارت لمعاوية وولده، ثم قبضت في أوّل الدولة وصارت لبعض ولد أمير المؤمنين المهدي رضي الله عنه ، ثم صارت لقوم من الزيّاتين يعرفون ببني نعيم من أهل الكوفة .

وحدثنا عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : وفد تميم بن أوس أحد بني الدار بن هانيء بن حبيب من لخم ، ويكني أبا رقية على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أخوه نعيم بن أوس فأقطعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حبرى

وبين عَيْنُونُ ومسجد إبراهيم عليه السلام ، فكتب بذلك كتاباً ، فلما افتتح الشام دفع ذلك إليهما فكان سليمان بن عبد الملك إذا مرّ بهذه القطعة لم يعرج ، وقال : خاف أن يصيبني دعوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وحدثني هشام بن عمار، أنه سمع المشايخ يذكرون أن عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية من أرض دمشق ، مرّ بقوم مجذّمين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات ، وأن يجري عليهم القوت ، وقال هشام : سمعت الوليد بن مسلم يذكر أن خالد بن الوليد شرط لأهل الدير الذي يعرف بدير خالد شرطاً في خراجهم بالتخفيف عنهم حين أعطوه سُلّماً صعد عليه فأنفذه لهم أبو عبيدة ، ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق سار إلى حمص فمر ببعلبك ، فطلب أهلها الأمان والصلح فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب أمان لفلان ابن فلان ، وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها ، على

أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم ، داخل المدينة وخارجها وعلى أرحائهم ، وللروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً ، ولا ينزلوا قرية عامرة ، فاذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا إلى حيث شاءوا ، ومن أسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا ، ولتجارهم يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها ، وعلى من قام منهم الجزية والخراج شهد الله وكفى بالله شهيداً .

* * *

أمر حمص

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف : أن أبا عبيدة بن الجراح لما فرغ من دمشق، قدّم أمامه خالد بن الوليد ، وملحان بن زياد الطائي ، ثم اتبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجأوا إلى المدينة ، وطلبوا الأمان والصلح فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار ، قال الواقدي وغيره : بينا المسلمون على أبواب مدينة دمشق إذ أقبلت خيل للعدو كثيفة ، فخرجت إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لهيا والثنيّة ، فولوا منهزمين نحو حمص على طريق قارا ، واتبعوهم حتى وافوا حمص فألفوهم قد عدلوا عنها ورآهم الحمصيون وكانوا منخوبين(١) لهرب هرقل عنهم ، وما كان يبلغهم

(١) النخب : الجبن وضعف القلب ، (اللسان : نخب) .

من قوة كيد المسلمين وبأسهم وظفرهم فأعطوا بأيديهم وهتفوا(١) بطلب الأمان ، فأمنّهم المسلمون وكفوا أيديهم عنهم . فأخرجوا إليهم العلف والطعام وأقاموا على الأرنْط « يريد الأرنْد » — وهو النهر الذي يأتي أنطاكية ثم يصب في البحر بساحلها — وكان على المسلمين السمط بن الأسود الكندي ، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق ، استخلف عليها يزيد بن أبي سفيان ، ثم قدم حمص على طريق بلعبك فنزل بباب الرّستن ، فصالحه أهل حمص على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأرحائهم ، واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد ، واشترط الخراج على من أقام منهم .

وذكر بعض الرواة أن السّمْط بن الأسود الكندي ، كان صالح أهل حمص ، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه وأن السمط قسم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة .

(١) ووردت (هنفوا) ، أقبل فلان مهنفاً : أي مسرعاً ، (اللسان هنف) .

وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق ، وعمرو بن العاصي على فلسطين ، وشرحبيل على الأردن ، وأتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بلعبك ، ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصاري ، ومضى نحو حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج في أرضهم ، فمضى نحو شيزر فخرجوا يكفرون ومعهم المقلّسون(١) ، ورضوا بمثل مارضي به أهل حماه وبلغت خيله الزّرّاعة والقسطل .

ومرّ أبو عبيدة بمعرة حمص — وهي التي تنسب إلى النعمان بن بشير — فخرجوا يقلّسون بين يديه ثم أتى فاميّة ، ففعل أهلها مثل ذلك ، وأذعنوا بالجزية والخراج ، واستتم أمر حمص فكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً . وقد اختلفوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمّى

(١) التقليس : استقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو ، والقلس والتقليس الضرب بالدف والغناء ، والمقلس : الذي يلعب بين يدي الأمير إذا قدم المصر ، (اللسان : قلس) .

المسلمون فلسطين جُنداً لأنه جمع كُوَراً ، وكذلك دمشق ، وكذلك الأُردن ، وكذلك حمص مع قِنّسْرين وقال بعضهم : سميت كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها جنداً ، وذكروا أن الجزيرة كانت إلى قنسرين فجندها عبد الملك بن مروان ، أي أفردها ، فصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها ، وأن محمد بن مروان كان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل ، ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة إلى حمص حتى كان يزيد بن معاوية ، فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج وذواتها جنداً :

فلما استخلف أمير المؤمنين الرشيد هارون بن المهدي فرد قنسرين بكورها فصير ذلك جنداً واحداً . وأفرد منبج ، ودُلُوك ، ورَعْبَان وقُورُس وانطاكية وتيزين ، وسماها العَوَاصِم ، لأن المسلمين يعتصمون بها ، فتعصمهم وتمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر ، وجعل مدينة العواصم منبج فسكنها عبد الملك بن صالح ابن علي في سنة ثلاث وسبعين ومائة وبنى بها أبنية .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز ، وحدثني موسى بن إبراهيم التنوخي ، عن أبيه ،

عن مشايخ من أهل حمص ، قال : استخلف أبو عبيدة عبادة بن الصامت الأنصاري على حمص ، فأتى اللاذقية. فقاتله أهلها فكان بها باب عظيم لا يفتحه إلا جماعة من الناس ، فلما رأى صعوبة مرامها عسكر على بعد من المدينة ، ثم أمر أن تحفر حفائر كالأسراب يستتر الرجل وفرسه في الواحدة منها ، فاجتهد المسلمون في حفرها حتى فرغوا منها ، ثم إنهم أظهروا القفول إلى حمص ، فلما جن عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية غارّون يرون أنهم قد انصرفوا عنهم ، فلما أصبحوا ، فتحوا بابهم ، وأخرجوا سرحهم ، فلم يرعهم إلا تصبيح المسلمين إياهم ودخولهم من باب المدينة ، ففتحت عنوة ، ودخل عبادة الحصن ثم علا حائطه فكبر عليه ، وهرب قوم من نصارى اللاذقية إلى اليُسيِّد ، ثم طلبوا الأمان على أن يتراجعوا إلى أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدّونه قلوا أو كثروا ، وتركت لهم كنيستهم ، وبني المسلمون باللاذقية مسجداً جامعاً بأمر عبادة ، ثم إنه وُسِّع بعد .

وكانت الروم أغارت في البحر على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها ، وسبوا أهلها ، وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة فأمر عمر ببنائها وتحصينها ووجه إلى الطاغية في فداء من أسِرَ من المسلمين ، فلم يتم ذلك حتى توفي عمر في سنة أحد ومائة فأتم المدينة وشحنها يزيد بن عبد الملك .

وحدثني رجل من أهل اللاذقية قال : لم يمت عمر ابن عبد العزيز حتى حرز مدينة اللاذقية وفرغ منها ، والذي أحدث يزيد بن عبد الملك فيها مرَمّة وزيادة في الشحنة . وحدثني أبو حفص الدمشقي ، قال : حدثني سعيد بن عبد العزيز ، وسعيد بن سليمان الحمصي ، قالا : ورد عبادة والمسلمون السواحل ففتحوا مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة عنوة ، ثم إنها خُرِّبت وجلا عنها أهلها ، فأنشأ معاوية بن أبي سفيان جبلة ، وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص وشحنها. وحدثني سفيان بن محمد البهراني عن أشياخه قالوا : بنى

معاوية لجبلة حصناً خارجاً من الحصن الرومي القديم وكان سكان الحصن الرومي رهباناً وقوماً يتعبدن في دينهم .

وحدثني سفيان بن محمد ، قال حدثني أبي وأشياخنا ، قالوا : فتح عبادة والمسلمون معه أنطرطوس : وكان حصناً ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية أنطرطوس ومصرها وأقطع بها القطائع ، وكذلك فعل بمَرَقِية وبُلُنْياس .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ، عن أشياخه قالوا : افتتح أبو عبيدة اللاذقية وجبلة وأنطرطوس على يدي عبادة ابن الصامت ، وكان يوكل بها حفظة إلى انغلاق البحر ، فلما كانت شحنة معاوية السواحل وتحصينه إياها شحنها وحصنها وأمضى أمرها على ما أمضى عليه أمر السواحل. وحدثني شيخ من أهل حمص قال : بقرب سلمية مدينة تدعى المؤتفكة وانقلبت بأهلها . فلم يسلم منهم إلا مائة نفس فبنوا مائة منزل وسكنوها ، فسميت حوزتهم

التي بنوا فيها سلم مائة ، ثم حرف الناس اسمها فقالوا سلمية ، ثم إن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس اتخذها وبنى وولده فيها ومصروها . ونزلها قوم من ولده. وقال ابن سهم الأنطاكي : سلمية اسم رومي قديم .

وحدثني محمد بن مصفي الحمصي ، قال : هدم مروان بن محمد سور حمص، وذلك أنهم كانوا خالفوا عليه ، فلما مر بأهلها هارباً من أهل خراسان اقتطعوا بعض ثقله وماله وخزائن سلاحه .

وكانت مدينة حمص مفروشة بالصخر ، فلما كانت أيام أحمد بن محمد بن أبي اسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبري ، أخي مايز ديار بن قارن فأمر بقلع ذلك الفرش فقلع . ثم إنهم أظهروا المعصية وأعادوا ذلك الفرش ، وحاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه ونهبوا ماله ونساءه وأخذوه فقتلوه وصلبوه فوجه أحمد بن محمد إليهم موسى بن بغا الكبير

مولي أمير المؤمنين المعتصم بالله فحاربوه ، وفيهم خلق من نصاري المدينة ويهودها ، فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم باقيهم حتى ألحقهم بالمدينة ودخلها عنوة ، وذلك في سنة خمسين ومائتين وبحصن هُرْيٌ (١) يرده قمح وزيت من السواحل وغيرها ، مما قوطع أهله عليه، وأُسجلت لهم السجلات بمقاطعتهم .

* * *

(١) الهري : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان ، (اللسان : هرا) .

يَوْمُ اليَرْمُوك

قالوا : جمع هرقل جموعاً كثيرة من الروم وأهل الشام وأهل الجزيرة وأرمينية تكون زهاء مائتي ألف ، وولى عليهم رجلاً من خاصته ، وبعث على مقدمته جبلة ابن الأيهم الغساني في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم ، وعزم على محاربة المسلمين ، فان ظهروا وإلا دخل بلاد الروم ، فأقام بالقسطنطينية ، واجتمع المسلمون فرجعوا إليهم فاقتتلوا على اليرموك أشد قتالا وأبرحه ، واليرموك نهر — وكان المسلمون يومئذ أربعة وعشرين ألفاً — وتسلسلت الروم وأتباعهم يومئذ لئلا يطمعوا أنفسهم في الهرب ، فقتل الله منهم زهاء سبعين ألفاً وهرب فلّهم فلحقوا بفلسطين وأنطاكية وحلب والجزيرة وأرمينية .

وقاتل يوم اليرموك نساء من نساء المسلمين قتالاً شديداً، وجعلت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان تقول : عَضِّدُوا الغُلْفَان بسيوفكم .

وكان زوجها أبو سفيان خرج إلى الشام تطوّعاً وأحبَّ مع ذلك أن يرى ولده ، وحملها معه ، ثمَّ إنّه قدم المدينة فمات بها سنة إحدى وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ويقال : إنّه مات بالشام ، فلما أتى أم حبيبة بنته نعيه ، دعت في اليوم الثالث بصفرة ، فمسحت بها ذراعيها وعارضيها ، وقالت : لقد كنت عن هذا غنية لولا أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لا تحد امرأة على ميت سوى زوجها أكثر من ثلاث » ويقال : إنها فعلت هذا الفعل حين أتاها نعي أخيها يزيد والله أعلم .

وكان أبو سفيان بن حرب أحد العوران . ذهبت عينه يوم الطائف ، قالوا : وذهبت يوم اليرموك عين الأشعث ابن قيس ، وعين هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، وهو المرقال ، وعين قيس بن مكشوح . واستشهد عامر ابن أبي وقاص الزهري ، وهو الذي كان قدم الشام بكتاب

عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بولايته الشام ، ويقال : بل مات في الطاعون ، وقال بعض الرواة : استشهد يوم أجنادين وليس ذلك بثبت .

قال : وعقد أبو عبيدة لحبيب بن مسلمة الفهري على خيل الطاب ، فجعل يقتل من أدرك ، وانحاز جبلة بن الأيهم إلى الأنصار ، فقال : أنتم إخوتنا وبنو أبينا ، وأظهر الإسلام ، فلما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام سنة سبع عشرة لاحى(١) جبلة رجلا من مزينة فلطم عينه فأمره عمر بالاقتصاص منه ، فقال : أوَ عينه مثل عيني ؟ والله لا أقيم ببلد عليّ به سلطان ، فدخل بلاد الروم مرتداً ، وكان جبلة ملك غسان بعد الحارث بن أبي شمر ، وروي أيضاً أن جبلة أتى عمر بن الخطاب وهو على نصرانيته فعرض عمر عليه الإسلام . وأداء الصدقة ، فأبى ذلك ، وقال : أقيم على ديني وأؤدي الصدقة .

فقال عمر : إن أقمت على دينك فأدِّ الجزية فأنف منها ، فقال عمر : ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث ،

---

(١) لحا الرجل لحواً : شتمه ونازعه ، (اللسان : لحا) .

إما الإسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب إلى حيث شئت ، فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً ، فلما بلغ ذلك عمر ندم ، وعاتبه عبادة بن الصامت ، فقال : لو قبلتَ منه الصدقة ثم تألّفته لأسلم ، وإن عمر رضي الله عنه وجه في سنة إحدى وعشرين عمير بن سعد الأنصاري إلى بلاد الروم في جيش عظيم ، وولاه الصّائفة — وهي أول صائفة كانت — وأمره أن يتلطف لجبلة بن الأيهم ويستعطفه بالقرابة بينهما ، ويدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام ، على أن يؤدي ما كان بذل من الصدقة ، ويقيم على دينه ، فسار عمير حتى دخل بلاد الروم وعرض على جبلة ما أمره عمر بعرضه عليه فأبى إلا المقام في بلاد الروم ، وانتهى عمير إلى موضع يعرف بالحمار ، وهو وادٍ فأوقع بأهله ، وأخربه فقيل أخرب من جوف حمار .

قالوا : ولما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وإيقاع المسلمين بجنده ، هرب من أنطاكية إلى قسطنطينية ، فلما جاوز الدّرب قال : عليك ياسورية السلام ، ونعم البلد

هذا للعدو يعني أرض الشام لكثرة مراعيها . وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة(١) . قال هشام بن الكلبي : شهد اليرموك حباس بن قيس القشيري فقتل من العلوج(٢) خلقاً وقطعت رجله وهو لا يشعر ، ثم جعل ينشدها فقال سوّار بن أوفي :

وَمِنَّا ابنُ عَتَّابٍ وَنَاشِدُ رِجْلِهِ
وَمِنَّا الذي أَدَّى إِلى الحَيِّ حاجِباً

يعني ذا الرُّقَيْبَة .

وحدثني أبو حفص الدمشقي قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، قال : بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك . ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج ، وقالوا : قد شُغِلْنا عن نصرتكم والدَّفع عنكم ، فأنتم على أمركم ، فقال اهل حمص : لولايتكم وعدلكم احبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعنَّ جند هرقل

(١) هذا خطأ ، لقد كانت اليرموك سنة ١٣ هـ ، (الطبري : ٣ / ٣٩٤) .

(٢) العلج : الرجل الشديد الغليظ ، (اللسان : علج) .

عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا . والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلاّ ان نُغلب ونُجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ماكنا عليه ، وإلا فإنا على أمرنا مابقي للمسلدين عدد ، فلما هزم الله الكفرة ، وأظهر المسلمين ، فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلسين فلعبوا وأدوا الخراج ، وسار أبو عبيدة إلى جند قنسرين وأنطاكية ففتحها .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن ابيه عن جده ، قال أبلى السمط بن الأسود الكندي بالشام وبحمص خاصة وفي يوم اليرموك وهو الذي قسم منازل حمص بين أهلها ، وكان ابنه شرحبيل بن السمط بالكوفة مقاوماً الأشعث ابن قيس الكندي في الرياسة ، فوفد السمط إلى عمر ، فقال له : يا أمير المؤمنين إنك لا تفرق بين السبي ، وقد فرقت بيني وبين ولدي فحوّله إلى الشام أو حولني إلى الكوفة فقال : بل أحوله إلى الشام فنزل حمص مع أبيه .

أمر فلسطين

حدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه ، وعن بَقيّة بن الوليد ، عن مشايخ من أهل العلم ، قالوا : كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أرض فلسطين ، وعلى الناس عمرو بن العاصي ، ثم إن عَمْراً بن العاصي فتح غَزَّة في خلافه أبي بكر رضي الله عنه ، ثم فتح بعد ذلك سَبَسْطِية ونابلس ، على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم ، وعلى أنّ الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم ، ثمّ فتح مدينة لُد وأرضها . ثم فتح يُبْنَى وعَمَوَاس وبيت جِبْرين ، واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له ، وفتح يافا ، ويقال : فتحها معاوية ، وفتح

عمرو رَفَتح على مثل ذلك . وقدم عليه أَبو عبيدة بعد أَن فتح قنسرين ونواحيها وذلك في سنة ست عشرة وهو محاصر إِيلياء ، وإِيلياء مدينة بيت المقدس ، فيقال : إِنـّه وجهه إِلى أَنطاكية من إِيلياء وقد غدر أَهلها ففتحها ، ثم عاد فأَقام يومين أَو ثلاثة ، ثم طلب أَهل إِيلياء من أَبي عبيدة الأَمان والصلح على مثل ما صولح عليه أَهل مدن الشام ، من أَداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم ، على أَن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه ، فكتب أَبو عبيدة إِلى عمر بذلك، فقدم عمر، فنزل الجابية من دمشق ، ثم صار إِلى إِيلياء فأَنفذ صلح أَهلها وكتب لهم به ، وكان فتح إِيلياء في سنة سبع عشرة ، وقد رُوي في فتح إِيلياء وجه آخر .

حدثني القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أَبي حبيب أَن عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفهمي إِلى بيت المقدس في جيش ، وهو يومئذ بالجابية فقاتلهم فأَعطوه على ما أَحاط

به حصنهم شيئاً يؤدونه ويكون للمسلمين ما كان خارجاً فقدم عمر فأجاز ذلك ثمّ رجع إلى المدينة .

وحدثني هشام بن عمّار ، عن الوليد عن الأوزاعي: أن أبا عبيدة فتح قنسرين وكورها سنة ست عشرة ، ثم أتى فلسطين فنزل إيلياء . فسألوه أن يصالحهم فصالحهم في سنة سبع عشرة ، على أن يقدم عمر رحمه الله فينفذ ذلك ويكتب لهم به .

حدثني هشام بن عمار ، قال : حدثني الوليد بن مسلم ، عن نعيم بن عطيّة ، عن عبد الله بن قيس ، قال : كنت فيمن يلقى عمر مع أبي عبيدة مقدمه الشام ، فبينما عمر يسير إذ لقيه المقلّسون من أهل أذرعات بالسيوف والريحان ، فقال عمر : مَهْ امنعوهم ، فقال أبو عبيد: ياأمير المؤمنين هذه سُنّتهم ــ أو كلمة نحوها ــ وإنك إن منعتهم منها يروا أن في نفسك نقضاً لعهدهم ، فقال : دعوهم .

قال : فكان طاعون عمواس سنة ثمان عشرة فتوفي فيه خلق من المسلمين منهم أبو عبيدة بن الجراح مات وله

ثمان وخمسين سنة ، وهو أمير ، ومعاذ بن جبل أحد بني سلمة من الخزرج ، ويكنى أبا عبد الرحمن توفي بناحية الأُقْحوانة من الأردن وله ثمان وثلاثين سنة ، وكان أبو عبيدة لما احتضر استخلفه ، ويقال استخلف عياض بن غَنْم الفهري ، ويقال : بل استخلف عمرو بن العاص فاستخلف عمرو ابنه . ومضى إلى مصر ، والفضل ابن العباس بن عبد المطلب ويكنى أبا محمد، وقوم يقولون إنه استشهد بأجنادين ، والثبت أنه توفي في طاعون عمواس ، وشرحبيل بن حسنة ويكنى أبا عبد الله مات وهو ابن تسع وستين سنة ، وسهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ويكنى أبا يزيد ، والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وقيل : إنه استشهد يوم أجنادين .

قالوا : ولما أتت عمر بن الخطاب وفاة أبي عبيدة، كتب إلى يزيد بن أبي سفيان بولاية الشام مكانه وأمره أن يغزو قيسارية . وقال قوم : إنّ عمر إنما ولّى يزيد الأردنّ وفلسطين ، وأنه ولّى دمشق أبا الدرداء ، وولّى حمص عبادة بن الصامت .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني الواقدي ، قال : اختلف علينا في أمر قيسارية فقال قائلون : فتحها معاوية ، وقال آخرون : بل فتحها عياض بن غنم بعد وفاة أبي عبيدة ، وهو خليفته ، وقال قائلون : بل فتحها عمرو بن العاصي . وقال قائلون : خرج عمرو بن العاصي إلى مصر ، وخلف ابنه عبد الله ، فكان الثبت من ذلك ، والذي اجتمع عليه العلماء : أن أوّل الناس الذي الذي حاصرها عمرو بن العاصي ، نزل عليها في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فكان يقيم عليها ما أقام ، فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوّهم سار إليهم ، فشهد أجنادين وفحل والمرج ودمشق واليرموك ، ثم رجع إلى فلسطين فحاصرها بعد إيلياء ، ثم خرج إلى مصر من قيسارية ، وولي يزيد بن أبي سفيان بعد أبي عبيدة فوكّل أخاه معاوية بمحاصرتها وتوجّه إلى دمشق مطعوناً فمات بها .

وقال غير الواقدي : ولى عمر يزيد بن أبي سفيان فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام . وكتب إليه يأمره

بغزو قيسارية ، وقد كانت حوصرت قبل ذلك ، فنهض إليها في سبعة عشر الفاً ، فقاتله اهلها ثم حصرهم ، ومرض في آخر سنة ثماني عشرة . فمضى إلى دمشق واستخلف على قيسارية أخاه معاوية بن سفيان ففتحها وكتب إليه بفتحها فكتب به يزيد إلى عمر. ولما توفي يزيد بن أبي سفيان كتب عمر إلى معاوية بتوليته ما كان يتولاه ، فشكر أبو سفيان ذلك له وقال : وصلتك يا أمير المؤمنين رحم .

وحدثني هشام بن عمار ، قال : حدثني الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية ، قال : ولى عمر معاوية بن ابي سفيان الشام بعد يزيد ، وولى معه رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والقضاء ، فولى ابا الدرداء قضاء دمشق والأردن وصلاتهما . وولى عبادة قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده قال : لما ولّى عمر بن الخطاب معاوية الشام حاصر قيسارية حتّى فتحها ، وقد كانت حوصرت نحواً من سبع سنين ، وكان فتحها في شوال سنة تسع عشرة .

وحدثني محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن عبد الله بن عامر في إسناده قال : حاصر معاوية قيسارية حتى

يئس من فتحها ، وكان عمرو بن العاصي وابنه حاصراها ، ففتحها معاوية قسراً ، فوجد بها من المرتزقة سبعمائة ألف ، ومن السامرة ثلاثين ألفاً ، ومن اليهود مائتي ألف ، ووجد بها ثلثمائة سوق قائمة كلها ، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مائة ألف .

وكان سبب فتحها أن يهودياً يقال له يوسف أتى المسلمين ليلاً فدلهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حقو (١) الرجل ، على أن أمنوه وأهله ، وأنفذ معاوية ذلك ، ودخلها المسلمون في الليل وكبّروا فيها ، فأراد الروم أن يهربوا من السرب فوجدوا المسلمين عليه ، وفتح المسلمون الباب فدخل معاوية ومن معه وكان بها خلق من العرب ، وكانت فيهم شقراء التي يقول فيها حسان بن ثابت :

تَقُولُ شقراءُ لَو صحوت عن الـ...
خمرِ لأَصبحتَ مُثْرِيَ العَدَدِ

ويقال: إن اسمها شَعْثَاء .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أن سبي قيسارية بلغوا اربعة آلاف رأس ، فلما بعث به معاوية

(١) الحقو والحقو : الكشح ، وقيل : معقد الإزار ، (اللسان :حقا).

إلى عمر بن الخطاب أمر بهم فأُنزلوا الجرف ، ثم قسمهم على يتامى الأنصار ، وجعل بعضهم في الكتاب والأعمال للمسلمين ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أخدم بنات أبي أمامة أسعد بن زرارة خادمَين من سبي عين التمر ، فماتا فأعطاهن عمر مكانهما من سبي قيسارية .

قالوا : ووجه معاوية بالفتح مع رجلَين من جذام ، ثم خاف ضعفهما عن المسير ، فوجه رجلاً من خثعم ، فكان الخثعمي يجهد نفسه في السير والسُّرَى وهو يقول :

أرّقَ عيني أخو جُذامِ
أخيَّ جُشَم وأخُو حرَام
كَيفَ أنَامُ وهُما أمامي
إذْ يَرحَلانِ والهَجيرُ طَامِ

فسبقهما ودخل على عمر فكبَّر عمر .

وحدثني هشام بن عمار في إسناد له لم أحفظه ، أن قيسارية فُتحت قسراً في سنة تسع عشرة ، فلما بلغ عمر فتحها نادى أنَّ قيسارية فُتحت قسراً ، وكبر

وكبر المسلمون ، وكانت حوصرت سبع سنين وفتحها معاوية .

قالوا : وكان موت يزيد بن أبي سفيان في آخر سنة ثمان عشرة بدمشق فمن قال : إن معاوية فتح قيسارية في حياة أخيه ، قال : إنما فتحت في آخر سنة ثمان عشرة ، ومن قال : إنه فتحها في ولايته الشام ، قال . فتحت في سنة تسع عشرة وذلك الثبت . وقال بعض الرواة إنها فتحت في أول سنة عشرين .

قالوا . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى معاوية يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين ففتح عسقلان صلحاً بعد كيد . ويقال : إن عمرو بن العاصي كان فتحها ، ثم نقض أهلها وأمدهم الروم ففتحها معاوية ، وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة .

وحدثني بكر بن الهيثم قال : سمعت محمد بن يوسف الفريابي يحدث عن مشايخ من أهل عسقلان أن الروم أخربت عسقلان ، وأجلت أهلها عنها في أيام ابن الزبير ،

فلما ولي عبد الملك بن مروان بناها وحصّنها ورمّ أيضاً قيسارية .

وحدثني محمد بن مصفّى ، قال حدثني أبو سليمان الرملي عن أبيه : أن الروم خرجت في أيام ابن الزبير إلى قيسارية فشعّثتها وهدمت مسجدها ، فلما استقام لعبد الملك بن مروان الأمر . رمّ قيسارية وأعاد مسجدها وأشحنها بالرّجال وبنى صور وعكا الخارجة ، وكانت سبيلهما مثل سبيل قيسارية .

وحدثني جماعة من أهل العلم بأمر الشام ، قالوا : ولّى الوليد بن عبد الملك سليمان بن عبد الملك جند فلسطين فنزل لُدّ ، ثم أحدث مدينة الرَّمْلة(١) ومصّرها ، وكان أوّل ما بنى منها قصره والدار التي تعرف بدار الصبّاغين ، وجعل في الدار صهريجاً متوسطاً لها ، ثمّ اختط للمسجد خطة وبناه ، فولي الخلافة قبل استتمامه ، ثم بنى فيه بعد في خلافته ، ثمّ أتمه عمر بن عبد العزيز ونقص من الخطّة ، وقال : أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتصرت بهم عليه .

---

(١) اللد والرملة متجاورتان ، وهما في الطريق بين القدس ويافا .

ولما بنى سليمان لنفسه أذن للناس في البناء فبنوا ، واحتفر لأهل الرملة قناتهم التي تدعى بَرَدَة ، واحتفر آباراً وولّى النفقة على بنائها بالرملة ومسجد الجماعة كاتباً له نصرانياً من أهل لُد يقال له البطريق بن النكا ، ولم تكن مدينة الرملة قبل سليمان ، وكان موضعها رملة .

قالوا : وقد صارت دار الصباغين لورثة صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، لأنها قُبِضت مع أموال بني أمية قالوا: وكان بنو أُمية ينفقون على آبار الرملة وقناتها بعد سليمان بن عبد الملك . فلما استخلف بنو العباس أنفقوا عليها ، وكان الأمر في تلك النفقة يخرج في كل سنة ، من خليفة بعد خليفة ، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو إسحاق المعتصم بالله سجل بتلك النفقة سجلاً ، فانقطع الاستئمار وصارت جارية يحتسب بها العمال فيُحْسب لهم ، قالوا : وبفلسطين فُرُوز بسجلات من الخلفاء مفردة من خراج العامة ، وبها التخفيف والردود ، وذلك إنّ ضياعاً رفضت في خلافة الرشيد ، وتركها أهلها ، فوجه أمير المؤمنين الرشيد هرثمة بن أعين لعمارتها ،

فدعا قوما من مزارعيها وأكرتها إلى الرجوع إليها على أن يخفف عنهم من خراجهم ولين معاملتهم فرجعوا، فأولئك أصحاب التخافيف ، وجاء قوم منهم بعد فردت عليهم أرضهم على مثل ما كانوا عليه فهم أصحاب الردود .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : لقيتُ رجلاً من العرب بعسقلان فأخبرني أن جده ممن أسكنه إياها عبد الملك وأقطعه بها قطيعة مع من أقطع من المرابطة قال : وأراني أرضاً فقال : هذه من قطائع عثمان بن عفان . قال بكر : وسمعت محمد بن يوسف الفريابي يقول بعسقلان ههنا قطائع أقطعت بأمر عمر وعثمان ، لو دخل فيها رجل لم أجد بذلك بأساً .

* * *

أَمْرُ جُنْدِ قِنَّسْرِينَ وَالمُدُنِ الَّتِي تُدعَى العَوَاصِم

قالوا : سار أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من أرض اليرموك إلى حمص فاستقراها ، ثم أتى قنسرين ، وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهل مدينة قنسرين ، ثمّ لجأوا إلى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح حمص ، وغلب المسلمون على أرضها وقراها ، وكان حاضر قنسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في خيم الشعر ، ثمّ ابتنوا به المنازل ، فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية بنو سليح بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، فحدثني بعض ولد يزيد بن حُنين الطائي الأنطاكي عن أشياخهم : أنّ جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا في

خلافة أمير المؤمنين المهدي ، فكتب على أيديهم بالخُضرة قنسرين ، ثم سار أبو عبيدة يريد حلب ، فبلغه أن أهل قنسرين قد نقضوا وغدروا ، فوجه إليهم السِّمْط بن الأسود الكندي ، فحصرهم ثم فتحها .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، عن أبي عبد العزيز ، عن عبادة بن نُسَيّ عن عبد الرحمن بن غَنْم ، قال : رابطنا مدينة قنسرين مع السمط — أو قال شرحبيل بن السمط — فلما فتحها أصاب فيها بقراً وغنماً . فقسم فينا طائفة وجعل بقيتها في المغنم ، وكان حاضر طيء قديماً ، نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم ، حين نزلوا الجبلين ، من نزل منهم وتفرق باقوهم في البلاد ، فلما ورد أبو عبيده عليهم أسلم بعضهم وصالح كثيرمنهم على الجزية ثم أو اسلمو بعد ذلك بيسير إلا من شذ عن جماعتهم ، وكان بقرب مدينة حلب حاضر تدعى حاضر حلب ، يجمع أصنافا من العرب من تنوخ وغيرهم فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ، ثم

إنهم أسلموا بعد ذلك فكانوا مقيمين وأعقابهم به إلى بعيد وفاة أمير المؤمنين الرشيد ، ثم إن أهل ذلك الحاضر حاربوا أهل مدينة حلب وأرادوا إخراجهم عنها ، فكتب الهاشميون من أهلها إلى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فكان أسبقهم إلى إنجادهم وإغاثتهم العباس بن زفر بن عاصم الهلالي بالخؤولة ، لأن أم عبد الله بن العباس لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم هلالية ، فلم يكن لأهل ذلك الحاضر به معه طاقة فأجلوهم عن حاضرهم وأخربوه وذلك في أيام فتنة محمد بن الرشيد ، فانتقلوا إلى قنسرين فتلقّاهم أهلها بالأطعمة والكُسَى ، فلما دخلوها أرادوا التغلّب عليها فأخرجوهم عنها فتفرّقوا في البلاد ، فمنهم قوم بتكريت قد رأيتهم ، ومنهم قوم بأرمينية ، وفي بلدان كثيرة متباينة .

وأخبرني أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله قال : قال : سمعت شيخاً من مشايخ بني صالح بن علي بن عبد الله بن عباس يحدث أمير المؤمنين المعتصم بالله رحمه الله سنة غزا عمّورية ، قال لما ورد العباس بن زفر الهلالي

حلب لإغاثة الهاشميين ناداه نسوة منهم : ياخال نحن بالله ثم بك ، فقال : لا خوف عليكم إن شاء الله خذلني الله إن خذلتكم ،قال : وكان حيار(١) بني القعقاع بلداً معروفاً قبل الإسلام ، وبه كان مقيل المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة ، فنزله بنو القعقاع بن خليد بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جَذِيمة بن رواحة بن ربيعه بن مازن ابن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض ،أوطنوه فنسب إليهم .

وكان عبد الملك بن مروان أقطع القعقاع به قطيعة ، وأقطع عمه العباس بن جزء بن الحارث قطائع أوغرها (٢) له إلى اليمن ، فأوغرت بعده ، وكانت أو أكثرها مواتاً ، وكانت ولادة بنت العباس بن جزء عند عبد الملك فولدت له الوليد وسليمان ، قالوا : ورحل أبو عبيدة إلى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري ، وكان أبوه يسمى عبد

---

(١) الحير : شبه الحظيرة أو الحمى ، (اللسان : حير) .

(٢) أوغر العامل الخراج أي استوفاه ، والإيغار أن يوغر الملك لرجل الأرض يجعلها له منغير خراج ، (اللسان : وغر) .

عياض كره أن يقال: عبد غنم ، فقال : أنا عياض بن غنم ، فوجد أهلها قد تحصنوا ، فنزل عليها فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح ، والأمان على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم ومنازلهم والحصن الذي بها ، فأعطوا ذلك فاستثنى عليهم موضع المسجد ، وكان الذي صالحهم عليه عياض فأنفذ أبو عبيدة صلحه ، وزعم بعض الرواة أنهم صالحوا على حقن دمائهم وأن يقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وقال بعضهم : إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحداً . وذلك أن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية ، وأنهم إنما صالحوه عن مدينتهم وهم بأنطاكية ، راسلوه في ذلك ، فلما تم صلحهم رجعوا إلى حلب ، قالوا : وسار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية وقد تحصن بها خلق من أهل جند قنسرين ، فلما صار بمهروبة وهي على قريب فرسخين من مدينة أنطاكية . لقيه جمع للعدو ففضهم وألجأهم إلى المدينة . وحاصر أهلها من جميع أبوابها، وكان معظم الجيش على باب فارس والباب الذي يدعى باب البحر ، ثم إنهم صالحوه على الجزية والجلاء ، فجلا بعضهم وأقام بعضهم ، فأمنهم ووضع على كل حالم منهم

ديناراً وجريباً ، ثم نقضوا العهد فوجه إليهم أبو عبيدة عياض بن غنم ، وحبيب بن مسلمة ، ففتحاها على الصلح الأول ، ويقال : بل نقضوا بعد رجوعه إلى فلسطين ، فوجه عمرو بن العاصي من إيلياء ففتحها ، ثم رجع فمكث يسيراً حتى طلب أهل إيلياء الأمان ، والصلح والله أعلم .

وحدثني محمد بن سهم الأنطاكي ، عن أبي صالح الفرّاء قال ، قال مخلد بن الحسين : سمعتُ مشايخ الثغر يقولون : كانت أنطاكية عظيمة الذكر والأمر عند عمر وعثمان . فلما فتحت : كتب عمر إلى أبي عبيدة أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيّات وحسبة . وأجعلهم بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم العطاء ، ثم لما ولى معاوية كتب إليه بمثل ذلك ، ثم إنّ عثمان كتب إليه يأمره أن يلزمها قوماً وأن يقطع قطائع ففعل ، قال ابن سهم : وكنت واقفاً على جسر أنطاكية على الأُرُنْط فسمعت شيخا مسناً من أهل أنطاكية وأنا يومئذ غلام يقول : هذه الأرض قطيعة من عثمان لقوم كانوا في بعث أبي عبيدة . أقطعهم إياها أيام ولاية عثمان معاوية الشام .

قالوا : ونقل معاوية بن أبي سفيان إلى أنطاكية في سنة اثنتين وأربعين جماعة من الفرس وأهل بعلبك وحمص ومن المصريْن(١) فكان منهم مسلم بن عبد الله جد عبد الله ابن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكي وكان مسلم قتل على باب من أبواب أنطاكية يعرف اليوم بباب مسلم ، وذلك أن الروم خرجت من الساحل فأناخت على أنطاكية ، فكان مسلم على السور فرماه علج بحجر فقتله .

وحدثني جماعة من مشايخ أهل أنطاكية منهم ابن برد الفقيه . أن الوليد بن عبد الملك أقطع جنداً بأنطاكية أرض سلوقيّة عند الساحل ، وصيّر الفِلثر – وهو الجريب – بدينار ومُدّي قمح ، فعمروها ، وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقيّة ، قالوا: وكانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها في سبيل البرّ ، وكانت عين السلّور وبحيرتها له أيضاً ، وكانت الإسكندرية له ثم صارت

(١) المصران : الكوفة والبصرة ، قيل لهما المصران لأن عمر رضي الله عنه قال : لا تجعلوا البحر فيما بيني وبينكم ، مصروها ، أي صيروها مصراً بين البحر وبيني ، أي حداً ، والمصر الحاجز بين الشيئين ، (اللسان : مصر) .

لرجاء مولى المهدي اقطاعاً يورثه منصور وإبراهيم ابنا المهدي ، ثم صارت لإبراهيم بن سعيد الجوهري ، ثم لأحمد بن أبي داود الأيادي ابتياعاً ، ثمّ انتقل ملكها إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله ، فحدثني ابن برد الأنطاكي وغيره قالوا : أقطع مسلمة بن عبد الملك قوماً من ربيعة قطائع فقُبضت وصارت بعدُ للمأمون وجرى أمرها على يد صالح الخازن صاحب الدار بأنطاكية ، قالوا : وبلغ أبا عبيدة أن جمعاً للروم بين معرّة مصرين وحلب ، فلقيهم وقتل عدة بطارقة وفض ذلك الجيش ، وسبى ، وغنم وفتح معرّة مصْرين على مثل صلح حلب ، وجالت خيوله فبلغت بُوقَا وفتحت قرى الجومَة وسَرْمين ومَرْتحوان وتيزين ، وصالحوا أهل دير طايا ودير الفسيلة على أن يضيفوا من مرّبهم من المسلمين ، وأتاه نصارى خُنَاصرة فصالحهم ، وفتح أبو عبيدة جميع أرض قنسرين وأنطاكية .

حدثني العباس بن هشام عن أبيه ، قال : خناصرة نسبت إلى خناصر بن عمرو بن الحارث الكلبي . ثم

الكناني ، وكان صاحبها وبُطْنان حبيب ، نسب إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وذلك أن أبا عبيدة ، أو عياض ابن غنم ، وجهه من حلب ففتح حصناً بها فنسب إليه، قالوا : وسار أبو عبيدة يريد قورس وقدم أمامه عياضا فتلقاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها ، فبعث به إلى أبي عبيدة وهو بين جبرين وتل أعزاز فصالحه ثم أتى قُورُس فعقد لأهلها عهداً وأعطاهم مثل الذي أعطى أنطاكية وكتب للراهب كتاباً في قرية له تدعى شرقينا ، وبث خيله فغلب على جميع أرض قورس إلى آخر حد نِقَا بلُس ، قالوا : وكانت كالمسلحة(١) لأنطاكية يأتيها في كل عام طالعة من جند أنطاكية ومقاتلتها ، ثم حول إليها ربع (٢)من أرباع أنطاكية وقطعت الطوالع عنها. ويقال : إن سليمان بن ربيعة الباهلي كان في جيش أبي

(١) المسلحة : قوم في عدة بموضع رصد قد وكلوا به بإزاء ثغر ، فالمسلحة كالثغر والمرقب ، (اللسان : مسلح) .

(٢) الربع : المنزل والدار بعينها،والوطن متى كان وبأي مكان كان، وجمعه أربع ورباع وربوع وأرباع ، وربع القوم : محلتهم ، (اللسان : ربع) .

عبيدة مع أبي أُمامة الصُدى بن عجلان ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل حصناً بقورس فنسب إليه وهو يعرف بحصن سلمان ، ثم قفل من الشام فيمن أُمِدَّ به سعد بن أبي وقاص وهو بالعراق ، وقيل : سلمان بن ربيعة كان غزا الروم بعد فتح العراق ، وقبل شخوصه إلى أرمينية فعسكر عند هذا الحصن ، وقد خرجَ من ناحية مَرْعَش فنسب إليه ، وسلمان وزياد من الصقالبة(١) الذين رتبهم مروان بن محمد في الثغور ، وسمعت من يذكر أن سلمان هذا رجل من الصقالبة نسب إليه الحصن والله أعلم .

قالوا : وأتى أبو عبيدة حلب السّاجور(٢) وقدم عياضاً إلى منبج ثم لحقه وقد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية فأنفذ أبو عبيدة ذلك وبعث عياض بن غنم إلى ناحية دُلُوك ورَعْبَان ، فصالحه أهلها على مثل صلح منبج ،

(١) الصقالبة : جيل حمر الألوان ، صهب الشعور ، يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم ، وقيل للرجل الأحمر : صقلاب تشبيهاً بهم ، (اللسان : صقلب) .
(٢) رافد للفرات يأتيه من الضفة الغربية شمالي حلب .

واشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم ويكاتبوا بها المسلمين ، وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملاً وضم إليه جماعة من المسلمين وشحن النواحي المخوفة .

قالوا : ثم سار أبو عبيدة حتى نزل عَرَاجين ، وقدم مقدمته إلى بَالِس ، وبعث جيشا عليه حبيب بن مسلمة إلى قَاصرين ، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أُقطعا القرى التي بالقرب منهما وجعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم بالشام ، فلما نزل المسلمون بها صالحهم أهلها على الجزية والجلاء فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ، ولم يكن الجسر يومئذ ، إنما اتخذ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه للصوائف ، ويقال : بل كان له رسم قديم ، قالوا : ورتب أبو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة وأسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام ، فأسلموا بعد قدوم المسلمين الشام . وقوماً لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادي من قيس ، وأسكن قاصرين قوماً ثم رفضوها أو أعقابهم وبلغ أبو عبيدة الفرات ، ثم رجع إلى فلسطين وكانت

بالس والقرى المنسوبة إليها في حدها الأعلى والأوسط والأسفل أعذاء(١) عشرية .

فلما كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان : توجه غازياً للروم من نحو الثغور الجزرية ، عسكر ببالس ، فأتاه أهلها وأهل بُويلس وقاصرين وعابدين وصفّين ، وهي قرى منسوبة إليها فأتاه أهل الحد الأعلى فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم ، على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه . ففعل فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووفوا له بالشرط . ورمّ سور المدينة وأحكمه .

ويقال : بل كان ابتداء الغرض من مسلمة . وأنه دعاهم إلى هذه المعاملة . فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته . فلم تزل في أيديهم إلى أن جاءت الدولة

(١) العذي : الزرع الذي لا يسقيه إلا المطر (البعل) ، والجمع : أعذاء . في (اللسان : عذا) : العذي اسم للموضع الذي ينبت في الصيف والشتاء من غير نبع ماء ، والعذي : الزرع الذي لا يسقى إلا من ماء المطر لبعده من المياه .

المباركة(١) وقبض عبد الله بن علي أموال بني أُمية فدخلت فيها ، فأقطعها أمير المؤمنين أبو العباس سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس فصارت لابنه محمد بن سليمان ، وكان جعفر بن سليمان أخوه يسعى به إلى أمير المؤمنين الرشيد رحمه الله ويكتب إليه فيعلمه أنه لا مال له ولا ضيعة إلا وقد اجتاز أضعاف قيمته وأنفقه فيما يرشح له نفسه وعلى من اتخذ من الخَوَل(٢) ، وإنَّ أمواله حلٌ طلقٌ لأمير المؤمنين ، وكان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه ، فلما توفي محمد بن سليمان أُخرجت كتبه إلى جعفر واحتج عليه بها ، ولم يكن لمحمد أخ لأبيه وأمه غيره ، فأقر بها وصارت أمواله للرشيد ، فأقطع بالس وقراها المأمون رحمه الله فصارت لولده من بعده .

حدثني هشام بن عمار ، قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، عن تميم بن عطية ، عن عبد الله بن قيس الهمداني ،

---

(١) الدولة العباسية .

(٢) خول الرجل : حشمه ، وقد يكون الخول واحداً وهو اسم يقع على العبد والأمة ، (اللسان : خول) .

قال : قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين لأنها فتحت عنوة ، فقال معاذ ابن جبل : والله لإذ قسمتها ليكونن ماتكره ، ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم ، ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدُّون عن الإسلام مسدّاً فلا يجدون شيئاً ، فانظر أمراً يسع أوّلهم وآخرهم ، فصار إلى قول معاذ .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، عن يحيى ابن آدم عن مشايخ من الجزريين عن سليمان بن عطاء عن سلمة الجهني عن عمه أن صاحب بصرى ذكر أنه كان صالح المسلمين على طعام وزيت وخل ، فسأل عمر أن يكتب له بذلك وكذّبه أبو عبيدة ، وقال إنّما صالحناه على شيء يتّبّع به المسلمون لمشتاهم ، ففرض عليهم الجزية على الطبقات والخراج على الأرض .

وحدثني الحسين قال : حدثنا محمد بن الأحدب ، قال : أخبرنا عبد الله بن عمر عن نافع عن أسلم مولى عمر

أن عمر كتب إلى أمراء الجزية أن لا يضربوها إلا على من جرت عليه الموسى ، وجعلها على أهل الذهب أربعة دنانير ، وجعل عليهم لأرزاق المسلمين من الحنطة لكل رجل مُدَّيْن. ومن الزيت ثلاثة أقساط بالشام والجزيرة مع إضافة من نزل بهم ثلاثاً . وحدثني أبو حفص الشامي ، عن محمد بن راشد عن مكحول ، قال : كلُّ عشري بالشام فهو مما جلاعنه أهله فأقطعه المسلمون فأحيوه . وكان مواتاً لاحقّ فيه لأحد ، فأحيوه باذن الولاة .

* * *

الثُّغُورُ الشَّامِيَّة

حدثني مشايخ من أهل أنطاكية وغيرهم ، قالوا : كانت ثغور المسلمين الشامية أيام عمر وعثمان رضي الله عنهما وما بعد ذلك أنطاكية وغيرها من المدن التي سماها الرَّشيد عَوَاصِم ، فكان المسلمون يغزون ما وراءها ، كغزوهم اليوم ما وراء طَرَسُوس(١)، وكان فيما بين الإسكندرونة وطَرَسوس حصون ومسالح للروم . كالحصون والمسالح التي يمر بها المسلمون اليوم ، فربما أخلاها أهلها وهربوا إلى بلاد الروم خوفاً ، وربما نقل إليها من مقاتلة الروم من تشحن به ، وقد قيل : إن هرقل أدخل أهل

(١) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكيـة وحلب وبلاد الروم ، [معجم البلدان : ٢٨/٤] ، انها شمالي خليج الاسكندرونة الى الشرق من اضنة ، [أطلس التاريخ العربي : ٥٦] .

هذه المدن معه عند انتقاله من أنطاكية ، لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم والله أعلم .

وحدثني ابن طسون البغراسي عن أشياخهم أنهم قالوا : الأمر المتعالم عندنا أن هرقل نقل أهل هذه الحصون معه وشعثها(١) . فكان المسلمون إذا غزوا لم يجدوا بها أحداً ، وربما كمن عندها القوم من الروم فأصابوا غرّة المتخلّفين عن العسكر والمنقطعين عنها ، فكان ولاة الشّواتي والصّوائف إذا دخلوا بلاد الروم خلفوا بها جنداً كثيفاً إلى خروجهم .

وقد اختلفوا في أول من قطع الدرب وهو درب بغراس ، فقال بعضهم : قطعه ميسرة بن مسروق العبسي وجهه أبو عبيدة بن الجراح فلقي جمعاً للروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللّحاق بهرقل ، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم لحق به مالك الأشتر النخّعي مدداً من قبل أبي عبيدة وهو بأنطاكية. وقال بعضهم : أول من قطع الدرب عمر بن سعد

(٢) التشعث : التفرق ، [اللسان : شعث] .

الأنصاري حين توجه في أمر جبلة بن الأيهم ، وقال أبو الخطاب الأزدي : بلغني أن أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمرّ بالمصّيصة(١) وطرسوس . وقد جلا أهلها وأهل الحصون التي تليها فأدرب فبلغ في غزاته زَنْدَة(٢) ، وقال غيره : إنما وجه ميسرة بن مسروق فبلغ زندة .

حدثني أبو صالح الفرّاء عن رجل من أهل دمشق يقال له عبد الله بن الوليد بن هشام بن الغاز عن عبادة بن نُسَي فيما يحسب أبو صالح ، قال : لما غزا معاوية غزوة عمّوريّة (٣) في سنة خمس وعشرين وجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية . فوقف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين حتى انصرف من غزاته ، ثم أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحُر

---

(١) مدينة على شاطىء نهر جيحان ، من ثغور الروم ، قرب طرسوس ، (معجم البلدان : ٥ / ١٤٤) .

(٢) زندة : مدينة بالروم ، من فتوح أبي عبيدة رضي الله عنه ، (معجم البلدان : ٣ / ١٥٤) .

(٣) عمورية : بلد في بلاد الروم ، (معجم البلدان : ٤ / ١٥٨) . جنوبي أنقرة .

العبسي الصائفة . وأمره ففعل مثل ذلك ، وكانت الولاة تفعله ، وقال هذا الرجل : ووجدت في كتاب مغازي معاوية أنه غزا سنة إحدى وثلاثين من ناحية المصّيصة فبلغ دَرَولِيّة(١) ، فلما خرج جعل لا يمر بحصن فيما بينه وبين أنطاكية إلا هدمه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي وغيره ، قال : لما كانت سنة أربع وثمانين غزا على الصائفة عبد الله بن عبد الملك بن مروان فدخل من درب أنطاكية وأتى المصّيصة فبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكانا من الجند ، فيهم ثلثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن ثم سار في جيشه حتى غزا حصن سنان ففتحه ، ووجه يزيد بن حنين الطائي الأنطاكي فأغار ثم انصرف إليه ، وقال أبو الخطاب الأزدي : كان أول من ابتنى حصن المصّيصة في الإسلام عبد الملك

(١) درولية : مدينة في أرض الروم ، (معجم البلدان : ٢ / ٤٥٣) .

ابن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك في سنة أربع وثمانين على أساسها القديم ، فتم بناؤها وشحنها في سنة خمس وثمانين . وكانت في الحصن كنيسة جعلت هُرياً(١) وكانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها في كل عام فتشتوا بها ثم تنصرف ، وعدة من كان يطلع إليها ألف وخمسمائة إلى الألفين ، قال : وشخص عمر بن عبد العزيز حتى نزل هُرْي المصيِّصة ، وأراد هدمها وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية ، وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها ، فاعلمه الناس أنها إنما عُمِّرت ليدفع من بها من الروم عن أنطاكية وأنّه إن أخرجها لم يكن للعدو ناحية دون أنطاكية فأمسك ، وبنى لأهلها مسجداً جامعاً من ناحية كَفربَيّا(٢) واتخذ فيه صهريجاً ، وكان اسمه عليه مكتوباً ، ثم إنّ المسجد خرب في خلافة المعتصم بالله ، وهو يدعى مسجد الحصن ، قال : ثمّ بنى هشام بن

(١) الهري : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان ، (اللسان : هرا) .

(٢) كفربيا : مدينة بإزاء المصيصة على شاطىء نهر جيحان ، (معجم البلدان : ٤ / ٤٦٨) .

عبد الملك الربَض ، ثم بنى مروان بن محمد الخُصُوص في شرقي جيحان ، وبنى عليها حائطاً وأقام عليه باب خشب ، وخندق خندقاً ، فلما استخلف أبو العباس فرض بالمصِّيصة لأربعمائة رجل زيادة في شحنتها وأقطعهم ، ثم لما استخلف المنصور فرض بالمصِّيصة لأربعمائة رجل ثم لما دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة أمر بعمران مدينة المصِّيصة ، وكان حائطها متشعثاً من الزلازل ، وأهلها قليل في داخل المدينة ، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة أربعين ومائة وسماها المعمورة ، وبنى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها ، وجعله مثل مسجد عمر مرّات ، ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين المغرب ، وفرض المنصور فيها الألف رجل ، ثم نقل أهل الخُصُوص وهم فُرْس وصقالبة وأنباط نصارى وكان مروان أسكنهم إياها وأعطاهم خططاً في المدينة عوضاً عن منازلهم على ذرعها ، ونقض منازلهم . وأعانهم على البناء ، وأقطع الفرض قطائع ومساكن ، ولما استخلف المهدي فرض بالمصِّيصة لألفي رجل ولم يقطعهم . لأنها

قد كانت شُحِنت من الجند والمطوّعة ، ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية في كل عام حتّى وليها سالم البرلّسي وفرض موضعه لخمسمائة مقاتل على خاصّة عشرة دنانير ، عشرة دنانير ، فكثر من بها وقووا ، وذلك في خلافة المهدي.

وحدّثني محمد بن سهم عن مشايخ الثغر ، قالوا : ألحّت الرّوم على أهل المصّيصة في أول أيام الدولة المباركة حتّى جلوا عنها . فوجّه صالح بن علي جبريل ابن يحيى البجلي إليها فعمرها وأسكنها الناس في سنة أربعين ومائة . وبنى الرشيد كَفَرْبَيّاً ويقال بل كانت ابتدئت في خلافة المهدي ثمّ غيرّ الرشيد بناءها وحصّنها بخندق . ثم رُفع إلى المأمون في أمر غلّة كانت على منازلها فأبطلها ، وكانت منازلها كالخانات . وأمر فجُعل لها سور فرفع فلم يستتم حتى توفي . فأمر المعتصم بالله باتمامه وتشريفه ، قالوا : وكان الذي حصّن المُثقّب هشام بن عبد الملك على يد حسان بن ماهوَيْه الأنطاكي ، ووجد

في خلافته حين حُفِر ساق بفرط الطول فبُعث به إلى هشام ، وبنى هشام حصن قَطَرْغاش(١) على يدي عبد العزيز بن حيان الأنطاكي ، وبنى هشام حصن مُورة على يدي رجل من أهل أنطاكية وكان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له في درب اللكام عند العقبة البيضاء . ورتب فيه أربعين رجلاً وجماعة من الجراجمة ، وأقام ببغراس مسلحة في خمسين رجلاً وابتنى لها حصناً . وبنى هشام حصن بُوقا من عمل أنطاكية ، ثمّ جُدِّد وأصلح حديثاً ، وبنى محمد بن يوسف المروزي المعروف بأبي سعيد حصنا بساحل أنطاكية بعد غارة الروم على ساحلها في خلافة المعتصم بالله رحمه الله .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه ، عن جده ، أنّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أراد هدم المصّيصة ، ونقل أهلها عنها ، لما كانوا يلقون من الروم فتوفي قبل ذلك .

---

(١) قطرغاش : حصن من أعمال الثغور قرب المصيصة ، (معجم البلدان : ٤ / ٣٧٣) .

وحدَّثني بعض أهل أنطاكية وبغراس : أنَّ مسلمة ابن عبد الملك لما غزا عُموريّة حمل معه نساءه ، وحمل ناس ممن معه نساءهم ، وكانت بنو أمية تفعل ذلك إرادة الجد في القتال للغيرة على الحرم ، فلما صار في عقبة بغراس عند الطريق المستدقّة التي تشرف على الوادي سقط محمل فيه امرأة إلى الحضيض فأمر مسلمة أن تمشي سائر النساء ، فمشين ، فسُمِّيت تلك العقبة عقبة النِّساء ، وقد كان المعتصم بالله رحمه الله بنى على حدِّ تلك الطريق حائطاً قصيراً من حجارة ، وقال أبو النعمان الأنطاكي : كان الطريق فيما بين أنطاكية والمصِّيصة مُسبعة(١) يعترض للناس فيها الأسد ، فلما كان الوليد بن عبد الملك شُكي ذلك إليه فوجّه أربعة آلاف جاموسة وجاموس فنفع الله بها ، وكان محمد بن القاسم الثقفي عامل الحجاج على السند ، بعث منها بأُلوف الجواميس ، فبعث الحجاج إلى الوليد منها بما بعث من الأربعة آلاف . والقى باقيها في آجام كَسْكَر ، ولما خلع يزيد بن المهلب فقتل وقبض يزيد بن

(١) مسبعة : كثيرة السباع ، (اللسان : سبع) .

عبد الملك أموال بني المهلب . أصاب لهم أربعة آلاف جاموسة كانت بكور دجلة وكسكر ، فوجه بها يزيد بن عبد الملك إلى المصيّصة أيضاً مع زُطها(١) فكان أصل الجواميس بالمصيّصة ثمانية آلاف جاموسة . وكان أهل أنطاكية وقنسرين قد غلبوا على كثير منها واختاروه لأنفسهم في أيام فتنة مروان بن محمد بن مروان ، فلما استخلف المنصور أمر بردها إلى المصيّصة وأما جواميس أنطاكية فكان أصلها ما قدم به الزُّط معهم ، وكذلك جواميس بُوقا ، وقال أبو الخطاب : بُني الجسر الذي على طريق أذنة من المصيّصة ، وهو على تسعة أميال من المصيصة ، سنة خمس وعشرين ومائة ، ويدعى جسر الوليد ، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول ، وقال أبو النعمان الأنطاكي وغيره : بنيت أذنة في سنة إحدى وأربعين ومائة أو اثنين وأربعين ومائة . والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مسلمة بن يحيى البجلي ،

(١) الزط : شعب قدم من الهند ، وانتشر في الشرق ، ومنهم (الغجر) في أوربة .

ومن أهل الشام بن مالك بن أدهم الباهلي وجّهها صالح ابن علي .

قالوا : ولما كانت سنة خمس وستين ومائة أغزى المهدي ابنه هارون الرشيد بلاد الروم ، فنزل على الخليج ثم خرج فرمّ المصّيصة ومسجدها . وزاد في شحنتها، وزاد في شحنتها . وقوى أهلها . وبنى القصر الذي عند جسر أذنة على سيحان ، وقد كان المنصور أغزى صالح ابن علي بلاد الروم فوجه هلال بن ضَيْغَم في جماعة من أهل دمشق والأردن وغيرهم فبنى ذلك القصر . ولم يكن بناؤه محكماً فهدمه الرشيد وبناه ، ثمّ لما كانت سنة وتسعين ومائه بني أبو سليم فرج الخادم أذنة ، فاحكم بناءها ، وحصنها ، وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء ، وذلك بأمر محمد بن الرشيد فرّم قصر سيحان ، وكان الرّشيد توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وعامله على أعشار الثغور أبو سليم ، فأقره محمد ، وأبو سليم هذا هو صاحب الدار بأنطاكية.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : غزا الحسن بن قحطبة الطائي بلاد الروم سنة اثنتين وستين

ومائة في أهل خراسان ، وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ، ومطوعة العراق والحجاز ، خرج مما يلي طَرَسوس، فأخبر المهدي بما في بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الإسلام والكبت للعدو والوقم(١) له فيما يحاول ويكيد ، وكان الحسن قد أبلى في تلك الغزاة بلاء حسناً ، ودوخ أرض الروم حتى سموه الشّيتَن(٢) ، وكان معه في غزاته مندل العنزي المحدث الكوفي ، ومعتمر بن سليمان البصري .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني سعد بن الحسن، قال : لما خرج الحسن من بلاد الروم نزل مرج طَرَسوس، فركب إلى مدينتها وهي خراب ، فنظر إليها وأطاف بها من جميع جهاتها ، وحزر عدة من يسكنها فوجدهم مائة ألف ، فلما قدم على المهدي وصف له أمرها ومافي بنائها وشحنتها من غيظ العدو وكبته ، وعز الإسلام وأهله ، وأخبره في الحَدَث أيضاً بخبر رغبه في بناء

(١) الوقم : كسر الرجل وتذليله ، يقال : وقم الله العدو إذا ذاله ، (اللسان : وقم) .

(٢) أي الشيطان .

مدينتها ، فأمره ببناء طَرَسوس ، وأن يبدأ بمدينة الحَدَث ، فبنيت ، وأوصى المهدي ببناء طَرَسوس .

فلما كانت سنة إحدى وسبعين ومائة بلغ الرشيد أن ائتمروا بينهم بالخروج إلى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتلة فيها ، فأغزى الصائفة في سنة إحدى وسبعين ومائة هرثمة بن أعين ، وأمره بعمارة طَرَسوس وبنائها وتمصيرها . ففعل وأجرى أمرها على يدفَرَج بن سُليم الخادم بأمر الرشيد فوكّل فرج ببنائها وتوجه أبو سليم إلى مدينة السّلام فأشخص الندبة(١) الأولى من أهل خراسان ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، فوردوا طَرَسوس ، ثم أشخص الندبة الثانية ، وهم ألفا رجل ، ألف من أهل المصّيصة ، وألف من أهل أنطاكية على زيادة عشرة دنانير ، عشرة دنانير ، لكل رجل في أصل عطائه ،

(١) الندب : أن يندب إنسان قوماً إلى أمر ، أو حرب ، أو معونة أي يدعوهم إليه ، (اللسان : ندب) .

فعسكروا مع الندبة الأُولى بالمدائن على باب الجهاد في مستهل المحرم سنة اثنتين وسبعين ومائة ، إلى أن استتم بناء طَرَسوس وتحصينها وبناء مسجدها ، ومسح فَرَّج ما بين النهر إلى النهر ، فبلغ ذلك أربعة آلاف خطّة . كل خطّة عشرون ذراعاً في مثلها . وأقطع أهل طَرَسوس الخطط. وسكنتها الندبتان في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين ومائة .

قالوا : وكان عبد الملك بن صالح قد استعمل يزيد بن مخلد الفزاري على طَرَسوس . فطرده بها من أهل خراسان ، واستوحشوا منه للهُبيريّة(١) ، فاستخلف أبا الفوارس فأقره عبد الملك بن صالح ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين ومائة .

قال محمد بن سعد : حدثني الواقدي ، قال : جلا أهل سيسيّة . ولحقوا بأعلى الروم في سنة أربع وتسعين

---

(١) الهبر في (اللسان) ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله عنه ، والهبيرة : الضبع الصغير .

ومائة أو ثلاث وتسعين ومائة . وسيسيّة مدينة تل عين زربة(١) وقد عمرت في خلافة المتوكل على الله ، على يدي علي بن يحيى الأرمني . ثمّ أخربتها الروم . قالوا : فكان الذي أحرق أنطاكية المحترقة ببلاد الروم عباس بن الوليد ابن عبد الملك .

قالوا : وتل جُبَيْر نُسبت إلى رجل من فرس أنطاكية كانت له عنده وقعة وهو من طَرَسوس على أقل من عشرة أميال ، قالوا : والحصن المعروف بذي الكِلاع ، إنّما هو الحصن ذو القِلاع ، لأنه على ثلاث قلاع فحرف اسمه ، وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذي مع الكواكب ، وقالوا : سُمّيت كنيسة الصُّلح . لأنّ الرُّوم لما حملوا صلحهم إلى الرشيد نزلوها ، ونُسب مرج حسين إلى حسين بن مسلم الأنطاكي ، وذلك أنه كانت له به وقعة ونكاية في العدوّ .

قالوا : وأغزى المهدي ابنه هارون الرشيد في سنة ثلاث وستين ومائة ، فحاصر أهل صَمَالُو ، وهي الّتي

(١) عين زربى : بلد بالثغر من نواحي المصيصة ، (معجم البلدان : ٤ / ١٧٧) .

تدعوها العامة سَمَالُو ، فسألوا الأمان لعشرة أهل أبيات فيهم القومس(١) ، فأجابهم إلى ذلك ، وكان في شرطهم أن لا يفوق بينهم ، فأُنزلوا ببغداد على باب الشمّاسية ، فسموا موضعهم سمالو فهو معروف ، ويقال بل نزلوا على حكم المهدي ، فاستحياهم وجمعهم بذلك الموضع. وأمر أن يسمى سمالو ، وأمر الرشيد فنودي على من بقي في الحصن فبيعوا ، وأُخِذ حبشي كان يشتم الرشيد والمسلمين ، فصلب على برج من أبراجه .

وحدثني أحمد بن الحارث الواسطي عن محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : لما كانت سنة ثمانين ومائة أمر الرشيد بابتناء مدينة عين زربة وتحصينها . وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل ، ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة أمر ببناء الهارونيّة فبنيت وشحنت أيضاً بالمقاتله . ومن نزح إليها من المطوعة ونسبت إليه ، ويقال إنّه بناها في خلافة المهدي . ثمّ

(١) القومس : الملك الشريف ، السيد ، (اللسان : قمس) .

أتمت في خلافته ، قالوا : وكانت الكنيسة السوداء(١) من حجارة سود بناها الروم على وجه الدهر ، ولها حصن قديم أُخرب فيما أُخرب ، فأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها . وندب إليها المقاتلة في زيادة العطاء .

وأخبرني بعض أهل الثغر عزّون بن سعد : أن الروم أغارت عليها ، والقاسم بن الرشيد مقيم بدابق(٢). فاستاقوا مواشي أهلها وأسروا عدة منهم . فنفر إليهم أهل المصّيصة ومطوعتها . فاستنقذوا جميع ما صار إليهم. وقتلوا منهم بشراً . ورجع الباقون منكوبين مفلولين ، فوجه القاسم من حصن المدينة ورمّها وزاد في شحنتها، وقد كان المعتصم بالله نقل إلى عين زربة ونواحيها بشراً من الزطّ الذين قد كانوا غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع أهلها بهم .

---

(١) الكنيسة السوداء : من مدن الثغور ، في منتصف الطريق بين مرعش والمصيصة ، جنوبي ثغر الهارونية . (أطلس التاريخ العربي : ٥٦) .

(٢) مرج دابق : شمالي مدينة حلب .

حدثني أبو صالح الأنطاكي ، قال : كان أبو إسحاق الفزاري يكره شراء أرض بالثغر ، ويقول : غلب عليه قوم في بدء الأمر وأجلوا الروم عنه ، فلم يقسموه ، وصار إلى غيرهم ، وقد دخلت في هذا الأمر شبهة العاقل حقيق بتركها .

وكانت بالثغر إيغارات قد تحيّفت(١) ما يرتفع من أعشاره ، حتى قصرت عن نفقاته ، فأمر المتوكل في سنة ثلاث وأربعين ومائتين بابطال تلك الإيغارات ، فأبطلت .

* * *

(١) تحوف الشيء : أي تنقصه ، (اللسان : حوف) .

فتوح الجزيرة

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة ، عن أبيه، عن جده ، عن ميمون بن مهران ، قال : الجزيرة كلّها فتوح عياض بن غَنْم ، بعد وفاة أبي عبيدة ولاه إياها عمر بن الخطاب ، وكان أبو عبيدة استخلفه على الشام فولّى عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان ، ثمّ معاوية من بعده الشام ، وأمر عياضاً يغزو الجزيرة .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن عدة من الجزريّين عن سليمان بن عطاء القرشي ، قال : بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة ، فمات أبو عبيدة وهو بها ، فولاه عمر إياها بعد .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا النفيلي عبد الله ابن محمد ، قال : حدثنا سليمان بن عطاء ، قال : لما فتح

عياض بن غَنْم الرُّهَا(١) ، وكان أبو عبيدة وجهه وقف على بابها على فرس له كميت(٢) فصالحوه على أن لهم هيكلهم وما حوله ، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ، إلا ما كان لهم ، وعلى معونة المسلمين على عدوهم ، فان تركوا شيئاً ممّا شرط عليهم فلا ذمة لهم ، ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرُّها .

وقال محمد بن سعد ، قال الواقدي : أثبت ما سمعنا في أمر عياض ، أن أبا عبيدة مات في طاعون عَمواس سنة ثماني عشرة ، واستخلف عياضاً ، فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص وقنسرين والجزيرة ، فسار إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ثماني عشرة في خمسة آلاف ، وعلى مقدمته ميسرة بن مسروق العبسي ، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي ، وعلى ميسرته صفوان بن المعطل السُّلَمي ، وكان خالد بن الوليد على

---

(١) الرها : مدينة شمالي الجزيرة ، وهي أوديسا بالرومية بناها سلوقس ، (معجم البلدان : ٣ / ١٠٦) .

(٢) الكميت : لون ليس بأشقر ولا أدهم ، أحمر اشتدت حمرته . (اللسان : كمت) .

ميسرته ، ويقال : إن خالداً لم يسر تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة ، ولزم حمص حتى توفي بها سنة إحدى وعشرين وأوصى إلى عمر ، وبعضهم يزعم أنه مات بالمدينة ، وموته بحمص أثبت .

قالوا : فانتهت طليعة عياض إلى الرقة ، فأغاروا على حاضر كان حولها للعرب . وعلى قوم من الفلاحين فأصابوا مغنماً ، وهرب من نجا من أولئك فدخلوا مدينة الرقة ، وأقبل عياض في عسكرة حتى نزل باب الرُّها . وهو أحد أبوابها ، في تعبئة فرمى المسلمون ساعة حتى جرح بعضهم ، ثم إنه تأخر عنهم لئلا تبلغه حجارتهم وسهامهم ، وركب فطاف حول المدينة ، ووضع على أبوابها روابط ، ثم رجع إلى عسكره وبث السرايا ، فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى ، وبالأطعمة الكثيرة . وكانت الزروع مستحصدة ، فلما مضت خمسة أيام أو ستة وهم على ذلك . أرسل بطريق المدينة إلى عياض يطلب الأمان . فصالحه عياض على أن آمن جميع أهلها على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم ، وقال عياض : الأرض لنا قد وطئناها

وأحرزناها فأقرها في أيديهم على الخراج ، ودفع منها ما لم يرده أهل الذمة فرفضوه إلى المسلمين على العشر. ووضع الجزية على رقابهم ، فألزم كل رجل منهم ديناراً في كل سنة. وأخرج النساء والصبيان ، ووظف عليهم مع الدينار أقفزة من قمح ، وشيئاً من زيت وخل وعسل ، فلما ولي معاوية جعل ذلك جزية عليهم ، ثم إنهم فتحوا أبواب المدينة وأقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرُّها ، فكتب لهم عياض :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تخرب ولا تسكن إذا أعطوا الجزية التي عليهم ، ولم يحدثوا مغيلة ، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة ، ولا يظهروا ناقوسا ولا باعوثا ولا صليباً شهد الله «وكفى بالله شهيداً» وختم عياض بخاتمه.

ويقال : إن عياضاً ألزم كل حالم من أهل الرقة أربعة دنانير ، والثبت أن عمر كتب بعد إلى عمير بن سعد ، وهو واليه أن ألزم كل امرىء منهم أربعة دنانير، كما ألزم أهل الذهب.

قالوا : ثم سار عياض إلى حرّان(١) ، فنزل بأجدى وبعث مقدمته ، فأغلق أهل حران أبوابها دونهم ، ثم اتبعهم ، فلما نزل بها بعث إليه الحرنانيــة من أهلها يعلمونه أن في أيديهم طائفة من المدينة ويسألونه أن يصير إلى الرُّها فلما صالحوه عليه من شيء قنعوا به ، وخلوا بينه وبين النصارى ، حتى يصيروا إليه وبلغ النصارى ذلك فأرسلوا إليه بالرضى بما عرض الحرنانية وبذلوا ، فأتى الرُّها وقد جمع له أهلها ، فرموا المسلمين ساعة ، ثم خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتى ألجأوهم إلى المدينة ، فلم ينشبوا أن طلبوا الصلح والأمان ، فأجابهم عياض إليه . وكتب لهم كتابا نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرُّها . إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إليّ عن كل رجل ديناراً ومُدَّي قمح فأنتم آمنون عن أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم ، وعليكم إرشاد

---

(١) حران : من مدن شمالي الجزيرة ، بينها وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم ، (معجم البلدان : ٢ / ٢٣٥) .

الضّال ، وإصلاح الجسور والطرق ، ونصيحة المسلمين « شهد الله وكفى بالله شهيداً » .

وحدثني داود بن عبد الحميد عن أبيه ، عن جده ، أنّ كتاب عياض لأهل الرُّها :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرُّها ، إنّي أمنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم إذا أدُّوا الحقّ الذي عليهم ، ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ، ويهدوا ضالنا ، شهد الله وملائكته والمسلمون.

قال : ثم أتى عياض حرّان ، ووجه صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة الفهري إلى سُمَيْسَاط(١) . فصالح عياض أهل حرّان على مثل صلح الرُّها وفتحوا له أبوابها وولاها رجلاً ، ثم سار إلى سميساط ، فوجد صفوان بن المعطل ، وحبيب بن مسلمة مقيمين عليها ، وقد غلبا على قرى وحصون من قراها وحصونها . فصالحه أهلها على مثل صلح أهل الرها ، وكان عياض يغزو من الرُّها ، ثم يرجع إليها .

(١) سميساط : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ، (معجم البلدان : ٣ / ٢٥٨) .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري ، قال : لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنم ، فتح حرّان ، والرُّها ، والرَّقّة ، وقرقيسيا ، ونصيبين ، وسنجار .

وحدثني محمد عن الواقدي ، عن عبد الرحمن بن مسلمة ، عن فرات بن سلمان عن ثابت بن الحجاج ، قال : فتح عياض الرَّقّة وحرّان والرُّها ونصيبين ومَيّافارقين وقرقيسيا ، وقرى الفرات ومدائنها صلحاً ، وأرضها عنوة . وحدثني محمد عن الواقدي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد : أنّ عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة .

وقد روى : أن عياضاً لما أتى حرّان من الرَّقّة وجدها خالية ، قد انتقل أهلها إلى الرُّها ، فلما فتحت الرُّها صالحوه عن مدينتهم وهم بها ، وكان صلحهم مثل صلح الرُّها .

* * *

فُتُوحُ مِصْرَ والمغرِب

قالوا : وكان عمرو بن العاصي حاصر قَيسْارِيَةَ(١) بعد انصراف الناس من حرب اليرموك . ثمّ استخلف عليها ابنه ، حين ولي يزيد بن أبي سفيان ، ومضى إلى مصر من تلقاء نفسه في ثلاثة آلاف وخمسمائة ، فغضب عمر لذلك وكتب إليه يوبّخه ويعنّفه على افتتانه عليه برأيه ، وأمره بالرجوع إلى موضعه إن وافاه كتابه دون مصر ، فورد الكتاب عليه وهو بالعريش ، وقيل أيضاً : إن عمر كتب إلى عمرو بن العاصي يأمره بالشخوص إلى مصر ، فوافاه كتابه وهو محاصر قيسارية ، وكان

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام ، من أعمال فلسطين ، وبينها وبين طبرية ثلاثة أيام ، (معجم البلدان : ٤ / ٤٢١) ، قيسارية في منتصف الساحل بين حيفا ويافا ، (أطلس التاريخ العربي : ٦٣) .

الذي أتاه شريك بن عَبْدة . فأعطاه ألف دينار فأبى شريك قبولها ، فسأله أن يستر ذلك ولا يخبر به عمر .

قالوا : وكان مسير عمرو إلى مصر في سنة تسع عشرة فنزل العريش ثم أتى الفَرَماء(١) وبها قوم مستعدون للقتال ، فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم ، ومضى قدماً إلى الفسطاط . فنزل جنان الريحان ، وقد خندق أهل الفسطاط ، وكان اسم المدينة اليُونة فسماها المسلمون فسطاطاً . لأنهم قالوا : هذا فسطاط القوم ومجمعهم ، وقوم يقولون : إن عَمْراً ضرب بها فسطاطاً فسُمِّيت بذلك .

قالوا : ولم يلبث عمرو بن العاصي وهو محاصر أهل الفسطاط أن ورد عليه الزبير بن العوام بن خُوَيلد في عشرة آلاف ، ويقال : في إثنى عشر ألفاً فيهم خارجة بن حذافة العدوى ، وعمير بن وهب الجمحي ، وكان الزبير قد همّ بالغزو وأراد إتيان أنطاكية ، فقال له عمر : يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر ؟ فقال : لا حاجة لي

(١) الفرما : مدينة على الساحل من ناحية مصر ، (معجم البلدان : ٤ / ٢٥٥) . أقصى شمالي سيناء ، على المتوسط ، (أطلس التاريخ العربي : ٣٧) .

فيها . ولكني أخرج مجاهداً وللمسلمين معاوناً ، فان وجدت عمْراً قد فتحها لم أعرض لعمله ، وقصدت إلى بعض السواحل فرابطت به ، وإن وجدته في جهاد كنت معه فسار على ذلك .

قالوا : وكان الزبير يقاتل من وجْهٍ وعمرو بن العاصي من وجْهٍ ، ثم إنَّ الزبير أتى بسلم فصعد عليه حتى أوفى على الحصن(١) ، وهو مجرد سيفه ، فكبر وكبر المسلمون ، واتبعوه ففتح الحصن عنوة ، واستباح المسلمون ما فيه ، وأقر عمرو أهله على أنهم ذمة ووضع عليهم الجزية في رقابهم ، والخراج في أرضهم ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فأجازه . واختط الزبير بمصر وابتنى داراً معروفة ، وإيّاها نزل عبد الله بن الزبير حين غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ، وسُلّم الزبير باقٍ في مصر .

(١) وهو حصن (بابليون) ، موضع الفسطاط ، (معجم البلدان : ١ / ٣١١) .

وحدثنا عفان بن مسلم ، قال حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة أن الزبير بن العوام بعث إلى مصر فقيل له إن بها الطعن والطاعون، فقال: إنّما جئنا للطعن والطاعون ، قال : فوضعوا السلاليم فصعدوا عليها .

وحدثني عمرو الناقد ، قال : حدثني عبد الله بن وهب المصري ، عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب : أن عمرو ابن العاصي دخل مصر ومعه ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وكان عمر بن الخطاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً . فشهد الزبير فتح مصر واختط بها .

وحدثني عمر والناقد ، عن عبد الله بن وهب المصري عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن المغيرة ابن أبي بردة عن سفيان بن وهب الخولاني ، قال : لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير فقال : أقسمها ياعمرو. فأبى فقال الزبير : والله لتقسمنّها كما قسم رسول الله عليه وسلم خيبر . فكتب عمرو إلى عمر في ذلك فكتب إليه عمر : أقرّها حتى يغزو منها حبل الحبلة(١) ،

(١) حبل الحبلة : ولد الولد الذي في البطن ، (اللسان : حبل) .

قال : : وقال عبد الله بن وهب : وحدثني ابن لهيعة عن خالد بن ميمون عن عبد الله بن المغيرة عن سفيان بن وهب بنحوه .

وحدثني القاسم بن سلام ، قال : حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، أن عمرو بن العاصي دخل مصر في ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وكان عمر قد أشفق من ذلك ، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً ، فشهد معه فتح مصر ،قال : فاختط الزبير بمصر والإسكندرية خطتين .

وحدثني إبراهيم بن مسلم الخوارزمي ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب، عن ابي فراس ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : اشتبه على الناس امر مصر ، فقال قوم : فتحت عنوة ، وقال آخرون : فُتحت صلحاً ، والثالج(١) في امرها ان ابي قدمها فقاتله اهل اليُونة ففتحها قهراً ، وادخلها

---

(١) ثلجت بالأمر إذا اطمأنت إليه ، وسكنت وثبت فيها ووثقت به ، (اللسان : ثلج) .

المسلمين ، وكان الزبير اول من علاّ حصنها ، فقال صاحبها لأبي : إنه قد بلغنا فعلكم بالشام ووضعكم الجزية على النصاري واليهود ، وإقراركم الأرض في ايدي اهلها يعمرونها ويؤدون خراجها ، فان فعلتم بنا مثل ذلك كان اردّ عليكم من قتلنا وسبينا وإجلائنا ؛ قال : فاستشار ابي المسلمين . فأشاروا عليه بأن يفعل ذلك ، إلا نفر منهم سألوا ان يقسم الأرض بينهم . فوضع على كل حالم دينارين جزية ، إلا ان يكون فقيراً ، والزم كل ذي ارض مع الدينارين ثلاثة ارادب حنطة ، وقسطي زيت ، وقسطي عسل ، وقسطي خل ، رزقاً للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم فيهم ، واحصى المسلمون ، فألزم جميع اهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف وبرنساً او عمامة وسراويل وخُفين في كل عام ، أو عدل الجبة الصوف ثوباً قبطياً ، وكتب عليهم بذلك كتاباً وشرط لهم إذا وفوا بذلك ان لا تباع نساؤهم وابناؤهم ولا يسبوا ، وان تُقرّ اموالهم وكنوزهم في ايديهم ، فكتب بذلك إلى امير المؤمنين عمر فأجازه وصارت الأرض ارض خراج

إلا انه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظن بعض الناس انها فتحت صلحاً ، قال : ولما فرغ ملك اليونة من امر نفسه ومن معه في مدينته ، صالح عن جميع اهل مصر على مثل صلح اليونة فرضوا به ، وقالوا هؤلاء الممتنعون قد رضوا وقنعوا بهذا فنحن به اقنع لأننا فرش لامنعة لنا ، ووضع الخراج على ارض مصر فجعل على كل جريب ديناراً وثلاثة آرادب طعاماً . وعلى رأس كل حالم دينارَين ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وحدثني عمرو الناقد ، عن عبد الله بن وهب المصري ، عن الليث عن يزيد بن ابي حبيب : ان المقوقس صالح عمرو بن العاصي على أن يُسَيِّر من الروم من أراد ، ويقر من اراد الإقامة من الروم على امر سماه ، وان يفرض على القبط دينارَيْن ، فبلغ ذلك ملك الروم فتسخطه وبعث الجيوش ، فأغلقوا باب الإسكندرية وآذنوا عمْراً بالحرب ، فخرج إليه المقوقس ، فقال : اسألك ثلاثاً : أن لا تبذل للروم مثل الذي بذلت لي ، فانهم قد استغشّوني ، وان لا تنقض بالقبط ، فان النقض لم يأت

من قبلهم ، وإن متُّ فمر بدفني في كنيسة بالإسكندرية ذكرها ، فقال عمرو : هذه اهونهن علي ، وكانت قرى من مصر قاتلت فسبي منهم ، والقرى : بِلْهيت والخيْس وسُلْطَيسْ ، فوقع سباؤهم بالمدينة ، فردهم عمر بن الخطاب وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة ، وكان لهم عهد لم ينقضوه ، وكتب عمرو بفتح الإسكندرية إلى عمر :

اما بعد فان الله فتح علينا الإسكندرية عنوة قسراً، بغير عهد ولا عقد ، وهي كلُّها صلح في قول يزيد بن ابي حبيب .

حدثني ابو ايوب الرَّقّي ، عن عبد الغفار ، عن ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب قال : جبى عمرو خراج مصر وجزيتها الفي الف وجباها عبد الله بن سعد بن ابي سرح أربعة آلاف ألف ، فقال عثمان لعمرو : إن اللقاح بمصر بعدك قد درت البانها ، قال : ذاك لأنكم اعجفتم اولادها .

قال : وكتب عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين إلى عمرو بن العاصي ، يعلمه ما فيه اهل المدينة من الجهد ، ويأمره ان يحمل ما يقبض من الطعام في الخراج إلى المدينة في البحر ، فكان ذلك يُحمل ويحمل معه الزيت ، فاذا ورد الجار تولى قبضه سعد الجار ، ثم جعل في دار بالمدينة ، وقسم بين الناس بمكيال ، فانقطع ذلك في الفتنة الأُولى ، ثم حمل في ايام معاوية ويزيد ، ثم انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ، ثم لم يزل يحمل إلى خلافة ابي جعفر وقُبَيْلها .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثني ابو صالح عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن ابي حبيب : ان اهل الجزية بمصر صولحوا في خلافة عمر بعد الصلح الأول مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على دينارين دينارين ، فألزم كل رجل اربعة دنانير فرضوا بذلك واحبوه .

وحدثني ابو ايوب الرقي ، قال : حدثني عبد الغفار الحراني ، عن ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن

الجيشاني ، قال : سمعت جماعة ممن شهد فُتح مصر يخبرون ان عمرو بن العاصي لما فتح الفسطاط ، وجه عبد الله بن حذافة السهمي إلى عين شمس ، فغلب على ارضها ، وصالح اهل قراها على مثل حكم الفسطاط ووجه خارجة ابن حذافة العدوي إلى الفَيُّوم والأَشمونين واخميم والبشرودات ، وقرى الصعيد ، ففعل مثل ذلك ، ووجه عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس ودمياط وتُونة(١) ودَميرة وشَطَا ودقهلة وبَنَا وبوصير ، ففعل مثل ذلك ، ووجه عقبة بن عامر الجهني ، ويقال : وردان مولاه صاحب سوق وردان بمصر إلى سائر قرى اسفل الأَرض ففعل مثل ذلك ، فاستجمع عمرو بن العاصي فتح مصر ، فصارت ارضها ارض خراج .

وحدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الغفار الحراني عن ابن لهيعة عن إبراهيم بن محمد عن ايوب ابن ابي العالية عن ابيه ، قال : سمعت عمرو بن العاصي

(١) تونة بضم التاء : قرية بقرب دمياط وهي اليوم اسم بلا جسم . وبها ولد الحافظ المحدث عبد المؤمن بن خلف الدمياطي قدس الله سره .

يقول على المنبر : لقد قعدت مقعدي هذا ، وما لأحد من قبط مصر علي عهد ولا عقد ، إن شئت قتلت وإن شئت خمّست ، وإن شئت بعت ، إلا اهل أنْطابُلُس فان لهم عهداً يوفى لهم به .

وحدثني القاسم بن سلام قال : حدثني به عبد الله ابن صالح عن موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه، قال : المغرب كلُّه عنوة .

حدثنا أبو عبيد ، عن سعيد بن أبي مريم عن ابن لهيعة، عن الصلت بن أبي عاصم كاتب حيان بن شريح انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيان وكان عامله على مصر : إن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

وحدثني أبو عبيد ، قال حدثنا سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن أبي جعفر ، قال : كتب معاوية إلى وَرْدان مولى عمرو أن زد على كل امرىء من القبط قيراطاً . فكتب إليه : كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم ؟ !

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، عن عبد الحميد ابن جعفر ، عن أبيه قال: سمعت عروة بن الزبير يقول: أقمت بمصر سبع سنين ، وتزوجت بها ، فرأيت أهلها مجاهيد قد حمل عليهم فوق طاقتهم ، وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد وشيء مفروض عليهم .

وحدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي عِلاَقة ، عن عقبة ابن عامر الجهني، قال : كان لأهل مصر عهد وعقد كتب لهم عمرو : انهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم ، لا يباع منهم أحد ،وفرض عليهم خراجاً لا يزاد عليهم ، وان يدفع عنهم خوف عدوهم ، قال عقبة : وأنا شاهد على ذلك .

وحدثني الحسين بن الأسود قال : حدثني يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد ابن أبي حبيب عمّن سمع عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة ، قال سمعت سفيان بن وهب الخولاني يقول : لما افتتحنا مصر بلا عهد ، قال الزبير بن العوام فقال :

ياعمرو اقسمها بيننا ، فقال عمرو : لا والله لا أقسمها حتى أكتب إلى عمر ، فكتب إلى عمر فكتب إليه في جواب كتابه أن أقرها حتى يغزو منها حَبَل الحَبَلة ، أو قال يغدو .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي محمد بن عمر ، عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده ، قال : فتح عمرو بن العاصي مصر سنة عشرين ومعه الزبير ، فلما فتحها صالحه أهل البلد على وظيفة وظفها عليهم ، وهي ديناران على كل رجل . وأخرج النساء والصبيان من ذلك ، فبلغ خراج مصر في ولايته ألفي ألف دينار فكان بعد ذلك يبلغ أربعة آلاف ألف دينار .

حدثني أبو عبيدة ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يريد ابن أبي حبيب : أن المقوقس صاحب مصر صالح عمرو بن العاصي على أن فرض على القبط القبط دينارين دينارين ، فبلغ ذلك هرقل صاحب الروم فسخط أشد السخط ، وبعث الجيوش إلى الإسكندرية وأغلقها ، ففتحها عمرو بن العاصي عنوة .

حدثني ابن القتات وهو أبو مسعود عن الهيثم عن المجالد عن الشعبي أن علي بن الحسين أو الحسين نفسه كلّم معاوية في جزية أهل قرية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر فوضعها عنهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصى بالقبط خيراً .

حدثني عمرو عن عبد الله بن وهب ، عن مالك والليث ، عن الزهري ، عن ابن لكعب بن مالك أن النبي صلى لله عليه وسلم ، قال : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذِمّة ورحماً ، وقال الليث : كانت أم إبراهيم منهم . أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن المبارك ، قال : كان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله إذا ولاّهم ثم يقاسمهم مازاد على ذلك ، وربما أخذه منهم ، فكتب إلى عمرو بن العاصي أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر ، فكتب إليه عمرو : إن أرضنا أرض مزدرع ومتّجر ، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا ، فكتب إليه : إني قد خبرت من عمّال السوء ما كفى ،

وكتابك إلي كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سُؤْتُ بك ظناً ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك . فأطلعه طلعه وأخرج إليه ما يطالبك بها واعفه من الغلظة عليك ، فانه برّح الخفاء ، فقاسمه ماله ، المدائني عن عيسى بن يزيد ، قال : لما قاسم محمد بن مسلمة عمرو بن العاصي . قال عمرو : إن زماناً عاملنا فيه ابن حنتمة هذه المعاملة لزمان سوء ، لقد كان العاصي يلبس الخز بكفاف الديباج ، فقال محمد : مه لولا زمان ابن حنتمة هذا الذي تكرهه الفيت معتقلاً عنزاً بفناء بيتك يسرك غزرها ، ويسوءك بكاؤها ، قال : أنشدك الله أن لا تخبر عمر بقولي ، فان المجالس بالأمانة ، فقال : لا أذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حي .

وحدثني عمرو الناقد . عن عبد الله بن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن عبد الله بن هبيرة أن مصر فتحت عنوة .

وحدثني عمرو ، عن بن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن ابن أنعم عن أبيه عن جده وكان ممن شهد فتح مصر ، قال : فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد .

* * *

فتح الإسكندرية

قالوا : لما افتتح عمرو بن العاصي مصر أقام بها ثم كتب إلى عمر بن الخطاب يستأمره في الزحف إلى الإسكندرية ، فكتب إليه يأمره بذلك فسار إليها في سنة إحدى وعشرين واستخلف على مصر خارجة بن حذافة ابن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي ابن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان من دون الإسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له ، وقالوا : نغزوه بالفسطاط قبل أن يبلغنا ويروم الاسكندرية ، فلقيهم بالكِرْيَوْن ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وكان فيهم من أهل سَخَا وبِلْهيت والخَيْس وسُلْطَيْس وغيرهم قوم رفدوهم وأعانوهم ، ثم سار عمرو حتى انتهى إلى

الإسكندرية . فوجد أهلها معدّين لقتاله إلا أن القبط في ذلك يحبون الموادعة ، فأرسل إليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدة فأبى عمرو ذلك . فأمر المقوقس النساء أن يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن إلى داخله ، وأقام الرجال في السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبهم بذلك ، فأرسل إليه عمرو وإنا قد رأينا ما صنعت ، وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من أمره ما كان ، فقال المقوقس لأصحابه : قد صدق هؤلاء القوم ، أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية ، فنحن أولى بالإذعان ، فأغلظوا له القول ، وأبوا إلا المحاربة ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً وحصروهم ثلاثة أشهر ، ثم إن عَمْراً فتحها بالسيف ، وغنم مافيها . واستبقى أهلها ولم يقتل ولم يسب ، وجعلهم ذمة كأهل اليُونة ، فكتب إلى عمر بالفتح مع معاوية بن خديج الكندي ثمّ السكوني وبعث إليه معه بالخُمسْ .

ويقال : إنّ المقوقس صالح عَمْراً على ثلاثة عشر ألف دينار ، على أن يخرج من الإسكندرية من أراد

الخروج ، ويقيم بها من أحب المقام ، وعلى أن يفرض على كل حالم من القبط دينارين فكتب لهم بذلك كتاباً ، ثمّ إن عمرو بن العاصي استخلف على الإسكندرية عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي في رابطة من المسلمين وانصرف إلى الفسطاط ، وكتب الروم إلى قسطنطين ابن هرقل، وهو كان الملك يومئذ يخبرونه بقلة من عندهم من المسلمين ، وبما هم فيه من الذلة وأداء الجزية ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له مَنْويل في ثلثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة فدخل الإسكندرية وقتل من بها من روابط المسلمين ، إلا من لطف للهرب فنجا . وذلك في سنة خمس وعشرين ، وبلغ عَمْراً الخبر ، فسار إليهم في خمسة عشر ألفاً ، فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيما يلي الإسكندرية من قرى مصر ، فلقيهم المسلمون فرشقوهم بالنشّاب ساعة ، والمسلمون متترسون ، ثمّ صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن أولئك الكفرة ولّوا منهزمين ، فلم يكن لهم ناهية

ولا عرجة(١) دون الإسكندرية ، فتحصنوا بها ونصبوا العرّادات فقاتلهم عمرو عليها أشد قتال ، ونصب المجانيق، فأخذت جُدُرها ، وألح بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوة ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرية ، وهرب بعض رومها إلى الروم وقتل عدو الله منويل ، وهدم عمرو والمسلمون جدار الإسكندرية . وكان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلنّ ذلك .

وقال بعض الرواة إنّ هذه الغزاة كانت في سنة ثلاث وعشرين ، وروى بعضهم أنهم نقضوا في سنة ثلاث وعشرين ، وسنة خمس وعشرين والله أعلم ، قالوا : ووضع عمرو على أرض الإسكندرية الخراج وعلى أهلها الجزية ، وروي إن المقوقس اعتزل أهل الإسكندرية حين نقضوا . فأقرّه عمرو ومن معه على أمرهم الأول ، وروي أيضاً إنّه قد كان مات قبل هذه الغزاة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن حيان بن شريح عن عمر بن عبد

(١) فلم يكن لهم ملجأ دون الإسكندرية .

العزيز رضي الله عنه أنه قال : لم نفتتح قرية من المغرب على صلح إلا ثلاثاً : الإسكندرية وكفرطيس ، وسُلْطَيْسُ ، فكان عمر يقول : من أسلم من أهل هذه المواضع خلّي سبيله وسبيل ماله .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا ابن وهب المصري ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال : افتتح عمرو بن العاصي الإسكندرية فسكنها المسلمون في رباطهم . ثم قفلوا ، ثم غزوا وابتدروا إلى المنازل ، فكان الرجل يأتي المنزل الذي كان ينزله فيجد صاحبه قد نزله وبدر إليه ، فقال عمرو : إني أخاف أن تخرب المنازل إذا كنتم تتعاودونها(١) .

فلما غزا فصاروا عند الكِريَوْن قال لهم : سيروا على بركة الله فمن ركز منكم رمحا في دار فهي له ولبني أبيه ، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في بعض بيوتها ، ويأتي الآخر فيركز رمحه كذلك أيضاً ، فكانت

---

(١) المعاودة : الرجوع إلى الأمر الأول ، (اللسان : عود) ، فالمعنى : ترجعون إليها .

الدار بين النفسين والثلاثة . فكانوا يسكنونها فاذا قفلوا سكنها الروم ، فكان يزيد بن أبي حبيب يقول : لا يحل لأحد شيء من كرائها ولا تباع ولا تورث ، إنما كانت لهم سكنى أيام رباطهم ، فلما كان قتالها الآخر وقدمها منويل الرومي الخصي أغلقها أهلها ففتحها عمرو وأخرب سورها ، قالوا : ولما ولي عمرو وردان مولاه الإسكندرية ورجع الفسطاط ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتاه عزله ، فولى عثمان بعده عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث أحد بني عامر بن لؤي ، مكان أخا عثمان من الرضاعة، وكانت ولايته في سنة خمس وعشرين ويقال : إن عبد الله بن سعد كان على خراج مصر من قبل عثمان ، فجرى بينه وبين عمرو كلام ، فكتب عبد الله يشكو عمْراً فعزله عثمان ، وجمع العملين لعبد الله بن سعد . وكتب إليه يعلمه أن الإسكندرية فتحت مرة عنوة وانتقضت مرتين، ويأمره أن يلزمها رابطة لا تفارقها ، وأن يدر عليهم الأرزاق ويعقب بينهم في كل ستة أشهر .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي أن ابن هُرْمُز الأعرج القارئ كان يقول : خير سواحلكم رباطا الإسكندرية ، فخرج إليها من المدينة مرابطاً ، فمات بها سنة سبع عشرة ومائة .

وحدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الله بن صالح ، عن موسى بن علي ، عن أبيه ، قال : كانت جزية الإسكندرية ثمانية عشر ألف دينار ، فلما كانت ولاية هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار .

حدثني عمرو ، عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : كان عثمان عزل عمرو ابن العاصي عن مصر ، وجعل عليها عبد الله بن سعد ، فلما نزلت الروم الإسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقرّ عَمْراً حتى يفرغ من قتال الروم ، لأن له معرفة بالحرب وهيبة في أنفس العدو ، ففعل حتى هزمهم ، فأراد عثمان أن يجعل عَمْراً على الحرب ، وعبد الله على الخراج فأبى ذلك عمرو ، وقال : أنا كماسك قرني

البقرة والأمير يحابها ، فولي عثمانُ ابنَ سعد مصر ، ثم أقامت الحبش من البيما بعد فتح مصر يقاتلون سبع سنين ما يقدر عليهم لما يفجرون من المياه في الغياض ، قال عبد الله بن وهب : وأخبرني الليث بن سعد ، عن موسى بن علي ، عن أبيه أن عمراً فتح الإسكندرية الفتح الآخر عنوة في خلافة عثمان بعد وفاة عمر رحمه الله .

* * *

فتح برقة وزويلة

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن عبد لله بن هبيرة ، قال : لما فتح عمرو بن العاصي الإسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة وهي مدينة انطابُلُس (١) ، فصالح اهلها على الجزية ، وهي ثلاثة عشر الف دينار ، يبيعون فيها من ابنائهم من أحبوا بيعه .

حدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن سهيل بن عقيل ، عن عبد الله بن هبيرة ،

---

(١) أنطابلس : (ومعناها بالرومية : خمس مدن) ، مدينة بين الإسكندرية وبرقة ، وقيل هي مدينة ناحية برقة ، (معجم البلدان : ١ / ٢٦٦) .

قال : صالح عمرو بن العاصي أهل أنطابلس ومدينتها برقة . وهي بين مصر وإفريقية بعد ان حاصرهم وقاتلهم على الجزية على أن يبيعوا من ابنائهم من أرادوا في جزيتهم وكتب لهم بذلك كتاباً .

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن مسلمة بن سعيد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والي مصر من غير ان يأتيهم حاث او مستحث ، فكانوا اخصب قوم بالمغرب ، ولم يدخلها فتنة ، قال الواقدي : وكان عبد الله بن عمرو ابن العاصي يقول : لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة، فما أعلم منزلاً أسلم ولا اعزل منها .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح ، قال : كتب عمرو بن العاصي إلى عمر بن الخطاب يعلمه انه قد ولى عقبة بن نافع الفهري المغرب ، فبلغ زويلة ، وان من بين زويلة وبرقة سلم كلهم ، حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن

بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه ، وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها في الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر ، وأن يؤخذ فتحمل من ارض المسلمين العشر ونصف العشر ، ومن اهل الصلح صلحهم .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : سألت عبد الله بن صالح عن البربر ، فقال : هم يزعمون أنهم ولد بر بن قيس وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بر ، وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام ، وكانت منازلهم على أيادي الدهر فلسطين ، وهم أهل عمود ، فأتوا المغرب فتناسلوا به .

حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاصي ، كتب في شرطه على أهل لواتة من البربر من أهل برقة ، أن عليكم أن تبيعوا أبناءكم

ونساءكم فيما عليكم من الجزية ، قال الليث : فلو كانوا عبيداً ما حل ذلك منهم .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن عبد العزيز كتب في اللواتيات : إن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليرددها إلى أهلها ، قال : ولَوَاتَة قرية من البربر كان لهم عهد .

فتح أطرابلس

حدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن طلحة ، قال : سار عمرو ابن العاصي حتى نزل أطرابلس(١) في سنة اثنتين وعشرين فقوتل ، ثم افتتحها عنوة وأصاب بها أحمال بزيون كثيرة مع تجار من تجارها ، فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين ، وكتب إلى عمر بن الخطاب « إنا قد بلغنا أطرابلس وبينها وبني إفريقية تسعة ايام ، فإن رأى امير المومنين ان يأذن لنا في غزوها فعل، فكتب إليه ينهاه عنها ويقول : ماهي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها،وذلك ان اهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً . وكان ملك الأندلس صالحهم ثم غدر بهم ، وكان خبرهم قد بلغ عمر .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ، عن الليث بن سعد ، قال : حدثني مشيختنا أن أطرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاصي .

(١) أطرابلس : مدينة في آخر برقة ، وأول أرض إفريقية ، (معجم البلدان : ١ / ٢١٧) ، إنها طرابلس الغرب حالياً ، وإفريقية هنا : تونس حالياً .

فتح إفريقية

قالوا : لما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر والمغرب ، بعث المسلمين في جرائد خيل . فأصابوا من أطراف إفريقية وغنموا ، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه متوقفاً عن غزوها ، ثمّ إنه عزم على ذلك بعد ان استشار فيه ، وكتب إلى عبد الله في سنة سبع وعشرين ، ويقال : في سنة ثمان وعشرين ، ويقال في سنة تسع وعشرين ، يأمره بغزوها وأمدّه بجيش عظيم فيه مَعبد ابن العباس بن عبد المطلب ، ومروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، والحارث بن الحكم أخوه ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، والمِسوَر ابن مخرمة ابن نوفل ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وعبد الرحمن

ابن زيد بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعاصم بن عمر ، وعبيد الله بن عمر . وعبد الرحمن ابن أبي بكر ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ، وبسر بن أبي أرطاة بن عويمر العامري، وأبو ذؤيب خويلد ابن خالد الهذلي الشاعر ، وبها توفي فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه في لحده ، وخرج في هذه الغزاة ممن حول المدينة من العرب خلق كثير .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، عن أسامة بن زيد بن أسلم ، عن نافع مولى آل الزبير ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : أغزانا عثمان بن عفان إفريقية وكان بها بطريق سلطانه من أطرابلس إلى طنجة ، فسار عبد الله ابن سعد بن أبي سرح حتى حل بعقوبة فقاتله أياماً فقتله الله ، وكنت أنا الذي قتلته ، وهرب جيشه فتمزقوا ، وبث ابن أبي سرح السرايا . ففرقها في البلاد ، فأصابوا غنائم كثيرة ، واستاقوا من المواشي ما قدروا عليه ، فلما رأى ذلك عظماء إفريقية اجتمعوا فطلبوا إلى عبد الله بن

سعد أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار من ذهب ، على أن يكف عنهم ، ويخرج من بلادهم فقبل ذلك .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيد الليثي عن ابن كعب أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح صالح بَطريقَ إفريقية على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف(١) . وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن موسى بن ضمرة المازني عن أبيه ، قال : لما صالح عبد الله بن سعد بَطريق إفريقية رجع إلى مصر ولم يول على إفريقية أحداً ، ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مِصرٌ جامع .

قال : فلما قتل عثمان وولي أمر مصر محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة لم يوجه إليها أحداً . فلما ولي معاوية بن أبي سفيان ولّى معاوية بن حديج السكوني مصر ، فبعث في سنة خمسين عقبة بن نافع بن عبد قيس بن

(١) وقال الواقدي أن هذا الصلح بلغ ألفى ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألفا ، فدل على أن القنطار ثمانية آلاف وأربعمائة دينار .

لقيط الفهري فغزاها واختطها ، قالوا : ووجه عقبة بسر ابن أبي أرطاة إلى قلعة من القيروان(١) فافتتحها وقتل وسبى وهي اليوم تعرف بقلعة بسر ، وهي بالقرب من مدينة تدعى مجانة عند معادن الفضة .

وقد سمعت من يذكر أن موسى بن نصير وجه بسراً، وبسر ابن اثنتين وثمانين سنة إلى هذه القلعة فافتتحها ، وكان مولد بسر قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وغير الواقدي يزعم أنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم .

وقال الواقدي . ولم يزل عبد الله بن سعد والياً حتى غلب محمد بن ابي حذيفة على مصر ، وهو كان أنغلها(٢) على عثمان ثم إنّ علياً رضي الله عنه ولّى قيس بن سعد ابن عبادة الأنصاري مصر ، ثم عزله واستعمل عليها محمد ابن أبي بكر الصديق ، ثم عزله وولى مالكاً الأشتر ،

---

(١) القيروان : مدينة عظيمة بإفريقية (بتونس) مصرت أيام معاوية بن أبي سفيان ، (معجم البلدان : ٤ / ٤٢٠) .

(٢) أنغلها : أفسدها ، (اللسان : نغل) .

فاعتل بالقُلزُم(١) . ثم ولّى محمد بن ابي بكر ثانية ورده عليها فقتله معاوية بن حديج وأحرقه في جوف حمار ، وكان الوالي عمرو بن العاصي من قبل معاوية بن أبي سفيان فمات عمرو بمصر يوم الفطر سنة اثنتين وأربعين . ويقال سنة ثلاث وأربعين وولّى عبد الله بن عمرو ابنه بعده . ثم عزله معاوية بن حديج ، فأقام بها أربع سنين ثم غزا فغنم ، ثم قدم مصر فوجّه عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري ، ويقال : بل ولاه معاوية المغرب فغزا إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين ، فافتتح إفريقية واختط قيروانها ، وكان موضع غيضة ذات طرفاء وشجر ، لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتّالة ، وكان ابن نافع رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة ، فدعا ربه فاذهب ذلك كلّه ، حتى إن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها .

---

(١) القلزم : مدينة السويس حالياً ، وبحر القلزم : البحر الأحمر ، انظر معجم البلدان : ٤ / ٣٨٧ .

وقال الواقدي : قلت لموسى بن علي رأيت بناء إفريقية المتصل المجتمع الذي نراه اليوم من بناه ؟ فقال : أول من بناها عقبة بن نافع الفهري . اختطها ثم بنى وبنى الناس معه الدور والمساكن . وبنى المسجد الجامع بها.

قال : وبافريقية استشهد معبد بن العباس رحمه الله في غزاة ابن أبي سرح في خلافة عثمان ، ويقال : بل مات في ايام القتال ، واستشهاده أثبت .

وقال الواقدي وغيره : عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج وولى مصر والمغرب مسلمة بن مخلد الأنصاري ، فولى المغرب أبا المهاجر مولاه ، فلما ولي يزيد بن معاوية ردّ عقبة بن نافع على عمله ، فغزا السُّوس الأدنى(١) وهو خلف طنجة(٢) ، وجول فيما هنالك لايعرض له أحد ولا يقاتله ، فانصرف ومات يزيد بن معاوية

(١) السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة ، والسوس الأقصى كورة أخرى مدينتها طرقلة ، ومن السوس الأدنى وإلى السوس الأقصى مسيرة شهرين ، وبعده بحر الرمال ، (معجم البلدان : ٣ / ٢٨٠) .

(٢) طنجة : المدينة المشهورة على مضيق جبل طارق .

وبويع لابنه معاوية بن يزيد وهو أبو ليلى فنادى : الصلاة جامعة ، ثم تبرّأ من الخلافة وجلس في بيته ومات بعد شهرين ، ثم كانت ولاية مروان بن الحكم وفتنة ابن الزبير(١) ، ثم ولي عبد الملك بن مروان فاستقام له الناس فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر فولّى إفريقية زهير بن قيس البلوي ففتح تونس ، ثم انصرف إلى برقة فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا، فتوجهوا إليهم في جريدة خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه . فقبره هناك ، وقبورهم تدعى قبور الشهداء . ثم ولى حسان بن النعمان الغساني فغزا ملكة البربر الكاهنة ، فهزمته فأتى قصوراً في حيّز برقة فنزلها . وهي قصور يضمها قصر سقوفه أزاج ، فسميت قصور حسان ، ثم إن حسان غزاها ثانية فقتلها وسبى سبياً من البربر ، وبعث به إلى عبد العزيز ، فكان أبو محجن نُصَيْب الشاعر يقول: لقد حضرت عند عبد العزيز سبياً من البربر ، ما رأيت قط وجوهاً أحسن من وجوههم .

(١) فولى عبد الله بن الزبير مصر ابن جحدم ، وهو عبد الرحمن ابن عقبة الفهري فأخرج عن مصر ، ويقال : قتل بها ، فولى مروان عقبة بن نافع .

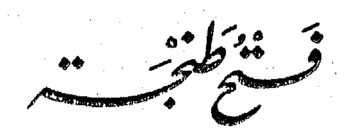
قال ابن الكلبي : ولّى هشامُ كلثومَ بن عياض بن وَحْوَحَ القشيري إفريقية فانتقض أهلها عليه فقتل بها ،

وقال ابن الكلبي : كان إفريقيس بن قيس بن صيفي الحميري غلب على إفريقية في الجاهلية ، فسميت به ، وهو الذي قتل جرجير ملكها فقال للبرابرة : ما أكثر بربرة هؤلاء ، فسموا البرابرة .

وحدثني جماعة من أهل إفريقية عن أشياخهم أن عقبة بن نافع الفهري لما أراد تمصير القيروان ، فكر في موضع المسجد منه ، فأُري في منامه كأن رجلا أذن في الموضع الذي جعل فيه مئذنته ، فلما أصبح بنى المنابر في موقف الرجل ، ثمّ بنى المسجد .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : ولى محمد ابن الأشعث الخزاعي إفريقية من قبل أبي العباس أمير المؤمنين ، فرمّ مدينة القيروان ومسجدها ، ثمّ عزله المنصور وولّى عمر بن حفص هزارمَرْد مكانه .

* * *



قال الواقدي : وجّه عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير مولى بني أمية وأصله من عين التّمر ، ويقال : بل هو من أراشة من بَلي ، ويقال هو من لَخْم والياً على إفريقية ، ويقال : بل وليها في زمن الوليد بن عبد الملك سنة تسع وثمانين ففتح طنجة ونزلها ، وهو أول من نزلها واختط فيها للمسلمين وانتهت خيله إلى السُّوس الأدنى وبينه وبين السوس الأقصى نيف وعشرون يوماً فوطئهم وسبى منهم . وأدوا إليه الطاعة ، وقبض عامله منهم الصدقة ، ثمّ ولاها طارق بن زياد مولاه وانصرف إلى قيروان إفريقية .

فتح الأندلس

قال الواقدي : غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نُصَيْر الأندلس ، وهو أوّل من غزاها . وذلك في سنة اثنتين وتسعين فلقيه أليان وهو والٍ على مجاز الأندلس ، فآمنه طارق على أن حمله وأصحابه إلى الأندلس في السفن ، فلما صار إليها حاربه أهلها ففتحها ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين ، وكان ملكها فيما يزعمون من الأشبان وأصلهم من أصبهان(١) ، ثم إن موسى بن نصير كتب إلى طارق كتاباً غليظا لتغريره بالمسلمين وافتتانه عليه بالرأي في غزوه وأمر أن لا يجاوز قرطبة وسار موسى

(١) هذا زعم ، إذ لا صلة بين الإسبان وأصبهان المدينة المعروفة في وسط إيران .

إلى قرطبة من الأندلس ، فترضاه طارق فرضى عنه .
فافتتح طارق مدينة طليطلة وهي مدينة مملكة الأندلس وهي مما يلي فرنجة ، وأصاب بها مائدة عظيمة أهداها موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك بدمشق حين قفل سنة ست وتسعين والوليد مريض ، فلما ولي سليمان ابن عبدالملك أخذ موسى بن نصير بمائة ألف دينار فكلمه فيه يزيد بن المهلب فأمسك عنـــه ، ثم لمــا كانت خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولي المغرب إسماعيل ابن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم، فسار أحسن سيره . ودعى البربر إلى الإسلام ، وكتب إليهم عمر ابن عبد العزيز كتباً يدعوهم بعد إلى ذلك فقرأها إسماعيل عليهم في النواحي ، فغلب الإسلام على المغرب .

قالوا : ولما ولي يزيد بن عبد الملك ولى يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف إفريقية والمغرب ، فقدم إفريقية في سنة اثنتين ومائة ، وكان حرسه البربر فوسم كل امرئ منهم عــلى يده حَرَسِي (١) ، فأنكروا ذلك

---

(١) الحرسي : واحد الحراس والحرس وهم خدم السلطان المرتبون لحفظه وحراسته ، (اللسان : حرس) .

وملوا سيرته ، فدبَّ بعضهم إلى بعض ، وتضافروا على قتاله فخرج ذات عشية لصلاة المغرب فقتلوه في مصلاه ، فولى يزيد بشر بن صفوان الكلبي ، فضرب عنق عبد الله بن موسى بن نصير بيزيد ، وذلك أنه اتهم بقتله وتأليب الناس عليه ، ثم ولّى هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان أيضاً ، فتوفي بالقيروان سنة تسع ومائة فولّى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن القيسي ، ثم استعمل بعده عبد الله بن الحبحاب مولى بني سلول ، فأغزى عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري السوس وأرض السودان ، فظفر ظفراً لم ير أحدٌ مثله قط ، وأصاب جاريتين من نساء ما هناك ليس للمرأة منهن إلا ثدي واحد وهم يسمون تراجان ، ثم ولى بعد ابن الحبحاب كلثوم ابن عياض القشيري فقدم إفريقية في سنة ثلاث وعشرين فقتل ، ثم ولي بعده حنظلة بن صفوان الكلبي أخا بشر بن صفوان فقاتل الخوارج وتوفي هناك وهو والٍ ، وقام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فخالف عليه عبد الرحمن بن حبيب الفهري وكان محبباً في ذلك الثغر ، لما كان من آثار

جنده عقبه بن نافع فيه ، فغلب عليه وانصرف عنه حنظلة فبقى عبد الرحمن عليه ، وولي يزيد بن الوليد الخلافة فلم يبعث إلى المغرب عاملاً . وقام مروان بن محمد فكاتبه عبد الرحمن بن حبيب ، وأظهر له الطاعة وبعث إليه بالهدايا ، وكان كاتبه خالد بن ربيعة الإفريقي ، وكان بينه وبين عبد الحميد بن يحيى مودة ومكاتبة فأقر مروان عبد الرحمن على الثغر ، ثم ولّى بعده إلياس بن حبيب ، ثم حبيب بن عبد الرحمن ، ثم غلب البربر والإباضيّة من الخوارج ثم دخل محمد بن الأشعث الخزاعي إفريقية والياً عليها في آخر خلافة أبي العباس في سبعين ألفاً ، ويقال في أربعين ألفاً فوليها أربع سنين فرمّ مدينة القيروان ، ثم وثب عليه جند البلد وغيرهم ، وسمعت من تحدث أن أهل البلد والجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم أربعين يوماً ، وهو في قصره حتى اجتمع إليه أهل الطاعة ممن كان شخص معه من أهل خراسان وغيرهم ، وظفر بمن حاربه وعرضهم على الأسماء . فمن كان اسمه معاوية أو سفيان أو مروان أو اسماً موافقاً لأسماء بني أمية

قتله ، ومن كان اسمه خلاف ذلك استبقاه فعزله المنصور ، وولّى عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتكي ، وهو الذي سمي هزارمرد ، وكان المنصور به معجباً ، فدخل إفريقية وغزا منها حتى بلغ أقصى بلاد البربر . وابتنى هنالك مدينة سماها العباسية ، ثم إن أبا حاتم السدراتي الإباضي من أهل سدراتة ، وهو مولى لكندة ، قاتله فاستشهد وجماعة من أهل بيته ، وانتقض الثغر وهدمت تلك المدينة التي ابتناها ، وولي بعد هزارمرد يزيد بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب ، فخرج في خمسين ألفاً ، وشيعه أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدس . وأنفق عليه مالاً عظيماً ، فسار يزيد حتى لقي أبا حاتم بأطرابلس فقتله ودخل إفريقية فاستقامت له ، ثم ولي بعد يزيد بن حاتم روح بن حاتم ، ثم الفضل بن روح فوثب الجند عليه فذبحوه .

وحدثني أحمد بن ناقد مولى بني الأغلب ، قال : كان الأغلب بن سالم التميمي من أهل مروالرُّوذ فيمن قدم مع المسوِّدة من خراسان . فولاه موسى الهادي المغرب

فجمع له حُرَيش ، وهو رجل كان من جند الثغر من تونس جمعاً ، وسار إليه وهو بقيروان إفريقية فحصره ، ثم إن الأغلب خرج إليه فقاتله فأصابه في المعركة سهم فسقط ميتاً وأصحابه لايعلمون بمصابه ، ولم يعلم به أصحاب حريش ، ثم إن حريشاً انهزم وجيشه ، فاتبعهم أصحاب الأغلب ثلاثة أيام فقتلوهم وقتلوا حريشاً بموضع يعرف بسوق الأحد فسمّي الأغلب الشهيد ، قال : وكان إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر فوثب واثنا عشر رجلاً معه . فأخذوا من بيت المال مقدار أرزاقهم لم يزدادوا على ذلك شيئاً وهربوا فلحقوا بموضع يقال له الزّاب ، وهو من القيروان على مسيرة أكثر من عشرة أيام ، وعامل الثغر يومئذ من قبل الرشيد هارون هرثمة ابن أعين ، واعتقد إبراهيم بن الأغلب على من كان من تلك الناحية من الجند وغيرهم الرياسة وأقبل يهدي إلى هرثمة ويلاطفه ويكتب إليه يعلمه أنه لم يخرج يداً من طاعة ، ولا اشتمل على معصية ، وإنه إنما دعاه إلى ما كان منه الأحواج والضرورة فولاه هرثمة ناحيته واستكفاه

أمرها ، فلما صرف هرثمة من الثغر وليه بعده ابن العكّي فساء أثره فيه ، حتى انتقض عليه ، فاستشار الرشيد هرثمة في رجل يوليه إياه ويقلده أمره ، فأشار عليه باستصلاح إبراهيم واصطناعه وتوليته الثغر ، فكتب إليه الرشيد يعلمه أنه قد صفح له عن جرمه وأقاله هفوته ، ورأي توليته بلاد المغرب اصطناعاً له ليستقبل به الإحسان ويستقبل به النصيحة ، فولى إبراهيم ذلك الثغر وقام به وضبطه ، ثمّ إن رجلاً من جند البلد يقال له عمران بن مجالد خالف ونقض ، فانضم إليه جند الثغر وطلبوا أرزاقهم وحاصروا إبراهيم بالقيروان ، فلم يلبثوا أن أتاهم العُرّاض والمعطون ومعهم مال من خراج مصر . فلما أعطوا تفرقوا فابتنى إبراهيم القصر الأبيض الذي في قبلة القيروان على ميلين منها ، وخط للناس حوله فابتنوا ومصّر ما هناك . وبنى مسجداً جامعاً بالجص والآجر وعمد الرخام ، وسقفه بالأرز وجعله مائتي ذراع في نحو مائتي ذراع وابتاع عبيداً اعتقهم ، فبلغوا خمسة آلاف وأسكنهم حوله وسمّى تلك المدينة العباسية ، وهي اليوم آهلة عامرة .

وكان محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب أحدث في سنة تسع وثلاثين ومائتان مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية أيضاً . فأخربها أفلح بن عبد الوهاب الإباضي ، وكتب إلى الأموي صاحب الأندلس يعلمه ذلك تقربا إليه به ، فبعث إليه الأموي مائة ألف درهم .

وبالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة ، وبينها وبين برقة مسيرة خمسة عشر يوماً أو أقل من ذلك قليلاً أو أكثر قليلاً ، وبها مدينة على شاطىء البحر تدعى بارة ، وكان أهلها نصارى وليسوا بروم ، غزاها جبلة مولى الأغلب فلم يقدر عليها ، ثم غزاها خَلْفُون البربري ، ويقال : إنه مولى لربيعة ، ففتحها في أول خلافة المتوكل على الله ، وقام بعده رجل يقال له المرج بن سلام ففتح أربعة وعشرين حصناً واستولى عليها ، وكتب إلى صاحب البريد بمصر يعلمه خبره . وأنه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويوليه إياها ليخرج من حد المتغلبين ، وبنى مسجداً جامعاً ، ثم إن أصحابه شغبوا عليه فقتلوه ، وقام بعده سوران فوجه

رسوله إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله يسأله عقداً وكتابَ ولاية ، فتوفي قبل أن ينصرف رسوله إليه وتوفي المنتصر بالله .

وكانت خلافته ستة أشهر ، وقام المستعين بالله أحمد ابن محمد بن المعتصم بالله ، فأمّر عامله على المغرب ، وهو أوتامش مولى أمير المؤمنين ، بأن يعقد له على ناحيته ، فلم يشخص رسوله من (سُرَّ من رأى)(١) حتى قتل أوتامش وولى الناحية وصيف مولى أمير المؤمنين ، فعقد له وأنفذه .

* * *

(١) عاصمة العباسيين من عام ٨٢٣ م (أيام المعتصم) ، وحتى المعتمد ٨٩٢ م ، انتقلت العاصمة من بغداد إلى سامراء (سر من رأى) .

فتح جزائر البحر

قالوا : غزا معاوية بن حُدَيج الكندي أيام معاوية ابن أبي سفيان سِقِلِّيَّة(١) وكان أول من غزاها . ولم ولم تزل تُغْزَى بعد ذلك ، وقد فتح آل الأغلب بن سالم الإفريقي منها نيفاً وعشرين مدينة وهي في أيدي المسلمين ، وفتح أحمد بن محمد بن الأغلب منها في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله قصريانة وحصن غليانة ، وقال الواقدي : سبى عبد الله بن قيس بن مخلد الدِزَقي سقلية . فأصاب أصنام ذهب وفضة مكللة

(١) صقلية : جزيرة شمالي تونس في البحر المتوسط ، جنوبي إيطالية .

بالجوهر ، فبعث بها إلى معاوية ، فوجه بها معاوية إلى البصرة ، لتحمل إلى الهند ، فتباع هناك ليثمن بها ، قالوا : وكان معاوية بن أبي سفيان يُغزي براً وبحراً ، فبعث جُنادة بن أبي أمية الأزدي إلى رودُس(١) ، وجنادة أحد من روى عنه الحديث ولقي أبا بكر وعمر ومعاذ بن جبل ، ومات في سنة ثمانين ففتحها عنوة ، وكانت غيضة في البحر وأمره معاوية فأنزلها قوماً من المسلمين ، وكان ذلك في سنة اثنتين وخمسين ، قالوا : ورودس من أخصب الجزائر . وهي نحو ستين ميلاً فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي وغيره ، قالوا : أقام المسلمون برودس سبع سنين في حصن اتخذ لهم ، فلما مات معاوية كتب يزيد إلى جنادة يأمره بهدم الحصن والقفل(٢) ، وكان معاوية يعاقب بين الناس فيها(٣) ،

---

(١) رودس : جزيرة قرب السواحل الجنوبية لتركية ، بين المتوسط وبحر إيجة .
(٢) القفل : العودة .
(٣) بالنفي أو السجن .

وكان مجاهد بن جبر مقيما بها يقرىء الناس القرآن ، وفتح جنادة بن أبي أمية في سنة أربع وخمسين أرواد وأسكنها معاوية المسلمين ، وكان ممن فتحها مجاهد وتُبَيع ابن امرأة كعب الأحبار . وبها أقرأ مجاهد تبيعاً القرآن، ويقال : إنه أقرأه القرآن برودس وأرواد جزيرة بالقرب من القسطنطينية(١) ، وغزا جنادة أقريطش(٢) ، فلما كان زمن الوليد فتح بعضها ثم أغلق وغزاها حميد بن معيوق الهمداني في خلافة الرشيد ففتح بعضها،ثم غزاها في خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالأقريطشي ، وافتتح منها حصناً واحداً ونزله، ثم لم يزل يفتح شيئاً بعد شيء حتى لم يبق فيها من الروم أحد وأخرب حصونهم .

* * *

---

(١) أرواد جزيرة قبالة شاطىء بلاد الشام ، تأخر فتحها لمناعة تحصينها .

(٢) أقريطش : جزيرة كريت في البحر المتوسط .

يوم القادسية

قالوا : كتب المسلمون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس ، ويسألونه المدد ، فأراد أن يغزو بنفسه وعسكر لذلك ، فأشار عليه العباس بن عبد المطلب ، وجماعة من مشايخ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمقام ، وتوجيه الجيوش والبعوث ففعل ذلك ، وأشار عليه علي بن أبي طالب بالمسير ، فقال له : إني قد عزمت على المقام وعرض على علي رضي الله عنه الشخوص فأباه ، فأراد عمر توجيه سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل العدوي ، ثم بدا له فوجه سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك ابن أُهَيب ابن عبدمناف بن زهرة بن كلاب ، وقال : إنه رجل شجاع

رام(١) ويقال : إن سعيد بن زيد بن عمرو كان يومئذ بالشام غازياً ، قالوا : وسار إلى العراق فأقام بالثعلبية ثلاثة أشهر حتى تلاحق به الناس، ثم قدم العُذيب في سنة خمس عشرة(٢) ، وكان المثنى بن حارثة مريضاً فأشار عليه بأن يحارب العدو بين القادسية والعذيب ، ثمّ اشتدّ وجعه، فحمل إلى قومه فمات فيهم ، وتزوّج سعد امرأته .

قال الواقدي : توفي المثنى قبل نزول رستم القادسية ، قالوا : وأقبل رستم وهو من أهل الري ، ويقال بل هو من

---

(١) سعد بن أبي وقاص : أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين عينهم عمر رضي الله عنه للخلافة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وفي أحد أجلسه صلى الله عليه وسلم أمامه ، يعطيه السهام ويقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته ، وأجب دعوته ، ارم فداك أبي وأمي ، فرمى سعد رضي الله عنه يوم أحد ألف سهم ، ما منها سهم إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ارم فداك أبي وأمي ففداه ذلك اليوم ألف مرة ، وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد ، ويقول : هذا سعد خالي — لأنه من بني زهرة — فليرني امرؤ خاله ، وكان رضي الله عنه إذا غاب يقول صلى الله عليه وسلم : مالي لا أرى الصبيح المليح الفصيح (البداية والنهاية : ٤ / ٢٧ ، السيرة النبوية والآثار المحمدية : ٢ / ٤١ و ٤٥) .

(٢) هذا خطأ ، صوابه : القادسية في المحرم ١٤ هـ = صيف ٦٣٥ م .

أهل همذان فنزل برُس ، ثم سار فأقام بين الحيرة والسَّيْلَحَيْن اربعة أشهر لا يقدم على المسلمين ولا يقاتلهم والمسلمون معسكرون بين العذيب والقادسية ، وقدم رستم ذا الحاجب فكان معسكراً بطيزناباذ ، وكان المشركون زهاء مائة ألف وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثون فيلاً ورايتهم العظمى التي تدعى درَفشكابيان ، وكان جمع المسلمون ما بين تسعة آلاف إلى عشر آلاف فاذا احتاجوا إلى العلف والطعام اخرجوا خيولاً في البر فأغارت على اسفل الفرات ، وكان عمر يبعث إليهم من المدينة الغنم والجزر ، قالوا : وكانت البصرة قد مصرت فيما بين النُّخيلة ويوم القادسية مصّرها عتبة بن غزوان ، ثم استأذن للحج وخلّف المغيرة ابن شعبة فكتب عمر بعهده فلم يلبث أن قرف(١) بما قرف به فولّى أبا موسى البصرة ، وأشخص المغيرة إلى المدينة ، ثم إن عمر رده ومن شهد عليه إلى البصرة ، فلما حضر يوم القادسية كتب عمر إلى أبي موسى يأمره بامداد سعد فأمده بالمغيرة في ثمانمائة ، ويقال في أربعمائة

(١) قرف : اتهم ، (اللسان : قرف) .

فشهدها ، ثم شخص إلى المدينة فكتب عمر إلى أبي عبيدة ابن الجراح فأمد سعداً بقيس ابن هبيرة بن المكشوح المرادي ، فيقال : إنه شهد القادسية ، ويقال : بل قدم على المسلمين وقد فرغ من حربها وكان قيس في سبعمائة.

وكان يوم القادسية في آخر سنة ست عشرة(١) ، وقد قيل إن الذي أمد سعداً بالمغيرة عتبة بن غزوان ، وإن المغيرة إنما ولي البصرة بعد قدومه من القادسية ، وإن عمر لم يخرجه من المدينة حين أشخصه اليها لما قرف به إلا والياً على الكوفة .

وحدثني العباس بن الوليد النَرْسي ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد عن مجالد عن الشعبي ، قال : كتب عمر إلى أبي عبيدة ابعث قيس بن مكشوح إلى القادسية فيمن انتدب معه ، فانتدب معه خلق ، فقدم متعجلاً في سبعمائة ، وقد فتح على سعد فسألوه الغنيمة ، فكتب إلى عمر في ذلك فكتب إليه عمر : إن كان قيس قدم قبل دفن القتلى فاقسم له نصيبه ، قالوا : وأرسل رستم

(١) خطأ ، صوابه ما ذكرناه قبل حاشيتين : (المحرم ١٤ هـ) .

إلى سعد يسأله توجيه بعض أصحابه إليه ، فوجّه المغيرة ابن شعبة ، فقصد قصد سريره ليجلس معه عليه ، فمنعته الأساورة من ذلك ، وكلمه رستم بكلام كثيرة ، ثم قال له : قد علمت انه لم يحملكم على ما انتم فيه إلا ضيق المعاش ، وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تتشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون ، فقال المغيرة : إن الله بعث إلينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته واتباعه ، وأمرنا بجهاد من خالف ديننا (حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرُون) ، ونحن ندعوك إلى عبادة الله وحده ، والإيمان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت ، وإلا فالسيف بيننا وبينكم ، فنخر رستم غضباً ، ثم قال . والشمس والقمر لا يرتفع الضحى غداً حتى نقتلكم أجمعين ، فقال المغيرة : لا حول ولا قوة إلا بالله وانصرف عنه ، وكان على فرس له مهزول وعليه سيف مَعْلوب(١) ملفوف عليه الخرق .

(١) علب السيف والسكين والرمح يعلبه ويعلبه علباً ، فهو معلوب ، وعلبه : حزم مقبضه بعلباء البعير ، فهو معلب ، والعلباء هو العصب ، قال ابن الأثير : هو عصب في العنق يأخذ إلى الكاهل ، وكانت تشد على أجفان سيوفها العلابي الرطبة ، فتجف عليها وتشد بها الرماح إذا تصدعت فتيبس ، (اللسان : علب) .

وكتب عمر إلى سعد يأمره بأن يبعث إلى عظيم الفرس قوماً يدعونه إلى الإسلام ، فوجه عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، والأشعث بن قيس الكندي في جماعة، فمروا برستم فأتى بهم ، فقال . اين تريدون ، قالوا : صاحبكم ، فجرى بينهم كلام كثير حتى قالوا إن نبينا قد وعدنا أن نغلب على ارضكم فدعا بزبيل من تراب ، فقال : هذا لكم من ارضنا ، فقام عمرو بن معدي كرب مبادراً فبسط رداءه وأخذ من ذلك التراب فيه وانصرف، فقيل له ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال : تفاءلت بأن أرضهم تصير إلينا ونغلب عليها ، ثم اتوا الملك ودعوه إلى الإسلام فغضب وامرهم بالانصراف ، وقال : لولا انكم رسل لقتلتكم ، وكتب إلى رستم يعنفه على انفاذهم إليه.

ثم إن علافة المسلمين وعليها زُهْرة بن حويّة بن عبد الله بن قتادة التميمي ثم السعدي ، ويقال : كان عليها قتادة بن حوية لقيت خيلاً للأعاجم فكان ذلك سبب الوقعة أغاثت الأعاجم خيلها وأغاث المسلمون علافتهم ، فالتحمت الحرب بينهم وذلك بعد الظهر ، وحمل عمرو بن

معدي كرب الزبيدي ، فاعتنق عظيماً من الفرس فوضعه بين يديه في السرج ، وقال : أنا أبو ثور افعلوا كذا ، ثم حطّم فيلاً من الفيلة ، وقال الزموا سيوفكم خراطيمها ، فان مقتل الفيل خرطومه ، وكان سعد قد استخلف على العسكر والناس خالد بن عرفطة العذري حليف بني زهرة لعلة وجدها ، وكان مقيماً في قصر العذيب فجعلت امرأته وهي سلمى بنت حفصة من بني تيم الله بن ثعلبة امرأة المثنى ابن حارثة تقول : وامثنياه ، ولا مثنى للخيل فاطمها ، فقالت ياسعد : أغَيرة وجبنا ! وكان أبو محجن الثقفي ببَاضيع غرّبه إليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لشربه الخمر ، فتخلص حتى لحق بسعد ، ولم يكن فيمن شخص معه فيما ذكر الواقدي وشرب الخمر في عسكر سعد فضربه وحبسه في قصر العذيب ، فسأل زَبْرَاء أم ولد سعد أن تطلقه ليقاتل ثم يعود إلى حديده فأحلفته بالله ليفعلن إن أطلقته ، فركب فرس سعد ، وحمل على الأعاجم فخرق صفهم وحطم الفيل الأبيض بسيفه وسعد يراه ، فقال : اما الفرس ففرسي ، وأما الحملة فحملة أبي محجن ، ثم إنه

رجع إلى حديده ، ويقال : إن سلمى بنت حفصة اعطته الفرس . والأول أصح وأثبت .

فلما انقضى أمر رستم ، قال له سعد : والله لاضربنك في الخمر بعد ما رأيت منك ابداً ، قال : وأنا والله فلا شربتها أبداً ، وابلى طليحة بن خويلد الأسدي يومئذ وضرب الجالينوس ضربة قدت مغفرة(١) ولم تعمل في رأسه ، وقال قيس بن مكشوح : ياقوم إن منايا الكرام القتل ، فلا يكونن هؤلاء القلف اولى بالصبر وأسخى نفساً بالموت منكم ، ثم قاتل قتالاً شديداً ، وقتل الله رستم فوجد بدنه مملوءاً ضرباً وطعناً فلم يعلم من قاتله ، وقد كان مشى إليه عمرو بن معدي كرب ، وطليحة بن خويلد الأسدي ، وقرط بن جماح العبدي وضرار بن الأزور الأسدي ، وكان الواقدي يقول : قتل ضرار يوم اليمامة وقد قيل إن زهير بن عبد شمس البجلي قتله ، وقيل ايضاً إن قاتله

---

(١) المغفر زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل : هو رفرف البيضة ، وقيل : هو حلق يتقنع به المتسلح .. (اللسان : غفر) .

عوام بن عبد شمس ، وقيل إن قاتله هلال بن علّفة التيمي ، فكان قتال القادسية يوم الخميس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهرير ، وإنما سميت ليلة صفّين بها ، بها ويقال . إن قيس بن مكشوح لم يحضر القتال بالقادسية، ولكنه قدمها وقد فرغ المسلمون من القتال .

وحدثني احمد بن سلمان الباهلي ، عن السهمي عن أشياخه أن سلمان بن ربيعة غزا الشام مع أبي أُمامة الصُّدي ابن عجلان الباهلي فشهد مشاهد المسلمين هناك ، ثم خرج إلى العراق فيمن خرج من المدد إلى القادسية متعجلاً ، فشهد الوقعة وأقام بالكوفة وقتل ببلنجر .

وقال الواقدي في إسناده . خدّ(١) قوم من الأعاجم لرايتهم ، وقالوا : لا نبرح موضعنا حتى نموت ، فحمل عليهم سلمان بن ربيعة الباهلي فقتلهم وأخذ الراية ، قالوا : وبعث سعد خالد بن عرفطة على خيل الطلب ، فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا إلى برْس ونزل خالد على

---

(١) الخد والخدة والأخدود : الحفرة تحفرها في لأرض ، (اللسان : خدد) .

رجل يقال له بسطام ، فأكرمه وبره وسمي نهر هناك نهر بسطام . واجتاز خالد بالصراة فلحق جالينوس فحمل عليه كثير بن شهاب الحارثي فطعنه ويقال قتله ، وقال ابن الكلبي . قتله زهرة بن حوية السعدي وذلك اثبت ، وهرب الفُرس إلى المدائن ، ولحقوا بيزدجرد ، وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبمصاب من أصيب .

وحدثني أبو رجاء الفارسي عن أبيه عن جده ، قال : حضرت وقعة القادسية وأنا مجوسي ، فلما رمتنا العرب بالنبل جعلنا نقول : دُوك دُوك نعني مغازل ، فما زالت بنا تلك المغازل حتى أزالت أمرنا ، لقد كان الرجل منا يرمي عن القوس الناوكية فما يزيد سهمها على أن يتعلق بثوب أحدهم ، ولقد كانت النبلة من نبالهم تهتك الدرع الحصينة والجوشن(١) المضاعف مما علينا .

* * *

(١) الجوشن : الدرع ، (اللسان : جشن) .

فتح المدائن

قالوا : مضى المسلمون بعد القادسية فلما جاوزوا دير كعب لقيهم النخير خان إليها ، وبدأ في جمع عظيم من أهل المدائن ، فاقتتلوا وعانق زهير بن سليم الأزدي النخير خان فسقط إلى الأرض ، وأخذ زهير خنجرا كان في وسط النخير خان فشق بطنه فقتله ، وسار سعد والمسلمون فنزلوا ساباط واجتمعوا بمدينة بَهُرَسير ، وهي المدينة التي في شق الكوفة ، فأقاموا تسعة أشهر ويقال ثمانية عشر شهراً ، حتى أكلوا الرطب مرتين ، وكان أهل تلك المدينة يقاتلونهم فاذا تحاجزوا دخلوها ، فلما فتحها المسلمون أجمع يزدجرد بن شهريار ملك فارس على الهرب فُدلّي من أبيض المدائن في زبيل فسماه النبط برزبيلا ،

ومضى إلى حلوان ومعه وجوه أساورته ، وحمل معه بيت ماله ، وخف متاعه وخزانته والنساء والذراري ، وكانت السنة التي هرب فيها سنة مجاعة وطاعون عم أهل فارس، ثم عبر المسلمون خوضاً ففتحوا المدينة الشرقية .

حدثني عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، قال : أخبرنا أبو وائل ، قال : لما انهزم الأعاجم من القادسية اتبعناهم فاجتمعوا بكُوثَى فاتبعناهم ثمّ انتهينا إلى دجلة ، فقال المسلمون : ما تنتظرون بهذه النطفة أن نخوضها فخضناها فهزمناهم .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن ابن عجلان ، عن أبان بن صالح ، قال : لما انهزمت الفرس من القادسية قدم فلهم المدائن فانتهى المسلمون إلى دجلة وهي تطفح بماء لم ير مثله قط ، وإذا الفرس قد رفعوا السفن والمعابر إلى الجيزة الشرقية وحرقوا الجسر ، فاغتمّ سعد والمسلمون إذ لم يجدوا إلى العبور سبيلاً . فانتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه وعبر فسبح المسلمون ، ثم أمروا أصحاب السفن فعبروا

الأثقال . فقالت الفرس : والله ما تقاتلون إلا جناً فانهزموا .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: حدثني أبو عمرو بن العلاء قالا : وجّه سعد بن أبي وقاص خالد بن عرفطة على مقدمته فلم يرد سعد حتى فتح خالد ساباط ، ثم قدم فأقام على الرومية حتى صالح أهلها على أن يجلو من أحب منهم ويقيم من أقام على الطاعة والمناصحة وأداء الخراج ودلالة المسلمين ، ولا ينطووا لهم على غش ولم يجد معابر فدُلّ على مخاضة عند قرية الصيادين فأخاضوها الخيل ، فجعل الفرس يرمونهم فسلموا غير رجل من طيء يقال له سليل ابن يزيد بن مالك السنّبسي لم يصب يومئذ غيره .

حدثنا عبد الله بن صالح . قال : حدثني من أثق به عن المجالد بن سعيد عن الشعبي أنه قال : أخذ المسلمون يوم المدائن جواري من جواري كسرى جيء بهن من الآفاق فكنّ تُصنّعن له فكانت أمي إحداهن ، قال : وجعل المسلمون يأخذون الكافور يومئذ فيلقونه في قدورهم ويظنونه ملحاً ، قال الواقدي : كان فراغ سعد من المدائن وجلولاء في سنة ست عشرة .

فَتحُ نَهَاوَنْد

قالوا : لما هرب يزدجرد من حلوان في سنة تسع عشرة تكاتبت الفُرس . وأهل الري وقومس وأصبهان وهمذان والماهين ، وتجمعوا إلى يزدجرد ، وذلك في سنة عشرين ، فأمّر عليهم مَرْدانْشاه ذا الحاجب ، وأخرجوا رايتهم الدِّرَفْشِكابيان ، وكانت عدة المشركين يومئذ ستين ألفاً. ويقال مائة ألف ، وقد كان عمار بن ياسر كتب إلى عمر بن الخطاب بخبرهم ، فهمّ أن يغزوهم بنفسه ثم ّخاف أن ينتشر أمر العرب بنجد وغيرها ، وأُشير عليه بأن يغزي أهل الشام من شامهم . وأهل اليمن من يمنهم ، فخاف إن فعل ذلك أن تعود الروم إلى أوطانها وتغلب الحبشة على مايليها ، فكتب إلى أهل الكوفة يأمرهم أن يسير

ثلثاهم ويبقى ثلثهم احفظ بلدهم وديارهم ، وبعث من أهل البصرة بعثاً ، وقال : لأستعملن رجلاً يكون لأول مايلقاه من الأسنة ، فكتب إلى النعمان بن عمرو بن مُقَرِّن المزني(١) وكان مع السائب بن الأقرع الثقفي بتوليته الجيش ، وقال : إن أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان ، فان أُصيب فجرير بن عبد الله البجلي فان أُصيب فالمغيرة بن شعبة ، فان أُصيب فالأشعث بن قيس ، وكان النعمان عاملاً على كَسْكَر وناحيتها . ويقال بل كان بالمدينة فولاه عمر أمر هذا الجيش مشافهة فشخص منها .

وحدثني شيبان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجواني ، عن علقمة بن عبد الله ، عن معقل ابن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فسأل:

---

(١) النعمان بن مقرن المزني : شهيد نهاوند ، قال عبد الله بن مسعود عن بيت مقرن المزني : « إن للإيمان بيوتاً ، وللنفاق بيوتاً ، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن » ، للنعمان تسعة إخوة كلهم أصحاب فضل وصحبة ، وهم : سنان ، سويد ، عبد الله ، عبد الرحمن ، عقيل ، معقل ، مرضي ، نعيم ، ضرار ، كلهم صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس ذلك لأحد من العرب غيرهم ، نزلت بحقهم الآية الكريمة : (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) .

ماترى أأبدأ بأصبهان أو بأذربيجان ؟ فقال الهرمزان : أصبهان الرأس وأذربيجان الجناحان ، فان قطعت الرأس سقط الجناحان والرأس .

قال : فدخل عمر المسجد فبصر النعمان بن مقرّن فقعد إلى جنبه ، فلما قضى صلاته قال : أما إني سأستعملك فقال النعمان : أما جابياً فلا ولكن غازياً ، قال فأنت غازٍ فأرسله ، وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه فأمدُّوه وفيهم المغيرة بن شعبة ، فبعث النعمان المغيرة إلى ذي الحاجب عظيم العجم بنهاوند ، فجعل يشق بسطه برمحه حتى قام بين يديه ، ثم قعد على سريره فأمر به فسحب ، فقال : إني رسول ، ثم التقى المسلمون والمشركون فسلسلوا كلّ عشرة في سلسلة وكل خمسة في سلسلة لئلا يفروا ، قال : فرمونا حتى جرحوا منّا جماعة ، وذلك قبل القتال .

وقال النعمان : شهدتُ النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا لم يقاتل في أول النهار . انتظر زوال الشمس . وهبوب الرياح ، ونزول النصر ، ثم قال : إنّي هازٌّ لوائي ثلاث

هزّات، فأمّا أوّل هزّة فليتوضّأ الرجل بعدها وليقض حاجته، وأما الهزّة الثانية فلينظر الرجل بعدها إلى سيفه . أو قال شسعه(١) ، وليتهيّأ وليصلح من شأنه ، وأما الثالثة فاذا كانت إن شاء الله فاحملوا ولا يلوينّ أحد على أحد ، فهزّ لواءه ففعلوا ما أمرهم ، وثقل درعه عليه فقاتل وقاتل الناس ، فكان رحمه الله أوّل قتيل(٢) قال : وسقط الفارسيُّ(٣) عن بغلته فأنشقّ بطنه ، قال (معقل) : فأتيت النعمان وبه رمق فغسلت وجهه من إداوة(٤) ماء كانت معي فقال : من أنت قلت معقل قال : ما صنع المسلمون قلت : أبشر بفتح الله ونصره ، قال : الحمد لله، اكتبوا إلى عمر .

---

(١) شسع النعل : قبالها الذي يشد إلى زمامها ، والزمام : السير الذي يعقد فيه الشسع ، (اللسان : شسع) .

(٢) قال النعمان قبيل المعركة : « اللهم اعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك ، اللهم إني أسالك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام ، أمنوا يرحمكم الله » . فكان رحمه الله أول شهيد في نهاوند .

(٣) ذو الحاجب .

(٤) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطيحة ونحوها ، (اللسان : أدا) .

حدثني شيبان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثني علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان النّهدي ، قال : أنا ذهبت بالبشارة إلى عمر فقال : ما فعل النعمان؟ قلت : قتل ، قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ، ثم بكى ، فقلت : قُتِلَ والله في آخرين لا أعلمهم ، قال : ولكن الله يعلمهم .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو أسامة وأبو عامر العقدي وسلم بن قتيبة جميعاً . عن شعبة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي ، قال : رأيت عمر ابن الخطاب لما جاءه نعي النعمان بن مقرّن وضع يده على رأسه وجعل يبكي .

وحدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن النهّاس بن قَهْم عن القاسم بن عوف عن أبيه عن السائب بن الأقرع — أو عن عمر بن السائب عن أبيه شكَّ الأنصاري — قال : زحف إلى المسلمين زحف لم يُرَ مثله ، فذكر حديث عمر فيما هم به من الغزو بنفسه ، وتوليته النعمان بن مقرن وأنه بعث إليه بكتابه

مع السائب ، وولى السائب الغنائم ، وقال : لا ترفعنّ باطلاً ، ولا تحبسنّ حقاً ثم ذكر الواقعة ، قال : فكان النعمان أول مقتول يوم نهاوند ، ثم أخذ حذيفة الراية ففتح الله عليهم .

قال السائب : فجمعت تلك الغنائم ثم قسمتها ثم أتاني ذو العُوَيْنَتَيْن فقال : إن كنز النخيرخان في القاعة قال : فصعدتها فاذا أنا بسفطَين(١) فيهما جوهر لم أر مثله قط ، قال : فأقبلت إلى عمر وقد راث(٢) عنه الخبر وهو يتطوّف المدينة ، ويسأل ، فلما رآني قال : ويلك ما وراءك ؟ فحدثته بحديث الوقعة ومقتل النعمان . وذكرت له شأن السَّفطَيْن فقال : اذهب بهما فبعهما ثم اقسم ثمنهما بين المسلمين ، فأقبلت بهما إلى الكوفة فأتاني شاب من قريش يقال له عمرو بن حريث فاشتراهما

(١) السفط : الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ، (اللسان : سفط) .

(٢) راث عنه الخبر : أبطأ ، وفي المثل : « رب عجلة وهبت ريثاً » ، (اللسان : روث) .

بأعطية الذرية والمقاتلة ، ثم انطلق باحداهما إلى الحيرة فباعه بما اشتراهما به منّي وفضل الآخر ، فكان ذلك أول لهوة(١) مال اتخذه .

وقال بعض أهل السِّيرة : اقتتلوا بنهاوند يوم الأربعاء ، ويوم الخميس . ثم تحاجزوا ، ثم اقتتلوا يوم الجمعة ، وذكر من حديث الوقعة نحو حديث حماد ابن سلمة ، وقال ابن الكلبي عن أبي مخنف : إن النعمان ابن مقرن نزل الأسبيذهار وجعل على ميمنته الأشعث بن قيس ، وعلى الميسرة المغيرة بن شعبة . فاقتتلوا فقتل النعمان، ثم ظفر المسلمون فسمى ذلك الفتح فتح الفتوح ، قال : وكان فتح نهاوند في سنة تسع عشرة يوم الأربعاء ويقال في سنة عشرين .

وحدّثنا الرّفاعي قال حدثنا العيقري عن أبي بكر الهُذَلي عن الحسن ومحمد قالا : كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين .

(١) اللهوة : الألف من الدنانير والدراهم ، واللهوة : العطية ، دراهم كانت أو غيرها ، واشتراه بلهوة من مال أي حفنة ، (اللسان : لها) .

وحدثني الرفاعي ، قال حدثنا العبقري عن أبي معشر عن محمد بن كعب مثله ، قالوا : ولما هُزم الجيش الأعاجم ، وظهر المسلمون وحذيفة يومئذ على الناس ، حاصر نهاوند فكان أهلها يخرجون فيقاتلون وهزمهم المسلمون ، ثم إن سماك بن عبيد العبسي أتبع رجلاً منهم ذات يوم ومعه ثمانية فوارس ، فجعل لا يبرز إليه رجل منهم إلا قتله حتى لم يبق غير الرجل وحده فاستسلم وألقى سلاحه فأخذه أسيراً . فتكلم بالفارسية فدعى له سماك برجل يفهم كلامه فترجمه فاذا هو يقول : اذهب إلى أميركم حتى أصالحه عن هذه الأرض وأؤدي إليه الجزية. وأعطيك على أسرك إياي ماشئت ، فانك قد مننت علي إذ لم تقتلني ، فقال له : وما اسمك ؟ قال : دينار ، فأنطلق به إلى حذيفة ، فصالحه على الخراج والجزية ، وآمن أهل مدينته نهاوند على أموالهم وحيطانهم ومنازلهم ، فسميت نهاوند ماه دينار ، وكان دينار يأتي بعد ذلك سماكاً ويهدي إليه ويبره .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن المبارك بن سعيد عن أبيه قال : وكانت نهاوند من فتوح أهل الكوفة والدِّينَوَر

من فتوح أهل البصرة . فلما كثر المسلمون بالكوفة احتاجوا إلى أن يزادوا في النواحي التي كان خراجها مقسوماً فيهم فصيرت لهم الدينور ، وعوض أهل البصرة نهاوند لأنها من أصبهان ، فصار فضل ما بين خراج الدينور ونهاوند لأهل الكوفة ، فسميت نهاوند ماه البصرة ، والدينور ماه الكوفة وذلك في خلافة معاوية .

وحدثني جماعة من أهل العلم أن حذيفة بن اليمان وهو حذيفة بن حسيل بن جابر العبسي حليف بني عبد الأشهل من الأنصار وأمه الرباب بنت كعب بن عدي من عبد الأشهل(١) ، وكان أبو حذيفة قُتل يوم أُحُد، قتله عبد الله بن مسعود الهذلي خطأً ، وهو يحسبه كافراً، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراج ديته فوهبه

(١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر له أسماء المنافقين لا يعلمهم أحد غيره ، وصل في جهاده أرمينية ، وهو الذي حث عثمان رضي الله عنه على جمع القرآن الكريم ، مات سنة ٣٦ هـ = ٦٥٦ م ، وكان آخر ما نطق به عندما حضرته الوفاة : « هذه آخر ساعة في الدنيا ، اللهم إنك تعلم إني أحبك ، فبارك لي في لقائك » .

حذيفة للمسلمين ، وكان الواقدي يقول سُمِّي حُسَيل اليَمَان ، لأنه كان يتَّجر إلى اليمن فاذا أتى المدينة قالوا: قد جاء اليماني .

وقال الكلبي : هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن ربيعة ابن عمرو بن جُرْوَة ، وجروة هو اليمان ، نسب إليه حذيفة وبنيهما آباء . وكان قد أصاب في الجاهلية دماً وهرب إلى المدينة وحالف بني عبد الأشهل ، فقال قومه : هو يمان لأنه حالف اليمانية

* * *

فتوح السند

أخبرنا عليّ بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف ، قال : ولّى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عثمان بن أبي العاصي الثقفي البحرين وعُمان سنة خمس عشرة ، فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ، ومضى إلى عمان ، فأقطع جيشاً إلى تانه(١) ، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك ، فكتب إليه عمر : ياأخا ثقيف حملت دوداً على عود . وإني أحلف بالله ألو أُصيبوا لأخذت من قومك مثلهم ، ووجه الحكم أيضاً إلى بروص(٢)،

(١) على شواطىء السند .

(٢) على شواطىء السند أيضاً .

ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاصي إلى خور الدَّيْبُل(١)، فلقي العدو فظفر، فلما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه، وولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق. كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكيم بن جبلة العبدي، فلما رجع أوفده إلى عثمان فسأله عن حال البلاد فقال: ياأمير المؤمنين قد عرفتها وتنحَّرتها، قال فصفها لي، قال: ماؤها وَشَل(٢)، وثمرها دقل(٣)، ولصُّها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فقال له عثمان: أخابرٌ أم ساجعٌ؟ قال: بل خابر، فلم يغزها أحداً، فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة

---

(١) الديبل: بلدة على ساحل السند، وهي أكبر فرض السند وأشهرها، (صبح الأعشى: ٥ / ٦٤)، وفي (القاموس الإسلامي: ٢ / ٤١٦): الديبل هي ميناء كراتشي المعاصرة، والأرجح أنها تبعد ٥٠ كم إلى الجنوب الشرقي من كراتشي، تعرف أطلاله باسم بانبهور.

(٢) الوشل: الماء القليل، يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلا قليلا، وهو المعنى المراد هنا، والوشل الماء الكثير، فهو على ذلك من الأضداد، (اللسان: وشل).

(٣) الدقل من التمر: أردأ أنواعه، (اللسان: دقل).

علي بن أبي طالب رضى الله عنه توجه إلى ذلك الثغر الحارث ابن مرة العبدي متطوعاً باذن علي ، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً ، وقسم في يوم واحد ألف رأس ، ثم إنه قتل ومن معه بأرض القيقان(١) إلا قليلاً ، وكان مقتله في سنة اثنتين وأربعين والقيقان من بلاد السند مما يلي خراسان ، ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية سنة أربع وأربعين فأتى بَنّة والأهواز وهما بين المُلتان وكابُل ، فلقيه العدو فقاتله ومن معه ، ولقي المهلّب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من التُرك على خيل محذوفة فقاتلوه جميعاً ، فقال المهلّب : ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منّا فحذف الخيل ، فكان أول من حذفها من المسلمين وفي بَنّة يقول الأزدي :

أَلَـمْ تَرَ أَنَّ الأَزْدَ ليلةَ بُيِّتُوا
بِبَنّةَ كانُوا خيرَ جيشِ المُهَلَّبِ

ثم ولّى عبد الله بن عامر في زمن معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن سوار العبدي ، ويقال : ولاه معاوية

(١) هي Kalat في بلوشستان حالياً .

من قبله ثغر الهند ، فغزا القيقان فأصاب مغنماً ، ثمَّ وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلاً قيقانية ، وأقام عنده ثم رجع إلى القيقــان ، فاستجاشوا الترك ، فقتلوه وفيه يقول الشّاعر :

وَابــــنُ سَوَّارٍ عَلَى عِــــدَّاتِــه
مُــــوقِــدُ النّارِ وقَتّــالُ السَّغَبِ

وكان سخيا لم يوقد أحد ناراً غير ناره في عسكره ، فرأى ذات ليلة ناراً فقال : ماهذه ، فقالوا : امرأة نفساء يعمل لها خبيص(١) فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثاً ، وولى زياد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن سلمة بن المُحَبِّق الهذلي ، وكان فاضلاً متألهاً ، وهو أول من أحلف الجند بالطلاق ، فأتى الثغر ففتح مكران عنوةً ومصّرها ، وأقام بها وضبط البلاد ، وفيه يقول الشاعر :

(١) الخبيص : الحلواء المخبوصة ، وخبص الحلواء يخبصها خبصاً وخبصها : خلطها وعملها ، (اللسان : خبص) .

رَأَيتُ هُذَيلاً أَحدَثَت في يَمينِها
طَلاَقَ نِساء مَايَسوُقُ لهَا مَهْرا

لهَانَ عَلِيَّ حِلفَةُ ابنِ مُحَبِّق
إذا رفَعَتْ أَعناقَهَا حُلَّقاً صُفْرا

وقال ابن الكلبي : كان الذي فتح مكران حكيم بن جبلة العبدي ، ثم استعمل زياد على الثغر راشد بن عمرو الجديدي من الأزد فأتى مكران ، ثم غزا القيقان فظفر ، ثم غزا الميد فقتل ، وقام بأمر الناس سنان بن سلمة فولاه زياد الثغر ، فأقام به سنتين ، وقال أعشى همدان في مكران :

وَأَنتَ تسيرُ إلى مكرانَ
فقَدْ شَحَطَ الورْدُ والمصْدَرُ

وَلم تَكُ حاجَتي مكرانُ
وَلا الغزوُ فيها وَلا المَتجَرُ

وَحُدِّثتُ عنها ولم آتها
فَمَا زِلتُ مِنْ ذِكرها أُوخَرُ

بأنَّ الكثيرَ بها جائعٌ
وأنَّ القليلَ بها مُعورُ(١)

وغزا عبَّاد بن زياد ثغر الهند من سجستان فأتى سنَاروذ ثمَّ أخذ على حوى كهز إلى الرو ذبار من أرضِ سجستان إلى الهنْدمنْد ، فنزل كِش وقطع المفازة حتى أتى القُنْدُهار ، فقاتل أهلها ، فهزمهم وفلّهم وفتحها بعد أن أصيب رجال من المسلمين ، ورأى قلانس(٢) أهلها طوالاً . فعمل عليها ، فسميت العبّاديّة وقال ابن مُفرّغ :

كَمْ بالجُروم وأرضِ الهِنْد من قَدَمٍ
ومِن سَرَائِنِكَ قَتلَى لا هُمُ قُبِرُوا
بِقُنْدهارَ ومَنْ تُكْتب منيتهُ
بِقُنْدهارَ يُرَجّمْ دُونَهُ الخَبَرُ

(١) المعور : الممكن البين الواضح ، وأعورلك الصيد أي أمكنك ، (اللسان : عور) .

(٢) من ملابس الرؤوس ، (اللسان : قلس) .

ثمّ ولىّ زياد المنذر بن الجارود العبدي ، ويكنّى أبا الأشعث ثغر الهند ، فغزا البوقان والقيقان ، فظفر المسلمون وغنموا وبث السرايا في بلادهم ، وفتح قُصْدار وسبا بها، وكان سنان قد فتحها إلا أن أهلها انتقضوا ، وبها مات ، فقال الشاعر :

حَلّ بقُصدارَ فأضْحى بها
في القبرِ لم يُغْفَلْ معَ الغافلين
للهِ قُصْدارُ وأعنابُها
أي فتى دُنْيا أجَنّتْ ودِين

ثمّ ولّى عبيد بن زياد بن حرّي الباهلي ، ففتح الله تلك البلاد على يده ، وقاتل بها قتالاً شديداً فظفر وغنم، وقال قوم : إن عبيد الله بن زياد ولّى سنان بن سلمة ، وكان حرّي على سراياه وفي حري بن حري يقول الشاعر :

لولا طِعاني بالبوُقانِ مارجَعَتْ
مِنْهُ سرايا ابنِ حرّي بأسلابِ

أوهل البوقان اليوم مسلمون ، وقد بنى عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي بها مدينة سمّاها البيضاء وذلك في خلافة المعتصم بالله ، ولما ولّي الحجاج ابن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي العراق ولّى سعيد بن أسلم بن زُرْعَة الكلابي مكران وذلك الثغر ، فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافيّان فقتل ، وغلب العلافيّان على الثغر ، واسم عِلاف هو رَبّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وهو وذلك الثغر ، فغزا مجاعة أبو جَرْم، فولّى الحجاج مُجّاعة بن سِعْر التميمي فغنم وفتح طوائف من قَنْدَابيل ، ثم أتم فتحها محمد بن القاسم ، ومات مجاعة بعد سنة بمكران ، قال الشاعر :

مَا مِنْ مَشَاهِدِكَ التي شَاهَدْتَها
إلا يَزِينُكَ ذِكْرُهَا مُجّاعا

ثم استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون بن ذراع النمري ، فأهدى إلى الحجاج في ولايته ملك

جزيرة الياقوت(١) نسوة ولدن في بلاده مسلمات . ومات آباؤهنّ ، وكانوا تجاراً فأراد التقرُّب بهن ، فعرض للسفينة التي كُن فيها قوم من ميد الديْبُل(٢) في بوارج، فأخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع : ياحجاج ، وبلغ الحجاج ذلك فقال : يالبيّاك ، فأرسل إلى داهر(٣) يسأله تخلية النسوة . فقال : إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم ، فأغزى الحجاج عبيد الله بن نبهان الديبل فقتل، فكتب إلى بديل ابن طهفة البجلي وهو بعُمان يأمره أن يسير إلى الديبل، فلما لقيهم نفر به فرسه فأطاف به العدو فقتلوه(٤) ، وقال بعضهم قتله زطّ البُدْهَة ، قال : وإنما سميت هذه الجزيرة جزيرة الياقوت لحسن وجوه نسائها ، ثم ولّى

---

(١) جزيرة الياقوت : جزيرة سرنديب ، سيلان .

(٢) من سواحل الديبل .

(٣) داهر بن صصة ، ملك السند ، (الطبري : ٦ / ٤٤٢ ، الكامل في التاريخ : ٩ / ٧٧) .

(٤) قال الحجاج لمؤذنه : يا مؤذن ، اذكر اسم بديل كلما أقمت الأذان ، لأتذكره وآخذ بثأره .

الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل في أيام الوليد بن عبد الملك فغزا السند ، وكان محمد بفارس وقد أمره أن يسير إلى الري وعلى مقدمته أبو الأسود جهم ابن زحر الجُعفي فرده إليه، وعقد له على ثغر السند ، وضم إليه ستة آلاف من جند أهل الشام وخلقا من غيرهم ، وجهزه بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والمال ، وأمره أن يقيم بشيراز حتى يتتام إليه أصحابه ويوافيه ما عُد له ، فعمد الحجاج إلى القطن المحلوج فنقع في الخل الخمر الحاذق ، ثم جفف في الظل فقال : إذا صرتم إلى السند فان الخل بها ضيق ، فانقعوا هذا القطن في الماء ثم اطبخوا به واصطبغوا ، ويقال إن محمداً لما صار إلى الثغر كتب يشكو ضيق الخل عليهم ، فبعث إليه بالقطن المنقوع في الخل ، فسار محمد بن القاسم إلى مُكران فأقام بها أياماً ثم أتى قنزبور ففتحها ، ثم أتى أرمائيل ففتحها ، وكان محمد بن هارون بن ذراع قد لقيه فانضم إليه وسار معه فتوفي بالقرب منها فدفن بقنبيل .

ثم سار محمد بن القاسم من أرمائيل ومعه جُهم بن زَحْر الجعفي فقدم الدَّيْبُل يوم جمعة ووافته سفن (١) كان حمل فيها الرجال والسلاح والأداة فخندق حين نزل الديبل ، وركزت الرماح على الخندق ، ونشرت الأعلام ، وأنزل الناس على راياتهم ، ونصب منجنيقاً تعرف بالعروس كان يمد فيها خمسمائة رجل ، وكان بالديبل بُدٌّ غظيم عليه دَقْل (٢) طويل وعلى الدقل راية حمراء إذا هبت الريح أطافت بالمدينة ، وكانت تدور والبُدّ فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم أو أصنام يشهر بها ، وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضاً وكل شيء أعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بُد ، والصنم بُد أيضاً ، وكانت كتب الحجاج ترد على محمد ، وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قِبَله ، واستطلاع رأيه فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام ، فورد على محمد من الحجاج

---

(١) انطلقت من الخليج العربي إلى الديبل عبر خليج عمان ، حملت عتاد الحصار ، وعليها خريم بن عمرو المري .

(٢) الدقل (لغة) : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع ، وتسميه البحرية الصاري ، (اللسان : دقل) .

كتاب أن أنصب العروس واقصر منها قائمة ، ولتكن مما يلي المشرق ، ثم ادع صاحبها فمرُه أن يقصد برميته للدقل الذي وصفت لي ، فرمى الدقل فكسر (١) ، فاشتد طرة الكفر من ذلك ، ثم إن محمداً ناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردهم ، وأمر بالسلاليم فوضعت ، وصعد عليها الرجال ، وكان أولهم صعودا رجل من مراد من أهل الكوفة ففتحت عنوة ، ومكث محمد يقتل من فيها ثلاثة أيام(٢) ، وهرب عامل داهر عنها وقتل سادني بيت آلهتهم ، واختط محمد للمسلمين بها . وبنى مسجداً وأنزلها أربعة آلاف .

قال محمد بن يحيى : فحدثني منصور بن حاتم النحوي مولى آل خالد بن أسيد أنه رأى الدقل الذي كان على

---

(١) اسم رامي المنجنيق : جعونة المنجنيقي ، كسر الدقل من الحجر الأول .

(٢) لم يقتل إلا بؤر المقاومة داخل المدينة ، ففي كتاب فتح السند : ٢٣٨٢ « عامل المسلمون الأهالي معاملة حسنة وشهامة » ، وفي ص : ٢٤٧٢ : ثم أعطي الأمان للصناع والتجار وعوام الناس ، وتشكلت محكمة لرد المظالم ، وترك البراهمة — رهبان المعابد — وأعطاهم محمد ابن القاسم الأمان ..

منارة البُد مكسوراً ، وأن عنبسة بن إسحاق الضبي العامل كان على السند في خلافة المعتصم بالله رحمه الله هدم أعلى تلك المنارة وجعل فيها سجناً وابتدأ في مرمة المدينة بما نقض من حجارة تلك المنارة ، فعزل قبل استتمام ذلك ، وولّي بعده هارون بن أبي خالد المروروذي فقُتل بها .

قالوا : وأتى محمد بن القاسم البيرُون(١) وكان أهلها بعثوا سُمَنِّيين منهم إلى الحجاج فصالحوه فأقاموا لمحمد العلوفة ، وأدخلوه مدينتهم ووفوا بالصلح ، وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا فتحها . حتى عبر نهراً دون مهران فأتاه سَمَنِيّة سربيدس فصالحوه عمن خلفهم ، ووظف عليهم الخراج وسار إلى سهبان ففتحها ، ثم سار إلى مهران(٢) فنزل في وسطه فبلغ ذلك داهر واستعد لمحاربته وبعث محمد ابن القاسم محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي إلى

(١) هي في بعض الكتب (نيرون) .
(٢) نهر مهران .

سَدُوسان (١) في خيل وحمّارات ، فطلب أهلها الأمان والصلح وسفر بينه وبينهم السُّمنّية فأمنهم . ووظف عليهم خرجاً وأخذ منهم رهنا ، وانصرف إلى محمد ومعه من الزُّط أربعة آلاف فصاروا مع محمد وولى سدوسان رجلاً ، ثم إن محمداً احتال لعبور مهران حتى عبره مما يلي بلاد راسِل ملك قَصَّة من الهند على جسر عقده، وداهر مستخف به لاهٍ عنه ، ولقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكره فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله ، وترجل داهر وقاتل فقتل عند المساء ، وانهزم المشركون فقتلهم المسلمون كيف شاؤوا، وكان الذي قتله في رواية المدائني رجلاً من بني كلاب(٢) وقال :

الخَيْلُ تشهدُ يومَ داهِرَ والقَنَا
وَمُحمدُ بنُ القاسمِ بنِ محمدِ

(١) سيوستان في أكثر المصادر .
(٢) هو : عمرو بن خالد الكلبي .

أنّــي فرجــتُ الجمعَ غير مُعرِّد(١)
حتّــى علــوتُ عظيمَهم بمهند
فتــركتُــهُ تحتَ العَجاجِ مجدلاً
متعفّــرَ الخديْــنِ غيــرَ موسّدِ

فحدثني منصور بن حاتم ، قال : داهر والذي قتله مُصَوَّران ببروص وبُديل بن طهفة مصور بقند وقبره بالدّيبل .

وحدثني علي بن محمد المدائني عن أبي محمد الهندي عن أبي الفرج قال : لما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند ، وقال ابن الكلبي : كان الذي قتل داهر القاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الطائي .

قالوا وفتح محمد بن القاسم راوَر عنوة وكانت بها امرأة للداهر فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها ، ثم أتى محمد بن القاسم برهمنا باذ العتيقة وهي على رأس فرسخَيْن من المَنْصُورَة ، ولم تكن المنصورة يومئذ . إنما كان موضعاً غيضة ، وكان فلّ

(١) عرد الرجل تعريداً إي فر ،وعرد الرجل إذا هرب (اللسان:عرد).

داهر ببرهمناباذ هذه ، فقاتلوه ففتحها محمد عنوة ، وقتل بها ثمانية آلاف وقيل ستة وعشرين ألفاً وخلف فيها عامله وهي اليوم خراب ، وسار محمد يريد الرور وبغرور(١) فتلقاه أهل ساوندرى فسألوه الأمان فأعطاهم إياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ودلالتهم وأهل ساوندرى، اليوم مسلمون ، ثم تقدم إلى بسمد فصالح أهلها على مثل صلح ساوندرى . وانتهى محمد إلى الرور وهي من مدائن السند وهي على جبل فحصرهم أشهراً ففتحها صلحاً على أن لا يقتلهم ولا يعرض لبُدّهم وقال : ما البُد إلاَّ ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس ووضع عليهم الخراج بالرور وبنى مسجداً ، وسار محمد إلى السكة وهي مدينة دون بَيَاس ففتحها . والسكة اليوم خراب ، ثم قطع نهر بَيَاس إلى المُلْتَان فقاتله أهل الملتان فأبلى زائدة بن عمير الطائي ، وانهزم المشركون فدخلوا المدينة وحصرهم محمد ونفدت أزواد المسلمين فأكلوا الحمر ، ثم أتاهم رجل مستأمن فدلّهم على مدخل الماء

---

(١) هي أرور وجترور في (فتح السند : ٢٤٨٥) .

الذي منه شربهم وهو ماء يجري من نهر بسمد ، فيصير في مجتمع له مثل البركة في المدينة وهم يسمّونه البلاح فغوّره ، فلما عطشوا نزلوا على الحكم فقتل محمد المقاتلة، وسبى الذرية ، وسبى سدنة البُد وهم ستة آلاف ، وأصابوا ذهباً كثيراً فجمعت تلك الأموال في بيت يكون عشرة أذرع في ثماني أذرع يلقى ما أودعه في كوة مفتوحة في سطحه فسميت الملتان ، فرج بيت الذهب ، والفرج الثغر ، وكان بُدُّ الملتان بُدّاً تهدي إليه الأموال ، وينذر له النذور ، ويحج إليه السند فيطوفون به ويحلقون رؤوسهم واحاهم عنده ، ويزعمون أن صنماً فيه هو أيوب النبي صلى الله عليه وسلم .

قالوا : ونظر الحجاج فاذا هوقد أنفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألف ووجد ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف ، فقال : شفينا غيظنا وأدركنا ثارنا وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر ، ومات الحجاج فأتت محمداً وفاته فرجع عن الملتان إلى الرور وبغرور ، وكان قد فتحها فأعطى الناس ، ووجه إلى البيلمان جيشاً فلم

يقاتلوا وأعطوا الطاعة ، وسالمه أهل سُرَسْنت وهي مغزى أهل البصرة اليوم ، وأهلها الميد الذي يقطعون في البحر ، ثم أتى محمد الكيرج ، فخرج إليه دوهر فقاتله فانهزم العدو وهرب دوهر ، ويقال قتل ، ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى قال الشاعر :

نحـــن قَتَلْنَـــا داهــراً وَدُوهــراً
وَالخيـــــل تُرْدِي مِنْســـراً فَمِنُسراً

ومات الوليد بن عبد الملك(١) ، وولي سليمان بن عبد الملك(٢) فاستعمل صالح ابن عبد الرحمن على خَرَاج العراق ، وولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند : فحمل محمد بن القاسم مقيداً مع معاوية بن المهلب ، فقال محمد متمثّلاً :

---

(١) مات الحجاج سنة ٩٥ هـ ، ومات الوليد سنة ٩٦ هـ .

(٢) الذي تتبع – بغير حق – أصحاب الحجاج يسومهم سوء العذاب ، فأوقف الفتح في السند وما وراء النهر ، والذي كانت الصين هدفه ، كتب الحجاج إلى ابن قاسم وقتيبة بن مسلم الباهلي : « أيكما سبق إلى الصين فهو عامل عليها وعلى صاحبها » ، (اليعقوبي : ٢ / ٢٨٩ .

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا
ليَوْم كَريهةٍ وَسدادِ ثَغْرِ

فبكى أهل الهند على محمد وصوَّروه بالكيرج ، فحبسه صالح بواسط فقال :

فَلَئِن ثويتُ بواسط وَبأَرضها
رهنَ الحديد مكبَّلاً مَغْلولا
فلرُبَّ فتية فارسٍ قد رُعْتُها
ولربَّ قرنٍ قد تركتُ قتيلا

وقال :

لو كنتُ جمعتُ القرارَ لو طِئَت
إناثٌ أعدت للوغَي(١) وَذُكورُ
وما دخلت خيلُ السكاسِكِ أَرضنا
ولا كانَ من عَكٍّ عليَّ أَميرَ

---

(١) لعله قصد إناث الخيل ، أو سيف أنيث : السيف الذي ليس بقاطع إذا كانت حديدته لينة ، قال الأصمعي : الذكر من السيوف شفرته حديد ذكر ، ومتناه أنيث ، (اللسان : أنث) .

ولا كنتُ للعبدِ المزونيِّ تابعاً
فيالك دهراً بالكرام عثورُ

فعذبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم، وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح، وكان يرى رأي الخوارج، وقال حمزة بن بَيْض الحنفي :

إن المروءة والسماحة والنّدى
لمحمدِ بنِ القاسم بنِ محمدِ
ساسَ الجيوشَ لسبعَ عشرةَ حجّة
ياقُربُ ذلكَ سؤدداً من مَوْلدِ

وقال آخر :

ساسَ الرجالَ لسبعَ عشرةَ حجة
ولداتُه عن ذاكَ في أشْغَالِ

ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً واستعمل سليمان بن عبد الملك حبيب بن المهلب على حرب السند، فقدمها وقد رجع ملوك الهند إلى ممالكهم، فرجع حليشة بن داهر إلى برهماباذ، ونزل حبيب على شاطئ مهران فأعطاه أهل الرور الطاعة،

وحارب قوماً فظفر بهم ، ثم مات سليمان بن عبد الملك ، وكانت خلافة عمر بن عبد العزيز بعده(١) فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه فأسلم حليشة والملوك وتسموا بأسماء العرب ، وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر وهرب بنو المهلب إلى السند في أيام يزيد بن عبد الملك ، فوجه إليهم هلال بن أحوز التميمي فلقيهم ، فقتل مدرك بن المهلب بقندابيل . وقتل المفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بني المهلب ، وقتل معاوية ابن يزيد في آخرين .

وولي الجنيد بن عبد الرحمن المري من قبل عمر بن هبيرة الفزاري ثغر السند ، ثم ولاه إياه هشام بن عبد الملك فلما قدم خالد بن عبد الله القسري العراق ، كتب هشام إلى الجنيد يأمره بمكاتبته فأتى الجنيد الديبل ، ثم نزل شط مهران ، فمنعه حليشة العبور ، وأرسل إليه أني قد

(١) سنة ٩٩ هـ .

أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ، ولست آمنك . فأعطاه رهنا وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج ، ثم إنهما ترادا الرهن ، وكفر حليشة وحارب ، وقيل إنه لم يحارب ، ولكن الجنيد يجنى عليه ، فأتى الهند فجمع جموعاً وأخذ السفن واستعد للحرب . فسار إليه الجنيد في السفن فالتقوا في بطيحة الشرقي فأخذ حليشة أسيراً وقد جنحت سفينته فقتله ، وهرب صصه بن داهر ، وهو يريد أن يمضي إلى العراق فيشكو غدر الجنيد ، فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله وغزا الجنيد الكيرج ، وكانوا قد نقضوا فاتخذ كباشاً نطاحة(١) فصك بها حائط المدينة حتى ثلمه ، ودخلها عنوة .

* * *

(١) الكبش : عمود مستدير من الخشب ، بطول يقارب عشرة أمتار ، يحمل في مقدمته رأساً من الحديد أو الفولاذ على شكل رأس الكبش تقريباً ، يعلق بوساطة سلاسل قوية تجري على بكر سقف الدبابة أو البرج المخصص لحمله ، فإذا أراد الجند هدم سور أو باب قلعة ، قربوا رأس الكبش منه ، ثم أخذوا في أرجحته إلى الأمام والخلف بقوة ، فيصدم السور حتى ينهار من تأثير اصطدام رأس الكبش بها .

الفصل الثاني

النُّصوص

العمرانية - التنظيمية - السياسية

ذكر حفائر مكة

قالوا : كانت قريش قبل جمع قصي(١) إياها وقبل دخولها مكة تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال ، ومن بئر حفرها لؤي بن غالب خارج الحرم تدعى اليُسَيْرَة ومن بئر حفرها مرة بن كعب تدعى الروي ، وهي مما يلي عَرَفَة ، ثم حفر كلاب بن مــرة خُم ورُم ، والجفر بظاهر مكة ، ثم أن قصى بن كلاب حفر بئراً سماها العَجُول واتخذ سقاية ، وفيها يقول بعد رُجّاز الحاج.

نُرْوَى علـــي العَجُـــول ثم ننطلقْ

قبـــلَ صُـــدُورِ الحَاج من كُل أُفُقْ

(١) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، سيد قريش في عصره وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي ، كانت له الحجابة والسقاية والرفادة واللواء ورئاسة دار الندوة ، مات بمكة ودفن بالحجون (الأعلام : ٥ / ١٩٨) .

إن قصيّــــاً قد وَفــى وقد صَدَقْ
بالشّبْــــعِ للنّـاسِ ورِي مُغْتَبَقْ

ثم أنه سقط في العَجُول بعد ممات قصي رجل من بني نصر بن معاوية فعطلت ، وحفر هاشم بن عبد مناف بَذر ، وهي عند الخَنْدَمَة على فم شعب أبي طالب ، وحفر هاشم أيضاً سجلة فوهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل بن عبد مناف بن المطعم ، ويقال : بل ابتاعها منه ، ويقال أن عبد المطلب وهبها له حين حفر زمزم وكثر الماء بمكة ، فقالت خالدة بنت هاشم :

نَحْــــنُ وهبنــا لعــدي سَجْلَــةْ
فــي تــربة ذات عَــذَاة سَهْلَــةْ
تُروي الحجيجَ زَغْلَةً فزَغْلَةْ (١)

وقد دخلت سَجْلَة في المسجد ، وحفر عبد شمس بن عبد مناف الطَوي وهي بأعلى مكة ، وحفر أيضاً لنفسه الجَفْر ، وحفر ميمون بن الحضرمي حليف بني عبد

(١) زغل الشيء زغلا وأزغله : صبه دفعاً ومجه ، ويقال : أزغل لي زغلة من سقائك أي صب لي شيئاً من لبن ، (اللسان : زغل) .

عبد شمس بن عبد مناف بئره وهي آخر بئر حفرت في الجاهلية بمكة ، وعندها قبر أمير المؤمنين المنصور رحمه الله ، واسم الحضرمي عبد الله بن عماد ، واحتفر عبد شمس أيضاً بئرين وسماهما خُم ورُم ، على ما سمى كلاب بن مرة بئريه ، فأمّا خُم فهي عند الردم ، وأمّا رُم فعند دار خديجة بنت خويلد ، وقال عبد شمس .

حَفَرْتُ خُمّاً وَحَفَرْتُ رُمّاً
حَتّى أَرَى المَجْدَ لَنَا قَدْتَماً

وقالت سبيعة بنت عبد شمس في الطّوِي:

إِن الطّوِي إِذا شربتُمْ ماءَها
صَوْبُ الغمامِ عَذُوبَةً وصَفَاءَ

وحفرت بنو أسد بن عبد العزي بن قصى شفية بئر بني أسد ، وقال الحويرث بن أسد :

مَاءُ شُفَيّةٍ كَماءِ المُزْنِ
وَلَيْسَ ماؤُهَا بِطَرْقٍ أجْنِ

وحفر بنو عبد الدار بن قصي أُم أَحْرادٍ ، فقالت أميمة بنت عميلة بن السَبّاق بن عبد الدار :

نَحْنُ حفرنا البَحْرَ أُمَّ أَحْراد
ليستْ كَبَذّرَ النزُورِ والجَمَاد

فأجابتها صفية بنت عبد المطلب :

نَحْنُ حَفَرنَا بَذَّرْ تُروِي الحجيجَ الأكبرْ
من مُقْبِل ومُدْبَرْ
وَأم أحرادٍ بَشَرْ فيها الجرادُ وَالذرْ
وَقَذرٌ لا يذْكَرْ

وحفر بنو جُمَح السنبلة وهي بئر خلف بن وهب الجمحي فقال قائلهم :

نحْنُ حفرْنا للحجيجِ سُنبُله
صوْبَ سحاب ذُو الجلالِ أنزَله

وحفر بنو سهم الغمْر ، وهي بئر العاصي بن وائل فقال بعضهم :

نحـــــنُ حفرنا الغمْرَ للحجيجِ
تثُـــجُّ (١) مــاءً أيُّمـــا ثجيــــجِ

قال ابن الكلبي قالها ابن الربعي ، وحفرت بنو عدي الحفير فقال شاعرهم :

نحـــــنُ حفرنا بئرنـــا الحفِيرا
بحْـــــرا يجيشُ ماؤهُ غزيـــــرا

وحفر بنو مخزوم السُّقْيا بئر هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وحفرت بنو تيم الثُّريا ، وهي بئر عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، وحفرت بنو عامر بن لؤي النقع ، قالوا : وكانت لجبير بن مطعم بئر وهي بئر بني نوفل ، فأُدخلت حديثاً في دار القوارير التي بناها حماد البربري في خلافة أمير المؤمنين هارون الرَّشيد (٢) ، وكان عقيل بن أبي طالب

(١) الثج : الصب الكثير ، وخص بعضهم به صب الماء الكثير ، (اللسان : ثجج) .

(٢) هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي) بن المنصور العباسي : (١٤٩ - ١٩٣ هـ = ٧٦٦ - ٨٠٩ م) ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ فقام بأعبائها ، وازدهرت الدولة في أيامه ، (الأعلام : ٨ / ٦٢) .

حفر في الجاهلية بئراً ، وهي في دار ابن يوسف ، فكانت للأسود بن أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزي بئر على باب الأسود عند الحناطين فدخلت في المسجد ، بئر عكرمة ، نسبت إلى عكرمة بن خالد بن العاصي بن هاشم بن المغيرة ، بئر عمرو ، نسبت إلى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، وكذلك شعب عمرو الطاوب أسفل مكة كانت لعبد الله بن صفوان ، بئر حويطب نسبت إلى حويطب بن عبد العزي ابن أبي قيس من بني عامر بن لؤي ، وهي بفناء داره ببطن الوادي ، بئر أبي موسى كانت لأبي موسى الأشعري بالمعلاة ، بئر شوذَب نسبت إلى شوذب مولى معاوية ، وقد دخلت في المسجد ، ويقال : إن شوذباً كان مولى طارق بن علقمة بن عريج بن جذيمة الكناني ، ويقال كان مولى لنافع بن علقمة بن صفوان بن أمية بن محرث بن خمل ابن شق الكناني ، خال مروان بن الحكم بن أبي العاصي ابن أمية ، وبئر بُكّار نسبت إلى رجل سكن مكة من أهل العراق ، وهي بذي طوى(١) ، وبئر وَرْدان نسبت إلى

(١) طوى : واد بمكة ، (معجم البلدان : ٤ / ٤٥) .

وردان مولى السّائب بن أبي وداعة بن ضُبَيْرَة السّهمي، وسقاية سرّاج بفخ(١) ، كانت لسراج مولى بني هاشم ، وبئر الأسود نسبت إلى الأسود بن سفيان بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهي بقرب بئر خالصة مولاة أمير المؤمنين المهدي . والبرود بفخ لِمخْتَرِش الكعبي من خزاعة ، وقال ابن الكلبي صاحب دار ابن علقمة بمكة طارق بن علقمة بن عريج بن خزيمة الكناني، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وعبد الملك بن قريب الأصمعي وغيرها ، بستان ابن عامر لعمر بن عبد الله بن معمر بن عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، ولكن الناس غلطوا فيها فقالوا بستان بن عامر وبستان بني عامر ، وإنما هو بستان ابن معمر ، وقوم يقولون نسب إلى ابن عامر الحضرمي ، وآخرون يقولون نسب إلى ابن عامر ابن كريز وذلك ظنّ وتَرْجِيم(٢) .

---

(١) فخ : واد بمكة ، (معجم البلدان : ٤ / ٢٣٧) .
(٢) الترجيم : الظن ، (رجم) بالغيب تكلم بما لايعلمه .

حدثني مصعب بن عبد الله الزُّبيري ، قال كانت في الجاهلية مكة تدعى صلاح ، قال أبو سفيان بن حرب الحضرمي :

أبا مَطَرٍ هَلُمَّ إلى صَلاحِ
لكفيكَ النّدامى من قُريشِ

وتنزِلُ بلدةً عزتْ قديماً
وتأمنُ أن ينالكَ ربُّ جيْشِ

وحدثني العباس بن هشام الكلبي ، قال كتب بعض الكنديين إلى أبي يسأله عن سجن ابن سباع بالمدينة إلى من نسب ، وعن قصة دار النّدْوة ودار العجلة(١) ودار القوارير بمكة ، فكتب إليه : أمّا سجن ابن سباع فانه كان داراً لعبد الله بن سباع بن عبد العزى بن نضلة بن عمرو بن غبشان الخزاعي ، وكان سباع يكنى أبا نيار ، وكانت أمه قابلة بمكة فبارزه حمزة بن عبد المطلب يوم أحُد فقال له هلم إلي يا بن مقطّعة البظور ، ثم قتله واكبّ

(١) العجلة : السقاء ، (اللسان : عجل) .

عليه ليأخذ درعه فزرقه(١) وحشي ، وأم طريح بن اسماعيل الثقفي الشاعر بنت عبد لله بن سباع وهو حليف بني زهرة .

وأما دار الندوة فبناها قصي بن كلاب . فكانوا يجتمعون إليه فتُقضى فيها الأُمور ، ثم كانت قريش بعده تجتمع فيها فتتشاور في حروبها وأُمورها وتعقد الألوية وتزوج من أراد التزويج ، وكانت أول دار بنيت بمكة من دور قريش ثم دار العجلة ، وهي دار سعيد ابن سعد بن سهم، وبنو سهم يدعون أنها بنيت قبل دار الندوة وذلك باطل ، فلم تزل دار الندوة لبني عبد الدار ابن قصي حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من معاوية بن أبي سفيان فجعلها داراً للامارة ، وأما دار القوارير فكانت لعتبة بنت ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ثم صارت للعباس ابن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب ، وقد صارت بعد لأم جعفر زبيدة بنت أبي الفضل بن المنصور أمير المؤمنين،

---

(١) زرقه : رماه .

واستعمل في بعض فرشها وحيطانها شيء من قوارير فقيل دار القوارير ، وكان حماد البربري بناها في خلافة الرشيد أمير المؤمنين رحمه الله ، وقال هشام بن محمد الكلبي ، كان عمرو بن مضاض الجرهمي حارب رجلاً من جرهم يقال له السَّمَيْدَع(١) ، فخرج عمرو في السلاح يتقعقع(٢) فسمّى الموضع الذي خرج منه قعيقعان وخرج السميدع مقلدا خيله الأجراس في أجيادها فسمى الموضع الذي خرج منه أجياد وقال ابن الكلبي . ويقال ، إنه خرج بالجياد المسوَّمة فسمى الموضع أجياد وعامة أهل مكة يقولون جياد الصغير وجياد الكبير .

حدثنا الوليد بن صالح ، عن محمد بن عمر الأسلمي ، عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده ، قال قدمنا مع عمر بن الخطاب في عمرته سنة سبع عشرة فكلمه أهل المياه في الطريق أن يبتنوا منازل فيما بين مكة والمدينة ولم تكن قبل ذلك فاذن لهم واشترط عليهم ان ابن السبيل أحق بالماء والظل .

(١) السميدع : الكريم السيد الجميل الجسيم الموطأ الأكناف ، والأكناف النواحي ، وقيل : هو الشجاع ، (اللسان : سمدع) .
(٢) تعقعقة السلاح : صوته .

ذِكرُ تمصيرِ الكُوفَة

حدثني محمد بن سعد ، قال حدثنا محمد بن عمر الواقدي عن عبد الحميد بن جعفر وغيره أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا (١) وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً فأتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلاً ، فكثر على الناس الذباب ، فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل ، وأنزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها وذلك في سنة سبع عشرة .

وحدثني علي بن المغيرة الأثرم « قال حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أشياخه ، قال : وأخبرني هشام بن

(١) القيروان : القافلة ، أو الكوكبة من الخيل (معرب) .

الكلبي عن أبيه ومشايخ الكوفيين قالوا ، لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة القادسية وجه إلى المدائن ، فصالح أهل الرومية وبهرسير ، ثم افتتح المدائن وأخذ أسبانبر وكردبنداذ عنوة فأنزلها جنده فاحتووها ، فكتب إلى سعد أن حولهم فحولهم إلى سوق حكمة ، وبعضهم يقول : حولهم إلى كويفة دون الكوفة ، وقال الأثرم وقد قيل : التكوف : الاجتماع ، وقيل أيضاً : إن المواضع المستديرة من الرّمل تسمى كوفاني ، وبعضهم يسمي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة(١) ، قالوا : فأصابهم

(١) جاء في معجم البلدان ٤/٤٩٠ :الكوفة :بالضم المصر المشهور بالرش بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء : قال أبو بكر محمد بن القاسم : سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب : رأيت كوفاناً وكوفاناً ، بضم الكاف وفتحها ، للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم : قد تكوف الرمل، يتكوف تكوفاً إذا ركب بعضه بعضاً ، ويقال : أخذت الكوفة من الكوفان ، يقال : هم في كوفان أي في بلاء وشر ، وقيل : سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد ، من قول العرب : قد أعطيت فلاناً كيفة أي قطعة ، وقال قطرب : يقال القوم في كوفان أي في أمر يجمعهم ، قال أبو القاسم قد ذهبت جماعة إلى أنها سميت كوفة بموضعها من الأرض ذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة ، وقال آخرون : سميت كوفة لأن جبل (ساتيدما) يحيط بها كالكفاف عليها ..

البعوض ، فكتب سعد إلى عمر يعلمه أن الناس قد بَعُضُوا وتاذوا بذلك فكتب إليه عمر : أن العرب بمنزلة الإبل ، لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل فارتد لهم موضعاً عدناً ولا تجعل بيني وبينهم بحراً ، وولى الاختطاط للناس أبا الهياج الأسديّ عَمْرَوَ بنَ مالك بن جنادة ، ثم إن عبد المسيح ابن بقيلة أتى سعداً وقال له : أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة ، وارتفعت عن المباق . فدله على موضع الكوفة اليوم ، وكان يقال لها سورستان .

فلما انتهى إلى موضع مسجدها أمر رجلاً فعلا بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقعه ، ثم علا بسهم آخر قبل مهب الشمال وأعلم على موقعه ، ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب وأعلم على موقعه، ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فأعلم على موقعه ، ثم وضع مسجدها ودار إمارتها في مقام العالي وما حوله ، وأسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين على أنه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب الأيسر وهو خيرهما فخرج سهم أهل اليمن ، فصارت خططهم في الجانب الشرقي ، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء

تلك العلامات ، وترك مادونها فناء للمسجد ودار الإمارة، ثم أن المغيرة بن شعبة وسعه وبناه زياد فاحكمه وبنى دار الإمارة .

وكان زياد يقول : انفقت على كل اسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثماني عشرة ومائة ، وبنى فيها عمرو بن حريث المخزومي بناء ، وكان زياد يستخلفه على الكوفة إذا شخص إلى البصرة ، ثم بنى العمال فيها فضيقوا رحابها وأفنيتها ، قال : وصاحب زقاق عمرو بالكوفة بنو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة .

وحدثني وهب بن بقية الواسطي ، قال : حدثنا يزيد ابن هارون عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال : كنا — يعني أهل اليمن — اثنى عشر ألفاً ، وكانت نزار ثمانية آلاف ، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة . وخرج سهمنا بالناحية الشرقية ، فلذلك صارت خططنا بحيث هي .

وحدثني علي بن محمد المدائني عن مسلمة بن محارب وغيره ، قالوا : زاد المغيرة في مسجد الكوفة وبناه ثم زاد

فيه زياد ؛ وكان سبب القاء الحصى فيه ، وفي مسجد البصرة ، أن الناس كانوا يصلون فاذا رفعوا أيديهم وقد تربّت نفضوها ، فقال زياد . ما أخوفني أن يظن الناس على غابر الأيام أن نفض الأيدي سُنّة في الصلاة . فزاد في المسجد ووسعه ، وأمر بالحصى فجمع وألقى في صحن المسجد ، وكان الموكلون بجمعه يتعنتون الناس ، ويقولون لمن وظفوه عليه ايتونا به على ما نريكم وانتقوا منه ضروباً اختاروها . فكانوا يطلبون ما أشبهها فأصابوا مالا ، فقيل: حبذا الإمارة ولو على الحجارة . وقال الأثرم : قال أبو عبيدة : إنما قيل ذلك لأن الحجاج بن عتيك الثقفي — أو ابنه — تولى قطع حجارة أساطين مسجد البصرة من جبل الأهواز ، فظهر له مال فقال الناس . حبذا الإمارة ولو على الحجارة . وقال أبو عبيدة . وكان تكويف الكوفة في سنة ثمان عشرة(١) قال : وكان زياد اتخذ في مسجد الكوفة مقصورة ثم جددها خالد بن عبد الله القصري .

(١) في معجم البلدان : ٤ / ٤٩١ : وأما تمصيرها — تمصير الكوفة — وأوليته فكانت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في السنة التي مصرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ ، وقال قوم : إنها مصرت بعد البصرة بعامين في سنة ١٩ ، وقيل سنة ١٨ .

وحدثني حفص بن عمر العمري ، قال . حدثني الهيثم بن عدي الطائي ، قال : أقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها، ثم أن المسلمين استوخموها واستوبؤها ، فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلاً غريباً فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فاذا الماء محيط بها . فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر ، وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوها .

وحدثني شيخ من الكوفيين . أن ما بين الكوفة والحيرة كان يسمى الملطاط ، قال : وكانت دار عبد الملك بن عمير للضيفان أمر عمر أن يتخذ لمن يرد من الآفاق داراً فكانوا ينزلونها .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف عن محمد بن إسحاق ، قال اتخذ سعد بن أبي وقاص باباً مبوباً من خشب وخُص على قصره خصاً من قصب،

فبعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الأنصاري(١) حتى أحرق الباب والخص وأقام سعداً في مساجد الكوفة فلم يقل فيه إلا خيراً .

وحدثني العباس بن الوليد النرسي وإبراهيم العلاف البصري ، قالا : حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة سعوا بسعد بن أبي وقاص إلى عمر ، وقالوا : إنه لا يحسن الصلاة فقال سعد : أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أخرم عنها ، أركُدُ في الأوليين وأحذف في الأخريين ، فقال عمر : ذاك الظن بك ياأبا إسحق ، فأرسل عمر رجالاً يسألون عنه بالكوفة ، فجعلوا لا يأتون مسجداً من مساجدها إلا قالوا خيراً وأثنو معروفاً حتى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس ، فقال رجل منهم يقال له أبو سعدة :

(١) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي من الأمراء ، من أهل المدينة ، شهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك ، وكان عند عمر معداً لكشف أمور الولاة في البلاد ، يثق به ثقة مطلقة ، ويبعثه في كل قضية ، توفي بالمدينة المنورة سنة ٤٣ هـ = ٦٦٣ م .

أما إذا سألتمونا عنه فانه كان لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية قال ، فقال سعد . اللّهم إن كان كاذباً فأطل عمره ، وأدم فقره وأعم بصره ، وعرضه للفتن ، قال عبد الملك فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء في السكك ، فاذا قيل له : كيف أنت ياأبا سعدة ؟ قال : كبير مفتون أصابتني دعوة سعد ، قال العباس النّرسي في غير هذا الحديث : إن سعداً قال لأهل الكوفة اللهم لا ترض عنهم أميراً ولا ترضهم بأمير .

وحدثني العباس النّرسي ، قال : بلغني أن المختار بن أبي عبيد أو غيره ، قال : حب أهل الكوفة شرف وبغضهم تلف .

وحدثني الحسن بن عثمان الزيادي ، قال : حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي . أن عمرو بن معدي كرب الزبيدي وفد على عمر بن الخطاب بعد فتح القادسية فسأله عن سعد ، وعن رضاء الناس عنه ، فقال : تركته يجمع لهم جمع الذَّرَّة ، ويشفق عليهم شفقة الأمّ البرَّة ، أعرابي في نمرته ، نبطي في جبايته ، يقسم بالسوية،

ويعدل في القضية ، وينفذ بالسوية ، فقال عمر : كأنكما تقارضتما(١) إلينا ، وقد كان سعد كتب يثني على عمرو ، قال : كلا ياأمير المؤمنين ولكني أنبأت بما أعلم ، قال ياعمرو : أخبرني عن الحرب ، قال : مرة المذاق ، إذا قامت على ساق . من صبر فيها عرف . ومن ضعف عنها تلف ، قال : فأخبرني عن السلاح ، قال : سل ياأمير المؤمنين عما شئت منه ، قال : الرمح ، قال : أخوك وربما خانك ، قال : فالسِّهام ، قال : رسل المنايا تخطىء وتصيب ، قال : فالترس قال : ذاك المجن عليه تدور الدوائر ، قال : فالدرع قال : مشغلة للفارس ، متعبة للراجل ، وإنها لحصن حصين . قال : والسيف ، قال : هناك ثكلتك أُمك . فقال عمر : بل ثكلتك أمك . فقال عمرو الحمى أضرعتني إليك ، قال : وعزل عمر سعداً

---

(١) في (اللسان : قرض) : يقال للرجلين : هما يتقارضان الثناء في الخير والشر أي يتجازيان ، وقرظ فلان فلاناً ، وهما يتقارظان المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه ، ومثله يتقارضا — بالضاد — وقد قرضه إذا مدحه أو ذمه ، فالتقارظ في المدح والخير خاصة ، والتقارض إذا مدحه أو ذمه .

وولى عمار بن ياسر ، فشكوه ، وقالوا : ضعيف لا علم له بالسياسة فعزله . وكانت ولايته الكوفة سنة وتسعة أشهر ، فقال عمر : من عذيري من أهل الكوفة ، إن استعملت عليهم القوي فجروه ، وإن وليت عليهم الضعيف حقّروه . ثم دعى المغيرة بن شعبة فقال : إن وليتك الكوفة أتعود إلى شيء مما قرفت به ؟ فقال : لا ، وكان المغيرة حين فتحت القادسية صار إلى المدينة فولاه عمر الكوفة ، فلم يزل عليها حتى توفي عمر ، ثم إن عثمان بن عفان ولاها سعداً ، ثم عزله ، وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ، فلما قدم عليه قال له سعد : إما أن تكون كِستَ بعدي أو أكون حمقت بعدك ، ثم عزل الوليد وولى سعد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن بعض الكوفيين قال : سمعت مسعّر بن كِدَام يحدث ، قال : كان مع رستم يوم القادسية أربعة آلاف يسمون جند شهانشاه ، فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا ، ويحالفوا من أحبوا ويفرض

لهم في العطاء ، فأُعطوا الذي سألوه ، وحالفوا زُهرَة ابن حَوِيَّة السعدي من بني تميم ، وأنزلهم سعد بحيث اختاروا ، وفرض لهم في ألف ألف وكان لهم نقيب منهم يقال له دَيْلَم(١) فقيل حمراء ديلم ، ثم إن زياد سير بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية فهم بها يدعون الفرس ، وسير منهم قوماً إلى البصرة فدخلوا في الأساورة الذين بها ، قال أبو مسعود : والعرب تسمي العجم الحمراء ، ويقولون جئت من حمراء ديلم ، كقولهم جئت من جهينة وأشباه ذلك ، قال أبو مسعود : وسمعت من يذكر أن هؤلاء الأساورة كانوا مقيمين بازاء الديلم ، فلما غشيهم المسلمون بقزوين أسلموا على مثل ما أسلم عليه أساورة البصرة ، وأتوا الكوفة فأقاموا بها .

وحدثني المدائني ، قال : كان أبْرَوِيز وجَّه إلى الديلم ، فأتى بأربعة آلاف ، وكانوا خدمه وخاصته ، ثم كانوا على تلك المنزلة بعده ، وشهدوا القادسية مع رستم ، فلما قتل وانهزم المجوس اعتزلوا ، وقالوا : ما نحن

الديلم : الجماعة الكثيرة من الناس ، اللسان [: ولم] .

كهؤلاء ولا لنا ملجأ وأثرنا عندهم غير جميل ، والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم فنعز بهم فاعتزلوا ، فقال سعد : ما لهؤلاء ، فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم فأخبروه بخبرهم وقالوا : ندخل في دينكم ، فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم فاسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد ، وشهدوا فتح جاولاء ، ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : جبانة السبيع نسبت إلى ولد السبيع بن سبع بن صعب الهمداني ، وصحراء أثير نسبت إلى رجل من بني أسد يقال له أثير (١) ، وكان عبد الحميد نسب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل عمر بن عبد العزيز على الكوفة ، وصحراء بني قرار نسبت إلى بني قرار بن ثعلبة بن مالك بن حرب بن طريف بن النمر بن يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، قال : وكانت دار الروميين مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيها القمامات والكساحات ، حتى استقطعها عنبسة

(١) أثير بن عمرو السكوني الكوفي .

ابن سعيد بن العاصي من يزيد بن عبد الملك ، فاقطعه إياها ، فنقل ترابها بمائة ألف وخمسين ألف درهم ، وقال أبو مسعود . سوق يوسف بالحيرة نسب إلى يوسف ابن عمربن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي بن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو عامل هشام على العراق .

وأخبرني أبو الحسن على بن محمد وأبو مسعود قالا: حمام أعين نسب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص ، وأعين هذا هو الذي أرساله الحجاج بن يوسف إلى عبد الله ابن الجارود العبدي من رستقاباذ (٢) حين خالف وتابعه الناس على إخراج الحجاج من العراق ومسئلة عبد الملك تولية غيره ، فقال له حين أدى الرسالة . لولا أنك رسول لقتلتك . قال أبو مسعود وسمعت أن الحمام قبله كان لرجل من العباد يقال له جابر أخو حيان الذي ذكره الأعشى . وهو صاحب مسناة جابر بالحيرة فابتاعه من ورثته .

---

(٢) هي في معجم البلدان : رستقباذ .

وقال ابن الكلبي وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الأزد من بني عمرو ابن مازن من الأزد وهم من غسان ، قال : وحمام عمر نسب إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص :

قالوا وشهارسوج(١) بجيلة بالكوفة إنما نسب إلى بني بجلة وهم ولد مالك ابن ثعلبة بن بُهثة بن سليم بن منصور وبَجْلَة أمهم وهي غالبة على نسبهم ، فغلط الناس فقالوا بجلة ، وجبانة عَرْزَم نسبت إلى رجل يقال له عرزم كان يضرب فيها اللبن ولبنها رديء فيه قصب وخزف ، فربما وقع الحريق بها فاحترقت الحيطان .

وحدثني ابن عرفة ، قال : حدثني إسماعيل بن علية عن ابن عون أن إبراهيم النخعي أوصى أن لا يجعل في قبره لبن عرزمي ، وقد قال بعض أهل الكوفة أن عرزماً هذا رجل من بني نهد ، وجبّانة بشر نُسبت إلى

---

(١) الشهارسوج : هو فارسي معناه بالعربية أربع جهات ، محلة بالبصرة يقال لها جهارسوج بجلة ، وبجلة : بنت مالك بن نهم الأزوي ، وهي أم ولد مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة ، قال ابن الكلبي : والناس يقولون جهارسوج بجيلة ، قال : وبنو بجلة فيه مع أخوالهم الأزد ، (معجم البلدان : ٣ / ٣٧٤) .

بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قمير الخثعمي الذي يقول :

تَحِـــنُّ ببـــابِ القادسيَّةِ ناقتي
وسَعْـــدُ بنُ وقّاصٍ عليَّ أميرُ

قال أبو مسعود : وكان بالكوفة موضع يعرف بعنترة الحجام ، وكان أسود فلما دخل أهل خراسان الكوفة كانوا يقولون حجَّام عنترة ، فبقي الناس على ذلك ، وكذلك حجّام فرج وضحّاك رواس وبيطار حيّان ويقال رستم ، ويقال صليب وهو بالحيرة .

وقال هشام بن الكلبي : نُسبت زُرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكّا ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وكانت منزله ، وأخذها منه معاوية بن أبي سفيان ، ثم أصفيت بعد حتى أقطعها محمد بن الأشعث ابن عقبة الخزاعي قال : ودار حكيم بالكوفة في أصحاب الأنماط نسبت إلى حكيم بن سعد بن ثور البكّاي ، وقصر مقاتل نسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس

ابن إبراهيم بن أيوب بن محروق أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، قـال : والسَّوَاديَّة بالكوفة نسبت إلى سواد بن زيد عدي بن زيد الشاعر العبادي وجده حماد بن زيد بن أيوب بن محروق ، وقرية أبي صلابة التي على الفرات نسبت إلى صلابة بن مالك بن طارق بن جبر بن همام العبدي ، واقساس مالك نسبت إلى مالك بن قيس ابن عبد هندبن لجم أحد بني حذافة بن زهر بن إياد بن نزار ، ودير الأعور لرجل من إياد من بني أمية بن حذافة كان يسمى الأعور ، وفيه يقول أبو داود الأيادي :

وَدَيْـــرٌ يَقُـــولُ لَهُ الرائِدُو
نَ وَيْـــلُ أمْ دَارُ الحُذَاقي دَارَا

ودير قُرَّة نسب إلى قُرَّة أحد بني أمية بن حذافة ، وإليهم ينسب دير السوَا ، والسَّوا العدل ، كانوا يأتونه فيتناصفون فيه ، ويحلف بعضهم لبعض على الحقوق ، وبعض الرواة يقول السَّوا امرأة منهم ، قال : ودير

الجماجم(١) لأياد وكانت بينهم وبين بني بهراء ابن عمرو ابن الحاف بن قضاعة ، وبين وبني القين بن جسر بن شَيْع الله بن وَبَرَة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف حرب فقتل فيها من أياد خلق ، فلما انقضت الوقعة دفنوا قتلاهم عند الدير ، وكان الناس بعد ذلك يحفرون فخرج جماجم فسمي دير الجماجم : هذه رواية الشرقي بن القطامي ، وقال محمد بن السائب الكلبي : كان مالك الرماح بن محرز الايادي قتل قوماً من الفرس ونصب جماجمهم عند الدير فسمي دير الجماجم ، ويقال : أن دير كعب لاياد ويقال لغيرهم ، ودير هند لأم عمرو بن هند وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وأُمه كندية ، ودار قُمَام بنت الحارث بن هاني الكندي ، وهي عند دار الأشعث بن قيس قال : وبيعة بني عدي نسبت إلى بني عدي ابن الذُّمَيل من لخم .

(١) وفي معجم البلدان ٢/ ٥٠٣ « دير الجماجم » بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة ، قال أبو عبيدة : الجمجمة أيضاً القدح من الخشب ، وبذلك سمي دير الجماجم لأنه كان يعمل فية الأقداح من الخشب ، والجمجمة أيضاً » البئر تحفر في سنجة .. م روايات مشابهة لما أورده البلاذري أعلاه .

قالوا ، وكان طيزناباذ تدعى ضيزناباذ فغيروا أسمها وإنما نسبت إلى الضَّيْزَن بن معاوية بن العبيد السَّليحي ، واسم سَليح عمر بن طريف بن عمران بن الحاف بن قضاعة وربة الخضراء النضير بنت الضيزن وأم الضيزن جَهْلَة بنت تزيد بن حيدان بن عمر بن الحاف بن قضاعة ، قال : والذي نسب إليه مسجد سِماك بالكوفة سماك بن مخرمة بن حمين الأسدي من بني الهالك بن عمرو بن أسد وهو الذي يقول له الأخطل :

إنَّ سِماكاً بنى مَجْداً لأُسرتِه
حتّى المماتِ وفِعْلُ الخيرِ يُبْتَدَرَ
قد كنتُ أَحْسِبُهُ قَيْناً وأَخْبرِه
فاليوم طُيِّرَ عَنْ أثوابِه الشَّرَر

وكان الهالك أوّل من عمل الحديد ، وكان ولده يعيّرون بذلك ، فقال سماك للأخطل : ويحك ما أعياك ، أردت أن تمدحني فهجوتني ، وكان هرب من علي بن أبي طالب من الكوفة ونزل الرَّقَّة ، قال ابن الكلبي بالكوفة محلة بني شيطان وهو شيطان بن زهير بن شهاب

ابن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة من تميم ، وقال ابن الكلبي : موضع دار عيسى ابن موسى التي يعرف بها اليوم ، كان للعلاء بن عبد الرحمن ابن محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان العلاء على ربع الكوفة أيام ابن الزبير وسكّة بن محرز تُنسب إليه ، وبالكوفة سكّة تنسب إلى عميرة بن شهاب بن محرز بن أبي شَمِر الكندي ، الذي كانت أُخته عند عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فولدت له حفص بن عمر ، وصحراء شَبَث نسبت إلى شبث بن ربعي الرياحي من بني تميم ، قالوا : ودار حُجَير بالكوفة نسبت إلى حجير بن الجعد الجمحي ، وقال : بئر المبارك في مقبرة جُعْفِي نسبت إلى المبارك بن عكرمة ابن حميري الجعفي ، وكان يوسف بن عمر ولاه بعض السواد ، ورحى عمارة نسبت إلى عمارة بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ، وقال جبانة سالم نسبت إلى سالم بن عمار بن عبد الحارث أحد بني دارم بن نهار بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وبنو مرة بن

صعصعة ينسبون إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان ،
قالوا : وصحراء البردخت نسبت إلى البردخت الشاعر
الضبي واسمه علي بن خالد ، قالوا : ومسجد بني عنز نسب
إلى بني عنز بن وائل بن قاسط ، ومسجد بني جذيمة نسب
إلى بني جذيمة بن مالك ابن نصر بن قعين بن الحارث بن
ثعلبة بن دودان بن أسد ، ويقال إلى بني جذيمة ابن رواحة
العبسي وفيه حوانيت الصيارفة ، قال : وبالكوفة مسجد نسب
إلى بني المقاصف بن ذكوان بن زبينة بن الحارث بن قطيعة
ابن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن
عيلان ولم يبق منهم احد قال : ومسجد بني بَهدَلَة نسب
إلى بني بهدلة بن المثل بن معاوية من كندة ، قال : وبئر
الجعد بالكوفة نسب إلى الجعد مولى هَمْدان ، قال :
ودار أبي أَرطاة نسبت إلى أرطاة بن مالك البجلي ، قال :
ودار المُقَطَّع نسبت إلى المقطع بن سنين الكلبي بن خالد
ابن مالك ، وله يقول ابن الرِّقاع :

عَلَى ذي مَنَارٍ تَعْرِفُ العَيْنُ شَخْصَهُ
كما يَعْرِفُ الأَضيافُ دارَ المُقَطَّعِ

قال : وقصر العدسيين في طرف الحيرة لبني عمار ابن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبي نسبوا إلى جدتهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي ، وهي أم الرماح والمشظ ابني عامر الملدم .

وحدثني شيخ من أهل الحيرة ، قال : وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر أن المسجد بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور ، وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم .

وحدثني أبو مسعود وغيره ، قال كان خالد بن عبد الله بن أسد بن كرز القسري من بجيلة بنى لأمه بيعة هي اليوم سكة البريد بالكوفة ، وكانت أمه نصرانية ، وقال وبنى خالد حوانيت أنشأها وجعل سقوفها ازاجاً معقودة بالآجر والجص ، وحفر خالد النهر الذي يعرف بالجامع ، واتخذ بالقرية قصراً يعرف بقصر خالد ، واتخذ أخوه أسد بن عبد الله القرية التي تعرف بسوق أسد وسوقها ونقل الناس إليها فقيل سوق أسد ، وكان العبر الآخر ضيعة عتاب بن ورقاء الرياحي ، وكان معسكره حين شخص إلى خراسان والياً عليها عند سوقه هذا .

قال أبو مسعود : وكان عمر بن هُبيرة بن مُعَيَّة الفزاري أيام ولايته العراق أحدث قنطرة الكوفة ثم أصلحها خالد بن عبد الله القسري واستوثق منها ، وقد أصلحت بعد ذلك مرات قال ، وقال بعض أشياخنا : كان أول من بناها رجل من العباد من جعفي في الجاهلية ، ثم سقطت فاتخذ في موضعها جسراً ، ثم بناها في الإسلام زياد بن أبي سفيان ، ثم ابن هبيرة ، ثم خالد بن عبد الله ، ثم يزيد ابن عمر بن هبيرة ، ثم أصلحت بعد بني أُمية مرات.

حدثني أبو مسعود وغيره ، قالوا كان يزيد بن عمر ابن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم ، فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا ، فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس(١) نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها ، وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية ، فكان الناس ينسبونها إلى ابن

(١) أبو العباس السفاح : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (١٠٤ — ١٣٦ هـ = ٧٢٢ — ٧٥٤ م) أول خلفاء الدولة العباسية .

هبيرة على العادة ، فقال : ما أرى ذكر ابن يسقط عنها فرفضها ، وبنى بحيالها الهاشمية ونزلها ، ثم اختار نزول الأنبار فبنى بها مدينته المعروفة فلما توفي دفن بها ، واستخلف أبو جعفر المنصور(١) فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئاً كان بقي منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد ، ثم تحول منها إلى بغداد فبنى مدينته ومصّر بغداد وسماها مدينة السّلام وأصلح سورها القديم الذي يبتدىء من دجلة وينتهي إلى الصراة(٢) ، وبالهاشمية حبس المنصور عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بسبب ابنيه محمد وإبراهيم وبها قبره ، وبنى المنصور بالكوفة الرّصافة وأمر أبا الخصيب مرزوقاً مولاه فبنى له القصر المعروف بأبي الخصيب على أساس قديم ، ويقال: أن أبا الخصيب بناه لنفسه فكان المنصور يزوره فيه ،

(١) أبو جعفر المنصور العباسي : (٩٥ – ١٥٨ هـ = ٧١٤ – ٧٧٥ م) ثاني خلفاء بني العباس .

(٢) الصراة : قال الفراء : يقال هو الصرى والصرى للماء يطول استنقاعه ، وقال أبو عمرو : إذا طال مكثه وتغير ، وهما نهران ببغداد الصراة الكبرى والصراة الصغرى ،(معجم البلدان : ٣ / ٣٩٩).

وأما الـخَوَرْنَق فكان قديماً فارسياً بناه النعمان بن امرىء القيس وهو ابن الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان لبهرام جور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف ، وكان بهرام جور في حجره ، والنعمان هذا الذي ترك ملكة وساح ، فذكره عدي بن زيد العبادي في شعره ، فلما ظهرت الدولة المباركة أقطع الخورنق إبراهيم بن سلمة أحد الدعاة بخراسان وهو جد عبد الرحمن بن إسحاق القاضي كان بمدينة السلام في خلافة المأمون والمعتصم بالله رحمهما الله ، وكان مولى للرباب وإبراهيم أحدث فيه الخورنق في خلافة أبي العباس ولم تكن قبل ذلك .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ، قال : حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل الحضرمي عن مشايخ من أهل الكوفة أن المسلمين لما فتحوا المدائن أصابوا بها فيلاً وقد كانوا قتلوا ما لقيهم قبل ذلك من الفيلة ، فكتبوا فيه إلى عمر فكتب إليهم أن يبيعوه إن وجدتم له مباعاً ، فاشتراه رجل من أهل الحيرة فكان عنده يريه الناس ويجلله ويطوف به في القرى فمكث عنده حيناً ، ثم إن أم أيوب بنت عمارة بن عقبة

ابن أبي معيط امرأة المغيرة بن شعبة وهي التي خلف عليها زياد بعده أحبت النظر إليه وهي تنزل دار أبيها فأتى به ووقف على باب المسجد الذي يدعى اليوم باب الفيل ، فجعلت تنظر إليه ، ووهبت لصاحبه شيئاً وصرفته ، فلم يخط إلا خطى يسيرة حتى سقط ميتاً فسُمِّي الباب باب الفيل ، وقد قيل أن الناظرة إليه امرأة الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وقيل إن ساحراً أرى الناس أنه أخرج من هذا الباب فيلاً على حمار وذلك باطل ، وقيل : إن الأجَّانة (١) التي في المسجد حملت على فيل وأُدخلت من هذا الباب فسمي باب الفيل ، وقال بعضهم : إن فيلاً لبعض الولاة اقتحم هذا الباب فنسب إليه ، والخبر الأول أثبت هذه الأخبار .

وحدثني أبو مسعود ، قال : جبانة ميمون بالكوفة نسبت إلى ميمون مولى محمد بن علي بن عبد الله وهو أبو بشر بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد بالقرب من باب الشام ،

(١) الإجانة والإنجانة والأجانة : المركن ، إناء تغسل فيه الثياب (اللسان : أجن) .

وصحراء أُم سلمة نسبت إلى أُم سلمة بنت يعقوب بن سلمة ابن عبد الله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم امرأة أبي العباس . وحدثني أَبو مسعود ، قال : أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها وألزم كل امرىء منهم للنفقة عليه أربعين درهماً ، وكان ذاماً لهم لميلهم إلى الطَّالبيِّين وإرجافهم بالسلطان .

وحدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عامر ، قال : كتب عمر إلى أهل الكوفة رأس العرب . وحدثنا الحسين قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن نافع بن جبير بن مطعم ، قال : قال عمر بالكوفة وجوه الناس . وحدثنا الحسين وإبراهيم بن مسلم الخوارزمي ، قالا : حدثنا وكيع عن يونس بن أبي إسحاق عن الشعبي ، قال : كتب عمر إلى أهل الكوفة إلى رأس الإسلام . وحدثنا الحسين ابن الأسود ، قال : حدثنا وكيع عن قيس بن الربيع عن شمر بن عطية قال : قال عمر وذكر الكوفة ، فقال :

هم رُمْحُ اللهِ وكَنْزُ الإيمان ، وجمجمة العرب يحرزون(١) ثغورهم ويمدون أهل الأمصار .

وحدثنا أبو نصر التمّار ، قال : حدثنا شريك بن عبد الله بن أبي شريك العامري عن جندب عن سلمان قال : الكوفة قبة الإسلام ، يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهو بها ، أو يهوى قلبه إليها .

* * *

(١) الحرز : الموضع الحصين ، وأحرزت الشيء أحرزه إحرازاً إذا حفظته وضممته إليك ، وصنته عن الأخذ ، (اللسان : حرز) : فالمعنى هنا : يحرسون ويحافظون على ثغورهم .

أمر واسط العراق

حدثني عبد الحميد بن واسع الختلي الحاسب ، قال : حدثني يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، قال : أول مسجد جامع بني بالسّواد مسجد المدائن ، بناه سعد(١) وأصحابه ثم وسّع بعد وأحكم بناؤه ، وجرى ذلك على يدي حذيفة بن اليمان ، وبالمدائن مات حذيفة سنة ست وثلاثين ، ثم بني مسجد الكوفة ، ثم مسجد الأنبار ، قال : وأحدث الحجاج مدينة واسط في سنة ثلاث وثمانين ، أو سنة أربع وثمانين ، وبنى مسجدها وقصرها وقبة الخضراء بها ، وكانت واسط أرض قصب فسميت واسط القصب ، وبينها وبين الأهواز والبصرة والكوفة مقدار واحد .

(١) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وقال ابن القِرِّيَّة : بناه في غير بلده ويتركها لغير ولده .

وحدثني شيخ من أهل واسط عن أشياخ منهم : أن الحجاج لما فرغ من واسط كتب إلى عبد الملك بن مروان إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرَيْن وسميتها واسطاً . فلذلك سمي أهل واسط الكرشيين ، وكان الحجاج قبل اتخاذه واسطاً أراد نزول الصين من كسكر فحفر نهر الصين وجمع له الفعلة وأمر بأن يسلسلوا لئلا يشذوا ويتبلطوا ، ثم بدا له فأحدث واسطا فنزلها واحتفر النيل والزابي وسماه زابياً لأخذه من الزابي القديم ، وأحيا ما على هذين النهرين من الأرضين ، وأحدث المدينة التي تعرف بالنيل ومصَّرها ، وعمد إلى ضياع كان عبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان استخرجها له أيام ولايته خراج الكوفة مع المغيرة بن شعبة من موات مرفوض ونقوض مياه ومغايض وآجام ضرب عليها المسنيات ، ثم قلع قصبها فحازها لعبد الملك بن مروان وعمرها . ونقل الحجاج إلى قصره والمسجد الجامع

بواسط أبواباً من زَنْدَوَرْد والدوقرة ودار وساط ودير ماسرْ جسان وشرابيط ، فضجَّ أهل هذه المدن ، وقالوا : قد أومنَّا على مدننا وأموالنا فلم يلتفت إلى قولهم ، قال : وحفر خالد بن عبد الله القسري المبارك فقال الفرزدق :

كَأنَّكَ بالمُبَارَكِ بَعْدَ شَهْرٍ
تَخُوضُ غُمُورَهُ بُقْعِ الكِلاَبِ

ثم قال في شعر له طويل :

أعْطَى خَلِيفَتَهُ بقُوَّةِ خَالِدٍ
نَهْراً يفَيِضُ لَهُ عَلَى الأنْهارِ

إنَّ المبارَكَ كَاسمِهِ يُسْقَى به
حَرْثُ السَّوادِ وَنَاعِمُ الجبَّارِ

وكأنَّ دجْلَةَ حينَ أقبَلَ مَدُّها
نَابٌ يُمَدُّ لَهُ بِحَبْلِ قِطَارِ

وحدثني محمد بن خالد بن عبد الله الطحان ، قال : حدثني مشايخنا أن خالد بن عبد الله القسري كتب إلى هشام بن عبد الملك يستأذنه في عمل قنطرة على دجلة ،

فكتب إليه هشام : لو كان هذا ممكنا لسبق إليه الفُرْس ، فراجعه فكتب إليه : إن كنت متيقناً أنها تتم فاعماها ، فعماها ، وأعظم النفقة عليها ، فلم يلبث أن قطعها الماء فأغرمه هشام ما كان أنفق عليها .

قالوا : وكان النهر المعروف بالبَزّاق قديماً . وكان يدعى بالنبطية البَسّاق ، أي الذي يقطع الماء عما يليه ويجره إليه . وهو نهر يجتمع إليه فضول مياه آجام السيب وماء من ماء الفرات ، فقال الناس : البزّاق ، فأما الميمون فأول من حفره وكيل لأمّ جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور يقال له سعيد بن زيد ، وكانت فوهته عند قرية تدعى قرية ميمون ، فحولت في أيام الواثق بالله على يدي عمر بن فرج الرّخّجي وسمي الميمون لئلا يسقط عنه ذكر اليُمن .

وحدثني محمد بن خالد ، قال : أمر المهدي أمير المؤمنين بحفر نهر الصِّلة ، فحفر وأحيي ما عليه من الأرضين وجعلت غلاته لصلات أهل الحرمين والنفقة هناك ، وكان

شرط لمن تألّف إليه من المزارعين الشرط الذي هم عليه اليوم خمسين سنة على أن يقاسموا بعد انقضاء الخمسين مقاسمة النصف ، وأما نهر الأمير فنسب إلى عيسى بن علي وهو في قطيعته .

وحدثنا محمد بن خالد ، قال : كان محمد بن القاسم أهدى إلى الحجاج من السند فيلاً فأُجيز البطائح في سفينة وأخرج في المشرَعَة التي تدعى مشرعة الفيل فسمّيت تلك المشرعة مَشْرَعَة الفيل ، وفُرضة الفيل .

* * *

أمر البطائح

حدثني جماعة من أهل العلم : أن الفُرْسَ كانت تتحدث بزوال ملكها ، وتروي في آية ذلك زلازل وطوفان تحدث ، وكانت دجلة تصب إلى دجلة البصرة التي تدعى العوراء في أنهار متشعبة ومن عمود مجراها الذي كان باقي مائها يجري فيه وهو كبعض تلك الأنهار ، فلما كان زمان قباذ بن فيروز انبثق في أسافل كسكر بثق(١) عظيم فأغفل حتى غلب ماؤه وغرق كثيراً من أرضين عامرة ، وكان قباذ واهناً قليل التفقد لأمره ، فلما ولي أنُو شروان ابنه أمر بذلك الماء فردم بالمسنّيات حتى عاد بعض تلك الأرضين

(١) البثق : كسرك شط النهر لينشق الماء ، وبثق شق النهر يبثقه بثقاً كسره لينبعث ماؤه ، وجمعه بثوق ، (اللسان : بثق) .

إلى عمارة،ثم لما كانت السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويز وهي سنة سبع من الهجرة ، ويقال سنة ست زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها ولا بعدها ، وانبثقت بثوق عظام فجهد أبرويز أن يسكرها فغلبه الماء ومال إلى موضع البطائح(١) فطفا على العمارات والزروع فغرق عدة طساسيج كانت هناك ، وركب كسرى بنفسه لسد تلك البثوق ونثر الأموال على الأنطاع (٢) وقتل الفعلة بالكفاية ، وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جسّاراً في يوم فلم يقدر للماء على حيلة ، ثم دخلت العرب أرض العراق وشغلت الأعاجم بالحروب ، فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت إليها ، ويعجز الدهاقين (٣) عن سد عظمها فاتسعت البطيحة وعرضت ، فلما ولى معاوية بن أبي سفيان

---

(١) جمع البطيحة : الماء المستنقع .

(٢) جمع النطع أو النطع ، بساط من الأدم (الجلد) يفرش تحت من حكم عليه بقطع العنق على الأغلب .

(٣) الدهقان والدهقان : التاجر ، فارسي معرب ، وهم الدهاقنة والدهاقين ، (اللسان : دهقن) ، والمراد هنا : كبار القوم ورؤوسهم .

ولى عبد الله بن دراج مولاه خراج العراق ، واستخرج له من الأرضين بالبطائح ما بلغت غلته خمسة آلاف ألف ، وذلك أنه قطع القصب وغاب الماء بالمسنيات(١) ، ثم كان حسَّان النبطي مولى بني ضبَّة ، وصاحب حوض حسان بالبصرة والذي تنسب إليه منارة حسان بالبطائح فاستخرج للحجاج أيام الوليد وهشام بن عبد الملك أرضين من أراضي البطيحة ، قالوا : وكان بكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجَنْب ، وكان طريق البريد إلى مَيْسان ودَسْتُمَيسان وإلى الأهواز في شقِّه القبلي ، فلما تبطحت البطائح سمي ما استاجم من شق طريق البريد آجام البريد ، وسمى الشق الآخر آجام أغمر بثي ، رفي ذلك الآجام الكبرى والنهر اليوم يظهر في الأرضين الجامدة التي استخرجت حديثاً .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن أشياخه ، قالوا : حدثت البطائح بعد مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم وملك

(١) في اللسان : مسن الشيء من الشيء استله ، والمراد هنا جفف ماء المستنقع بقنوات تصريف .

الفرس أبرويز ، وذلك أنه انبثقت بثوق عظام عجز كسرى عن سدها ، وفاضت الأنهار حتى حدثت البطائح ، ثم كان في أيام محاربة المسلمين الأعاجم بثوق لم يعن أحد بسدها فاتسعت البطيحة لذلك وعظمت ، وقد كان بنو أمية استخرجوا بعض أرضيها ، فلما كان زمن الحجاج غرق ذلك لأن بثوقاً انفجرت فلم يعان الحجاج سدها مضارة للدهاقين، لأنه كان اتهمهم بممالأة ابن الأشعث حين خرج عليه ، واستخرج حسان النبطي لهشام أرضين من أرضي البطيحة أيضاً .

وكان أبو الأسد ، الذي نسب إليه نهر أبي الأسد، قائداً من قواد المنصور أمير المؤمنين ممن كان وجه إلى البصرة أيام مقام عبد الله بن علي بها . وهو الذي أدخل عبد الله بن علي الكوفة .

وحدثني عمر بن بُكَيْر : أنّ المنصور رحمه الله وجه أبا الأسد مولى أمير المؤمنين فعسكر بينه وبين عسكر عيسى ابن موسى حين كان يحارب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو حفر

النهر المعروف بأَبي أَسد عند البطيحة ، وقال غيره : أَقام على فم النهر ، لأَنَّ السفن لم تدخاه لضيقه عنها فوسَّعه ونُسِبَ إليه .

قال أَبو مسعود : وقد انبثقت في أيام الدولة المباركة بثوق زادت في البطائح سعة ، وحدثت أَيضاً من الفرات آجام استخرج بعضها .

وحدثني أَبو مسعود عن عَوَانة ، قال : انبثقت البثوق أَيَّام الحجاج فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه : أنه قدَّر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم ، فاستكثرها الوليد ، فقال له مسلمة بن عبد الملك : أَنا أُنفق عليها على أَن تقطعني الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم ، يتولى إنفاقها ثِقَتُكَ ونصيحُكَ الحجاجُ ، فأَجابه إلى ذلك ، فحصلت له أَرضون من طساسيج متصلة فحفر السَّيبَيْن وتألَّف الأكرة والمزارعين ، وعمر تلك الأرضين وألجأ الناس إليها ضياعاً كثيرة للتعزز به ، فلما جاءت الدولة المباركة وقبضت أموال بني أمية أقطع جميع السَّيبَيْن داود بن علي ابن عبد الله بن العباس ، ثم ابتيع ذلك من ورثته بحقوقه وحدوده فصار من ضياع الخلافة .

أمر مدينة السلام

قالوا : وكانت بغداد قديمة فمصّرها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله ، وابتنى بها مدينة ، وابتدأها في سنة خمس وأربعين ومائة ، فلما بلغه خروج محمد وإبراهيم بني عبد الله بن حسن بن حسن عاد إلى الكوفة ، ثم حول بيوت الأموال والخزائن والدواوين من الكوفة إلى بغداد سنة ست وأربعين ومائة ، وسماها مدينة السّلام ، واستتم بناء حائط مدينته وجميع أمره وبناء سور بغداد القديم سنة سبع وأربعين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة بمكة ، ودُفن عند بئر ميمون الحضرمي حليف بن أُميّة ، وبنى المنصور للمهدي الرُّصافة في الجانب الشرقي ببغداد ، وكان هذا الجانب يدعى عسكر المهدي لأنه عسكر فيه حين خرج إلى الري ، فلما قدم من الري وقد بدا للمنصور

في انفاذه إلى خراسان للإقامة بها نزل الرصافة ، وذلك في سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقد كان المنصور أمر فبنى للمهدي قبل إنزاله الجانب الشرقي قصره الذي يعرف بقصر الوضّاح وبقصر المهدي وبالشرقية ، وهو مما يلي باب الكَرْخ ، والوضّاح رجل من أهل الأنبار ، كان تولى النفقة عليه فنُسب إليه ، وبنى المنصور مسجدي مدينة السلام ، وبنى القنطرة الجديدة على الصَّرَاة ، وابتاع أرض مدينة السلام من قوم من أرباب القرى بادُورَيّا وقطربُل ونهر بوق ونهر بين ، وأقطعها أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكتابه ، وجعل مجمع الأسواق بالكرخ ، وأمر التجار فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلّة .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، قال : سمّي المُخرّم ببغداد مُخَرّماً ، لأن مُخَرّم بن شُريح ابن حَزْن الحارثي نزله ، قال : وكان ناحية قنطرة البَرَدان للسري بن الحطيم صاحب الحُطيمّية التي تعرف ببغداد . وحدثني مشايخ من أهل بغداد : أن الصالحيّة ببغداد نسبت إلى صالح بن المنصور ، قالوا : والحربيّة نسبت

إلى حرب بن عبد الله البلخي ، وكان على شُرَط جعفر بن أبي جعفر بالموصل ، والزهيرية تعرف بباب التبن نسبت إلى زهير بن محمد من أهل أَبِيوَرْد ، وعيساباذ نسبت الى عيسى ابن المهدي وكان في حجر منازل التركي وهو ابن الخيزران ، وقصر عَبْدَوَيْه مما يلي بَرَاثَا نسبت إلى رجل من الأزد يقال له عبدويه ، وكان من وجوه أهل الدولة .

قالوا : وأقطع المنصور ببغداد سليمان بن مجالد ومجالد سروي مولى لعلي بن عبد الله موضع داره ، وأقطع مهلهل ابن صفوان قطيعة بالمدينة ، وإليه ينسب درب مهلهل ، وكان صفوان مولى علي بن عبد الله ، وكان اسم مهلهل يحيى فاستنشده محمد بن علي شعرا فأنشده :

أَلَيْلَتَنَا بِذي حُسُمٍ أنيري

وهي لمهلهل فسماه مهلهلاً ، ومحمد أعتقه ، وأقطع المنصور عُمارة بن حمزة الناحيه المعروفة به خلف مربعة شبيب بن واج ، وأقطع ميمون أبا بشر بن ميمون قطيعة عند بستان القس ناحية باب الشام ، وطاقات بشر تنسب إلى بشر بن ميمون هذا ، وكان ميمون مولى علي بن عبد الله

واقطع شُبَيْلاً مولاه قطيعة عند دار يقطين ، وهناك مسجد يعرف بشُبيل ، وأقطع أُمّ عبيدة وهي حاضنة لهم ومولاة لمحمد بن علي قطيعة واليها تنسب طاقات أم عبيدة بقرب الجسر ، وأقطع منيرة مولاة محمد بن علي ، واليها ينسب درب منيرة ، وخان منيرة في الجانب الشرقي ، وأقطع رَيْشانة موضعاً يعرف بمسجد بني رغبان ، مولى حبيب ابن مسلمة الفهري يدخل في قصر عيسى بن جعفر ،أو جعفر بن جعفر بن المنصور ، ودرب مهْرَوَيْه في الجانب الشرقي نسب إلى مهرويه الرازي ، وكان من سبي سنفاذ ، فأعتقه المهدي ولم يزل المنصور رحمه الله بمدينة السلام إلى آخر سني خلافته ، ثم حج منها وتوفي بمكة ، ونزلها بعده المهدي أمير المؤمنين ، ثم شخص منها إلى ماسنذان فتوفي بها ، وكان أكثر نزوله من مدينة السلام بعيساباذ في أبنية بناها هناك ، ثم نزلها الهادي موسى بن المهدي فتوفي بها ، ونزلها الرشيد هارون بن المهدي ، ثم شخص عنها إلى الرّافقة فأقام بها وسار منها إلى خراسان

فتوفي بطوس(١) ، ونزلها محمد بن الرشيد فقتل بها وقدمها المأمون عبد الله بن الرشيد من خراسان فأقام بها ثم شخص عنها غازياً ، فمات بالبَذَنْدُون ودفن بطَرسوس(٢) ، ونزلها أمير المؤمنين المعتصم بالله ثم شخص عنها الى القاطول فنزل قصر الرشيد و كان ابتناه حين حفر قاطوله الذي دعاه ابا الجند لقيام ما يسقى من الأرضين بأرزاق جنده ، ثم بنى بالقاطول بناء نزله ، ودفع ذلك القصر إلى أشناس التركي مولاه ، وهم بتمصير ما هناك وابتدأ بناء مدينة تركها ، ثم رأى تمصير سرَّ من رأى فمصَّرها ونقل الناس إليها وأقام بها وبنى مسجداً جامعاً في طرف الأسواق وسماها سُرَّ من رأى ، ونزل اشناس مولاه فمن ضم إليه من القواد كَرْخَ فيروز ، وأنزل بعض قواده

---

(١) مات الرشيد بطوس (في خراسان قرب مدينة مشهد حالياً) بقرية يقال لها سناباذ ، يوم السبت لأربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومئة ، وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر ، (تاريخ بغداد : ١٤ / ١٣ ، والأخبار الطوال : ٣٩٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢ / ١٤٠ ، ومروج الذهب للمسعودي : ٣ / ٣٤٧ .

(٢) طرسوس : من مدن الثغور الشامية ، شمالي خليج الإسكندرون .

الدُّور المعروفة بالعَرَبابي ، وتوفي رحمه الله بِسُرَّ مَن رأى في سنة سبع وعشرين ومائتين ، وأقام هارون الواثق بالله بسر من رأى في بناء بناه وسماه الهاروني حتى توفي به ، ثم استخلف أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله رحمه الله في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فأقام بالهاروني وبنى بناء كثيراً ، وأقطع الناس في ظهر سر من رأى بالحائر الذي كان المعتصم بالله احتجره بها قطائع فاتسعوا بها ، وبنى مسجداً جامعاً كبيراً وأعظم النفقة عليه، وأمر برفع منارته لتعاو أصوات المؤذنين فيها ، حتى نُظِر إليها من فراسخ ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول ، ثم أنه أحدث مدينة سماها المتوكلية وعمرها ، وأقام بها، وأقطع الناس فيها القطائع ، وجعلها فيما بين الكوخ المعروف بفيروز ، وبين القاطول المعروف بكسرى ، فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحُوزة فيها ، وبنى بها مسجداً جامعاً وكان من ابتدائه إياها إلى أن نزلها أشهر ، ونزلها في أول سنة ست وأربعين ومائتين ، ثم توفي بها رحمه الله في شوال سنة سبع وأربعين واستخلف

في هذه الليلة المنتصر بالله فانتقل عنها إلى سُرَّ من رأى يوم الثلاثاء لعشر خلون من شوال ومات بها .

قالوا : كانت عيون الطّف(١) ، مثل عين الصيد ، والقُطقُطانه ، والرهَيمة ، وعين جمل وذواتها ، للموكّلين بالمسالح التي وراء السواد : هي عيون خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب الموكلين بمسالح الخندق وغيرهم ، وذلك أن سابور أقطعهم أرضها فاعتملوها من غير أن يلزمهم لها خَرَاجاً ، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه صلى الله عليه وسلم ، غلبت العرب على طائفة من تلك العيون ، وبقي في أيدي الأعاجم بعضها ، ثم لما قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد أن طمّت عامة مافي أيديهم منها ، وبقي الذي في أيدي العرب ، فأسلموا

---

(١) الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق ، قال الأصمعي : وإنما سمي طفاً لأنه دان من الريف من قولهم : خذ ما طف لك واستطف ، أي ما دنا وأمكن ، وقيل : سمي الطف لأنه مشرف على العراق من أطف على الشيء بمعنى أطل ، والطف : طف الفرات أي الشاطىء ، والطف : أرض من ضاحية الكوفة ، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية ، منها : الصعيد ، والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها ، (معجم البلدان : ٤ / ٣٥) .

عليه وصار ما عمروه من الأرضين عشرياً ، ولما مضى أمر القادسية والمدائن دفع ماجلا عنه أهله من أراضي تلك العيون إلى المسلمين ، فأقطعوه فصارت عشريّة أيضاً. وكذلك مجرى عيون الطّف وأرضيها مجرى أعراض المدينة وقرى نجد وكل صدقتها إلى عمال المدينة ، فاما ولي إسحاق بن إبراهيم بن مصعب السّواد للمتوكل على الله، ضمّها إلى ما في يده ، فتولى عمالة عشرها وصيّرها سواديّة وهي على ذلك إلى اليوم ، وقد استخرج عيون إسلامية مجرى ما سقت عيونها من الأرضين هذا المجرى.

وحدثني بعض المشايخ : أن جملاً مات عند عين الجمل فنسبت إليه ، وقال بعض أهل واسط أن المستخرج لها كان يسمى جملاً ، قالوا : وسميت العين عين الصيد لأن السمك يجتمع فيها .

وأخبرني بعض الكريزيين : أن عين الصيد كانت مما طُمّ ، فبينا رجل من المسلمين تحول فيما هناك ، إذ

ساخت قوائم فرسه(١) فيها ، فنزل عنه ، فحفر ، فظهر له الماء ، فجمع قوماً عاونوه على كشف التراب والطين عنها أو تنقيتها حتى عادت إلى ما كانت عليه ، ثم إنها صارت بعد إلى عيسى بن علي ، وكان عيسى ابتاعها من ولد حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وكانت عنده منهم أم كلثوم بنت حسن بن حسن ، وكان معاوية أقطع الحسن بن علي عين صيد هذه عوضاً من الخلافة مع غيرها ، وكانت عين الرحبة مما طُمَّ قديماً ، فرآها رجل من حجّاج أهل كرمان وهي تبض ، فلما انصرف من حجه ، أتى عيسى بن موسى متنصحا ، فدلّه عليها فاستقطعها وأرضها واستخرجها له الكرماني ، فاعتمل ما عليها من الأرضين ، وغرس النخل الذي في طريق العُذَيب ، وعلى فراسخ من هيت عيون تدعى العِرْق تجري هذا المجرى ، أعشارها إلى صاحب هيت .

---

(١) ساخت بهم الأرض تسوخ سوخاً إذا انخسفت ، وكذلك الأقدام تسوخ في الأرض وتسيخ : تدخل فيها وتغيب ، وفي حديث سراقة والهجرة : فساخت يد فرسي ، أي غاصت في الأرض ، (اللسان : سيخ) .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : لما رأت العرب كثرة القرى والنخل والشجر ، قالوا : مارأينا سواداً أكثر والسواد الشخص فلذلك سمي السواد سواداً .

وحدثني القاسم بن سلام ، قال . حدثنا محمد بن عبيد عن محمد بن أبي موسى قال : خرج علي إلى السوق ، فرأى أهله قد حازوا أمكنتهم ، فقال : ليس ذلك لهم ، إنّ سوق المسلمين كمصلاهم ، من سبق إلى موضع فهو له يومه حتى يدعه .

حدثني أبو عبيد ، قال : حدثني مروان بن معاوية عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه ، قال : كنا نغدوا إلى السوق في زمن المغيرة بن شعبة فمن قعد في موضع كان أحق به إلى الليل ، فلما كان زياد قال : من قعد في موضع كان أحق به ما دام فيه ، قال مروان : وولى المغيرة الكوفة مرتين لعمر مرة ، ومرة لمعاوية .

* * *

تمصير البصرة

حدثني عليُّ بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : لما نزل عتبة بن غزوان الخُرَيْبَة ، كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله إيّاها ، وأنّه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا ، ويكنسون(١) فيه إذا انصرفوا من غزوهم ، فكتب إليه اجمع أصحابك في موضع واحد ، وليكن قريباً من الماء والمرعى واكتب إليَّ بصفته ، فكتب إليه إني وجدت أرضاً كثيرة القصبة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء . فلما قرأ الكتاب ، قال : هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب ، وكتب إليه أن انزلها الناس ، فأنزلهم إياها ، فبنوا

(١) يأوون ويستقرون فيه ، (اللسان : كنس) .

مساكن بالقصب ، وبنى عتبة مسجداً من قصب ، وذلك في سنة أربع عشرة فيقال أنّه تولى اختطاط المسجد بيده، ويقال : اختطه محجر بن الأدرع البهزي من سليم، ويقال اختطه نافع بن الحارث بن كلدة حين خطّ داره، ويقال بل اختطه الأسود بن سريع التميمي ، وهو أول من قضى فيه ، فقال له مجاشع ومجالد ابنا مسعود رحمك الله شهرتَ نفسك فقال : لا أعود ، وبنى عتبة دار الإمارة دون المسجد في الرحبة التي يقال لها اليوم رحبة بني هاشم ، وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديّوان ، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتّى يرجعوا من الغزو ، فاذا رجعوا أعادوا بناءه ، فلم تزل الحال كذلك، ثمّ إنّ الناس اختطّوا وبنوا المنازل ، وبنى أبو موسى الأشعري المسجد ودار الإمارة بلبن وطين ، وسقّفها بالعشب ، وزاد في المسجد ، وكان الأمام إذا جاء للصلاة بالناس تخطاهم إلى القبلة على حاجر ، فخرج عبد الله بن عامر ذات يوم من دار الإمارة يريد القبلة . وعليه جبة خزّ دكناء ، فجعل الأعراب يقولون على الأمير جلد دبّ .

وحدثني أبو محمد الثوريُّ عن الأصمعي ، قال : لما نزل عتبة بن غزوان الخُرَيبة ، ولد بها عبد الرحمن بن أبي بكرة ، وهو أول مولود بالبصرة ، فنحر أبوه جزوراً أشبع منها أهل البصرة ، ثم لما استعمل معاوية بن أبي سفيان زياداً على البصرة زاد في المسجد زيادة كثيرة ، وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج(١) ، وقال : لا ينبغي للإمام أن يتخطّى الناس ، فحول دار الإمارة من الدهناء إلى قبلة المسجد فكان الإمام يخرج من الدار في الباب الذي في حائط القبلة ، وجعل زياد حين بنى المسجد ودار الإمارة يطوف فيها ، وينظر إلى البناء ، ثم يقول لمن معه من وجوه أهل البصرة أترون خللاً ؟ فيقولون : ما نعلم بناء أحكم منه ، فقال : بلى هذه الأساطين التي على كل واحدة منها أربعة عقود ، لو كانت أغلظ من سائر الأساطين .

وروى عن يونس بن حبيب النحوي ، قال : لم يؤت من تلك الأساطين قطُّ تصديع ولا عيب ، وقال

---

(١) الساج : خشب يجلب من الهند ، واحدته ساجه ، (اللسان : سوج) .

حارثة بن بدر الغُداني ، ويقال بل قال ذلك البَعيثُ المجاشعي :

بَنَى زيـــادٌ لِذِكْرِ اللهِ مَصْنَعَـــةً
مِــنَ الحجـارةِ لم تُعْمَل مِن الطِّينِ

لَــوْلا تعاون أَيدي الإِنسِ تَرْفَعُها
إِذاً لَقُلْنـــا من أَعْمالِ الشَّياطينِ

وقال الوليد بن هشام بن قَحْذَم لما بنى زياد المسجد جعل صفته المقدَّمة خمس سوارٍ وبنى منارته بالحجارة، وهو أول من عمل المقصورة ، ونقل دار الإمارة إلى قبلة المسجد ، وكان بناؤه إياها بلبن وطين ، حتَّى بناها صالح ابن عبد الرحمن السجستاني ، مولى بني تميم ، في ولايته خراج العراق لسليمان بن عبد الملك بالآجر والجص وزاد فيه عبيد بن زياد وفي مسجد الكوفة، وقال: دعوتُ الله أن يرزقني الجهاد ففعل، ودعوته أن يرزقني بناء مسجدي الجماعة بالمصرَيْن(١) ففعل، ودعوته أن يجعلني خالفاً من زياد ففعل.

(١) المصران : الكوفة والبصرة ، قال ابن الأعرابي : قيل لهما المصران لأن عمر رضي الله عنه ، قال : لا تجعلوا البحر فيما بيني وبينكم ، مصروها ، أي صيروها مصراً بين البحر وبيني أي حداً ، والمصر : الحاجز بين الشيئين ، (اللسان : مصر) .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : لما بنى زياد المسجد أتى بسواريه من جبل الأهواز ، وكان الذي تولى أمرها وقطعها الحجاج بن عتيك الثقفي وابنه ، فظهر له مال ، فقيل حبذا الإمارة ولو على الحجارة ، فذهبت مثلاً ، قال : وبعض الناس يقول : إن زياداً رأى الناس ينفضون أيديهم إذا تربت وهم في الصلاة فقال : لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض الأيدي في الصلاة سُنَّة ، فأمر بجمع الحصى وإلقائه في المسجد ، فاشتد الموكَّلون بذلك على الناس وتعنَّتوهم وأروهم حصى أنتقوه ، فقالوا : إيتونا بمثله على مقاديره وألوانه ، وارتشوا على ذلك فقال القائل: حبذا الإمارة ولو على الحجارة، وقال أبو عبيدة : وكان جانب المسجد الشمالي منزوياً لأنه كانت هناك دار لنافع بن الحارث بن كلدة فأبى ولده بيعها، فلما ولي معاوية عبيد الله بن زياد البصرة ، قال عبيد الله لأصحابه : إذا شخص عبد الله بن نافع إلى أقصى ضيعته فاعلموني ذلك ، فشخص إلى قصره الأبيض الذي على البطيحة ، فأخبر عبيد الله بذلك فبعث الفعلة فهدموا من

تلك الدار ماسوى به تربيع المسجد ، وقدم ابن نافع فضج إليه من ذلك فأرضاه بأن أعطاه بكل ذراع خمسة أذرع ، وفتح له في الحائط خوخة(١) إلى المسجد فلم تزل الخوخة في حائطه حتى زاد المهدي أمير المؤمنين في المسجد فأدخلت الدار كلها فيه ، وأدخلت فيه أيضاً دار الإمارة في خلافة الرشيد رحمه الله .

وقال أبو عبيدة لما قدم الحجاج بن يوسف العراق ، أخبر أن زياداً ابتنى دار الإمارة بالبصرة ، فأراد أن يزيل اسمه عنها فهمّ ببنائها بجص وآجر ، فقيل له إنما تزيد اسمه فيها ثباتاً وتوكّداً فهدمها وتركها ، فبنيت عامة الدور حولها من طينها ولبنها وأبوابها ، فلم تكن بالبصرة دار إمارة حتى ولي سليمان بن عبد الملك ، فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق ، فحدثه صالح حديث الحجاج ، وما فعل في دار الإمارة ، فأمره بإعادتها فأعادها بالآجر والجص على أساسها ورفع سمكها ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وولي عديّ

(١) الخوخة : الباب الصغير ، (اللسان : خوخ) .

ابن أرطاة الفزاري البصرة ، أراد عدي أن يبني فوقها غُرَفاً فكتب إليه عمر : هبلتك أمُّك يا بن أم عدي أيعجز عنك منزل وسع زياداً وآل زياد ، فأمسك عدي عن إتمام تلك الغرف ، وتركها ، فلما ولّى سليمان بن علي ابن عبد الله بن العباس البصرة لأبي العباس أمير المؤمنين بنى على ما كان عديٌّ رفعه من حيطان الغرف بناء بطين ثمّ تركه وتحول إلى المربد فنزله ، فلما استخلف الرشيد أدخلت الدار في قبلة المسجد فليس اليوم للأمراء بالبصرة دار إمارة .

وقال الوليد بن هشام بن قَحْذَم : لم يزد أحد في المسجد بعد ابن زياد حتى كان المهدي ، فاشترى دار نافع ابن الحارث بن كَلَدَة الثقفي ، ودار عبيد الله بن أبي بكرة ، ودار ربيعة بن كلدة الثقفي ، ودار عمرو بن وهب الثقفي ، ودار أم جميل الهلاليّة التي كان من أمرها وأمر المغيرة بن شعبة ما كان(١) ، ودوراً غيرها فزادها

(١) كان المغيرة يدخل على أم جميل يعني بأمرها بعد موت زوجها ، فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه ، وأساء به الظن بعض الناس ، وكان بينه وبين أبي بكرة الثقفي منافرة ، فاتّهمه بها ، وبرأه الله ، وكانت الحادثة سنة ١٧ هـ ، فلا يقبل العقل أن يأتي المغيرة بامرأة إلى منزله يفجر بها ، وأهله ينظرون ، (انظر : الطبري : ٤ / ٢٠٧) .

في المسجد أيام ولّي محمد بن سليمان بن علي البصرة ، ثم أَمر هارون أَمير المؤمنين الرشيد عيسى بن جعفر بن المنصور أيام ولايته البصرة أَن يدخل دار الإمارة في المسجد ففعل .

وقال الوليد بن هشام أخبرني أبي عن أبيه ، وكان يوسف بن عمر ولاه ديوان جند العرب ، قال : نظرت في جماعة مقاتلة البصرة أَيام زياد فوجدتهم ثمانين أَلفاً ووجدت عيالهم مائة أَلف وعشرين أَلف عيل ، ووجدتُ العرب مقاتلة الكوفة ستين أَلفاً وعيالهم ثمانين أَلفاً .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده ، قال : كان عتبة بن غزوان مع سعد بن أبي وقاص ، فكتب إليه عمر أن اضرب قَيْرَوانك بالكوفة ووجه عتبة بن غزوان إلى البصرة ، فخرج في ثمانمائة ، فضرب خيمة من أَكسية ، وضرب الناس معه وأَمده عمر بالرِّجال ، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن منها بالخُرَيْبَة اثنتان ، وبالزابوقة واحدة ، وفي بني تميم اثنتان

وفي الأزد اثنتان . ثم أن عتبة خرج إلى الفرات بالبصرة فافتتحه ثم رجع إلى البصرة ، وكان سعد يكاتب عتبة فغمه ذلك ، فاستأذن عمر في الشخوص إليه ، فلحق به واستخلف المغيرة بن شعبة ، فلما قدم المدينة شكا إلى عمر تسلط سعد عليه فقال له: وما عليك أن تقر بالإمارة لرجل من قريش له صحبة وشرف ، فأبى الرجوع ، وأبى عمر إلاّ ردّه ، فسقط عن راحلته في الطريق فمات في سنة ست عشرة ، وكان محجر بن الأدرع اختط مسجد البصرة ولم يبنه فكان يصلي فيه غير مبني ، فبناه عتبة بقصب ، ثمّ بناه أبو موسى الأشعري وبُني بعده .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، قال : حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا أبو معاوية عن الشيباني عن محمد بن عبد الله الثقفي ، قال : كان بالبصرة رجل يكنى أبا عبدالله، ويقال له نافع، وكان أول من افتلا الفلا(١)

(١) فلا : قطع ، والفلاة : القفر من الأرض ، لأنها فليت عن كل خير ، أي فطمت وعزلت ، وقيل : هي التي لا ماء فيها ، ونزل بنو فلان على ماء كذا وهم يفتلون الفلاة من ناحية كذا ، أي يرعون كلأ البلد ويردون الماء من تلك الجهة ، وافتلاؤها رعيها وطلب ما فيها من لمع الكلأ ، (اللسان : فلا) .

بالبصرة ، فأتى عمر فقال له : إن بالبصرة أرضاً ليست من أرض الخراج ولا تضر بأحد من المسلمين. فكتب له أبو موسى إلى عمر بذلك ، فكتب له عمر إليه أن يقطعه إياها .

وحدثنا سعيد بن سليمان . قال : حدثنا عباد بن العوام عن عوف الأعرابي قال : قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى أن أبا عبد الله سألني أرضاً على شاطىء دجلة يفتلي فيها خيله ، فإن كانت في غير أرض الجزية ولا يجزأ إليها ماء الجزية فأعطه إيّاها ، وقال عبّاد : بلغني أنّه نافع بن الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وقال الوليد بن هشام بن قحذم : وجدت كتاباً عندنا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى المغيرة بن شعبة ، سلام عليك فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فان أبا عبد الله ذكر أنه زرع بالبصرة في إمارة ابن غزوان وافتلى أولاد الخيل حين لم يفتلها أحد من أهل البصرة ، وأنه نعم ما أرى فأعنه على زرعه وعلى خيله ، فإني قد أذنت له أن يزرع ، وآته أرضه التي زرع إلا أن

تكون أرضاً عليها الجزية من أرض الأعاجم أو يصرف إليهاماء أرض عليهاالجزية ، ولا تعرض له إلا بخير ، والسلام عليك ورحمة الله ، وكتب معيقيب بن أبي فاطمة في صفر سنة سبع عشرة ، وقال الوليد بن هشام : أخبرني عمي عن ابن شبرمة أنه قال : لو وليت البصرة لقبضت أموالهم . لأن عمر بن الخطاب لم يقطع بها أحداً إلا أبا بكرة ونافع بن الحارث ، ولم يقطع عثمان بالبصرة إلا عمران بن حصين ، وابن عامر أقطعه داره ، وحمران مولاه قال : وقد أقطع زياد عمران قطيعة أيضاً فيما يقال.

وقال هشام بن الكلبي : أول دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث ، ثم دار معقل بن يسار المزني ، وكان عثمان بن عفان أخذ دار عثمان بن أبي العاصي الثقفي ، وكتب أن يعطي أرضاً بالبصرة فأُعطى أرضه المعروفة بشط عثمان بحيال الأُبُلَّة . وكانت سبخة فاستخرجها وعمرها ، وإلى عثمان بن أبي العاصي ينسب باب عثمان بالبصرة ، قالوا : كان حمران بن أبان للمسيب بن نجبة الفزاري أصابه بعين التمر ، فابتاعه منه عثمان بن عفان

وعلمه الكتاب ، واتخذه كاتباً ، فوجد عليه لأنه كان وجّهه للمسألة عن مارفُع على الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فارتشى منه ، وكذب ما قيل فيه ، فتيقن عثمان صحة ذلك بعد فوجد عليه ، وقال : لا يساكنني أبداً ، وخيره بلداً يسكنه غير المدينة فاختار البصرة ، وسأله أن يقطعه بها داراً وذكر ذرعاً كثيراً فاستكثره عثمان وقال لابن عامر : أعطه داراً مثل بعض دورك فأقطعه داره التي بالبصرة ، قالوا : ودار خالد بن طليق الخزاعي القاضي كانت لأبي الجراح القاضي صاحب سجن ابن الزبير اشتراها له سلم بن زياد ، لأنه هرب من سجن ابن الزبير ، قال ابن الكلبي : سكّة بني سَمُرة بالبصرة كان صاحبها عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومسجد عاصم نسب إلى عاصم أحد بني ربيعة بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ودار أبي نافع بالبصرة نسبت إلى أبي نافع مولى عبد الرحمن أبي بكرة .

وقال القحذمي : كانت دار أبي يعقوب الخطابي لسحامة بن عبد الرحمن بن الأصم الغنوي ، مؤذن الحجاج . وهو ممن قاتل مع يزيد بن المهلب فقتله مسلمة ابن عبد الملك يوم العقر . وهي إلى جانب دار المغيرة ابن شعبة ، قالوا : ودار طارق نسبت إلى طارق بن أبي بكرة وقبالتها خطة الحكم بن أبي العاصي الثقفي . ودار زياد بن عثمان كان عبيد الله بن زياد اشتراها لابن أخيه زياد بن عثمان ، وتليها الخطة التي منها دار لبابة بنت أبي العاصي . وكانت دار سليمان بن علي لسلم ابن زياد فغلب عليها بلال بن أبي بردة أيام ولايته البصرة لخالد ابن عبد الله ، ثم جاء سليمان بن علي فنزلها .

قالوا : وكانت دار موسى بن أبي المختار مولى ثقيف لرجل من بني دارم فأراد فيروز حصين ابتياعها منه بعشرة آلاف ، فقال : ما كنت لأبيع جوارك بمائة ألف فأعطاه عشرة آلاف وأقر الدار في يده . وقال أبو الحسن : أراد الدارمي بيع داره فقال أبيعها بعشرة آلاف درهم خمسة آلاف ثمنها وخمسة آلاف لجوار فيروز .

فبلغ فيروز ذلك فقال : أمسك عليك دارك ، وأعطاه عشرة آلاف درهم. ودار ابن تُبَّع نسبت إلى عبد الرحمن ابن تُبَّع الحميري وكان على قطائع زياد ، وكان دَمُّون من أهل الطائف ، فتزوج أبو موسى ابنته فولدت له أبا بُرْدَة ، والدَمُّون خطّة بالبصرة وله يقول أهل البصرة : الرفاء والبنون ، وخبز وكمون ، في بيت الدَمُّون .

وقال القحذمي وغيره : كان أول حمّام اتّخذ بالبصرة حمّام عبدالله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفي ،وهوموضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخُرَيْبة ، وعند قصر عيسى بن جعفر ، ثم الثاني حمّام فيل مولى زياد ، ثم حمّام مسلم بن أبي بكرة في بلالاباذ ، وهو الذي صار لعمرو بن مسلم الباهلي ، فمكثت البصرة دهراً وليس بها إلا هذه الحمّامات .

وحدثني المدائني قال ، قال أبو بكرة لأبنه مسلم : يابني والله ماتلي عملاً ، وما أراك تقصر عن إخوتك في المنفعة ، فقال : إن كتمت علي أخبرتك ، قال فإني

أفعل ، قال : فاني أغتل من حمامي هذا في كل يوم ألف درهم وطعاماً كثيراً ، ثم إنّ مسلماً مرض فأوصى إلى أخيه عبد الرحمن بن أبي بكرة وأخبره بغلة حمّامه ، فأفشى ذلك واستأذن السلطان في بناء حمّام ، وكانت الحمّامات لا تبنى بالبصرة إلاّ بإذن الولاة ، فأذن له . فاستأذن عبيد الله بن أبي بكرة فأذن له ، واستأذن الحكم ابن أبي العاصي فأذن له ، واستأذن سياه الأُسواري فأذن له ، واستأذن الحصين بن أبي الحر العنبري فأذن له ، واستأذنت رَبْطَة بنت زياد فأذن لها ، واستأذنت لبابة بنت أوفي الجرشي فأذن لها في حمّامَيْن أحدهما في أصحاب القباء ، والآخر في بني سعد ، واستأذن المنجاب ابن راشد الضبي فأذن له . وأفاق مسلم بن أبي بكرة من مرضه ، وقد فسدت عليه غلّة حمّامه ، فجعل يلعن عبد الرحمن ويقول : ما قطع الله رحمه .

قالوا : وكان فيل حاجب زياد ومولاه ، ركب معه أبو الأسود الدؤلي وأنس بن زُنَيْم . وكان على بِرْذَوْن

هملاج(١) وهما على فرسي سوء قطوفين(٢) فأدركهما الحسد ، فقال أنس : أجزيا أبا الأسود قال : هات ، فقال :

لَعَمْرُ أبيكَ ما حمَّامُ كِسرى
علـى الثُّلثَينِ مِنْ حَمَّامِ فيلِ

فقال أبو الأسود :

وَمَا أرقَاصُنَا حَوْلَ الموَالي
بِسُنَّتِنا عَلى عَهْدِ الرَّسُولِ

وقال أبو مُفَرِّغ لطلحة الطَّلْحات ، وهو طلحة ابن عبد الله بن خلف :

تُمَنِّيني طُلَيحَةُ ألفَ ألف
لَقَد مَنَّيتني أمَلاً بَعيداً

(١) الهملاج : من البراذين (البرذون : الدابة) واحد الهماليج ، ومشيها الهملجة ، فارسي معرب ، والهملجة والهملاج : حسن سير الدابة في سرعة ، والهملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة ، (اللسان : هملج) .

(٢) القطوف من الدواب : البطيء ، (اللسان : قطف)

فَلَسْتُ لِمَاجِدٍ حُرٍّ وَلكِنْ
لِسَمْرَاءَ الَّتي تَلِدُ العَبِيدا

وَلَوْ أُدْخِلْتَ في حَمَّامِ فِيلٍ
وَأُلْبِسْتَ المَطَارِفَ وَالبُرُودا

وقال بعضهم وقد حضرته الوفاة :

يارُبَّ قَائِلَةٍ يَوْماً وَقَدْ لَغِبَتْ
كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلى حَمَّامِ مِنْجَابِ

يعني حمَّام المِنْجاب بن راشد الضَّبي ، وقال عباس مولى بني أُسامة :

ذَكَرْتُ البَنْدَ في حَمَّامِ عَمْرو
فَلَمْ أَبْرَحْ إِلى بَعْدَ العَشَاءِ

وحمام بَلْج نسب إلى بلج بن نُشْبة السعدي الذي يقول له زياد :

* وَمُحْتَرِس مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِس *

وقال هشام بن الكلبي : قصر أوس بالبصرة نُسب إلى أوس بن ثعلبة بن رُقَي أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن

عكابة ، وهو من وجوه من كان بخراسان ، وقد تقلد بها أُموراً جسيمة . وهو الذي مر بتدمر فقال في صنميها

فَتَأتي أَهلِ تَدْمرَ حينَ آني
أَلَمَّا تَسأما طُولَ القِيَامِ
كَمْ مَرَّ مِنْ دَهْرٍ وَدَهْرٍ
لإِهْلِكُمَا وَعَامٍ بَعْدَ عَامَ

وقصر أنس ، نسب إلى أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والذي بنى منارة بني أُسيد حسان بن سعد منهم ، والقصر الأحمر لعمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، وهو اليوم لآل عمر بن حفص بن قبيصة بن أبي صفرة ، وقصر المسيَّرين كان لعبد الرحمن بن زياد، وكان الحجاج سيَّر عيال من خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي إليه فحبسهم فيه ، وهو قصر في جوف قصر ، ويتلوه قصر عبيد الله بن زياد وإلى جانبه جَوْسَق(١) .

---

(١) الجوسق : الحصن ، وقيل هو شبيه بالحصن (معرب) ، والجوسق : القصر أيضاً ، (اللسان : جسق) .

قال الفَحْذَمِيّ : وقصر النّواهق هو قصر زياد ، سمّاه الشُطّار بذلك ، وقصر النعمان كان للنعمان بن صُهْبَان الراسبي الذي حكم بين مضر وربيعة أيام مات يزيد بن معاوية ، قال : وزاد عبيد الله بن زياد للنعمان بن صهبان في قصر هذا فقال : بئس المال هذا ياأبا حاتم إن كثر الماء غرقت ، وإن قل عطشت فكان كما قال ، قل الماء فمات كلٌ من ثمّ ، وقصر زربي نُسِبَ إلى زربي مولى عبد الله بن عامر ، وكان قيماً على خيله فكانت الدار لدوابه . وقصر عَطِيّة نسب إلى عطية الأنصاري ، ومسجد بني عباد نسب إلى بني عباد بن رضاء بن شقرة بن الحارث بن تميم بن مر ، وكانت دار عبد الله بن خازم السلمي لعمته دَجَّاجة(١) أمّ عبد الله بن عامر فأقطعته إياها وهو عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت وهي دَجَّاجة بنت أسماء .

(١) دج القوم يدجون دجاً ودجيجاً ودججانا : مشوا مشياً رويداً في تقارب خطو ، وقيل : هو أن يقبلوا ويدبروا ، وقيل : هو الدبيب بعينه ، ودج يدج إذا أسرع ، (اللسان : دجج) .

وحدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي والعباس بن هشام عن أبيه عن عوّانة ، قالا : قدم الأحنف بن قيس على عمر ابن الخطاب رضي‌الله عنه في أهل البصرة فجعل يسألهم رجلاً رجلاً والأحنف في ناحية البيت في بتٍّ لا يتكلم فقال له عمر : أمالك حاجة ؟ قال : بلى ياأمير المؤمنين ، إنّ مفاتح الخير بيد الله . وإن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأُمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفّة ، وإنا نزلنا سبخة بشاشة لايجف نداها ، ولا ينبت مرعاها ، ناحيتها قبل المشرق البحر الأجاج ، ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مريء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة لذلك فتربق(١) ولدها كما يربق العنز يخاف بادرة العدو وأكل السَّبُع ، فإلاّ ترفع خسيستنا ، وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا ، فألحق عمر ذراري أهل البصرة في العطاء ، وكتب إلى أبي موسى يأمره أن يحفر لهم نهراً .

---

(١) الربق : الحبل والحلقة تشد بها الغنم الصغار لئلا ترضع (اللسان : ربق) .

فحدثني جماعة من أهل العلم ، قالوا : كان لدجلة العوراء وهي دجلة البصرة خور ، والخور طريق للماء لم يحفره أحد يجري فيه ماء الأمطار إليها ويتراجع ماؤها فيه عند المد وينضب في الجزر ، وكان طوله قدر فرسخ ، وكان لحده مما يلي البصرة غورة واسعة تسمى في الجاهلية الإجانة ، وسمته العرب في الإسلام الجزارة ، وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة بالذرع الذي يكون به نهر الأبلة كله أربعة فراسخ ، ومنه يبتدىء النهر الذي يعرف اليوم بنهر الإجانة ، فلما أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى الأشعري أن يحتفر لأهل البصرة نهراً ، ابتدأ الحفر من الإجانة وقاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة فصار طول نهر الأبلة أربعة فراسخ . ثم إنه أنطمّ منه ما بين البصرة وبثق الحيري : وذلك على قدر فرسخ من البصرة .

وكان زياد بن أبي سفيان والياً على الديوان وبيت المال من قبل عبد الله بن عامر بن كريز ، وعبد الله يؤمئذ على البصرة من قبل عثمان بن عفان ، فأشار على ابن عامر أن

ينفذ حفر نهر الأُبلة من حيث انطم حتى يبلغ به البصرة، وكان يربث ذلك ويدافع به .

فلما شخص ابن عامر إلى خراسان واستخلف زياداً أقر حفر أبي موسى الأشعري على حاله وحفر النهر من حيث انطم حتى بلغ به البصرة ، وولى ذلك عبد الرحمن بن أبي بكرة ، فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه والماء يكاد يسبقه ، وقدم ابن عامر من خراسان فغضب على زياد ، وقال : إنما أردت أن تذهب بذكر النهر دوني فتباعد ما بينهما حتى ماتا وتباعد بسببه ما بين أولادهما ، فقال يونس بن حبيب النحوي : أنا أدركت ما بين آل زياد وآل ابن عامر متباعداً .

وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : قاد أبو موسى الأشعري نهر الأُبلة من موضع الإجانة إلى البصرة ، وكان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال له دير قاووس، فوهته في دجلة فوق الأُبلة بأربعة فراسخ ، يجري في سباخ لا عمارة على حافاته ، وكانت الأرواح تدفنه ، قال : ولما حفر زياد فيض البصرة بعد فراغه من إصلاح

نهر الأبلة قدم ابن عامر من خراسان فلامه ، وقال : أردت أن تذهب بشهرة هذا النهر وذكره ، فتباعد ما بينهما وبين أهلهما بذلك السبب ، وقال أبو عبيدة : كان احتفاره الفيض من لدن دار فيل مولى زياد وحاجبه إلى موضع الجسر .

وروى محمد بن سعد عن الواقدي وغيره أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى بحفر النهر الآخر ، وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزني فنسب إليه ، وقال الواقدي توفي معقل بالبصرة في ولاية عبيد الله بن زياد البصرة لمعاوية ، وقال الوليد بن هشام القحذمي ، وعلي بن محمد بن أبي سيف المدائني : كلّم المنذر بن الجارود العبدي معاوية ابن أبي سفيان في حفر نهر ثار ، فكتب إلى زياد فحفر نهر معقل ، فقال قوم : جرى على يد معقل بن يسار فنسب إليه ، وقال آخرون : بل أجراه زياد على يد عبد الرحمن بن أبي بكرة أو غيره ، فلما فرغ منه وأرادوا فتحه بعث زياد معقل بن يسار ففتحه تبركاً به لأنّه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : نهر معقل ، فذكر

القحذمي أن زياداً أعطى رجلاً ألف درهم ، وقال له : ابلغ دجلة وسل عن صاحب هذا النهر من هو ، فان قال لك رجل : إنه نهر زياد فاعطه الألف ، فبلغ دجلة ثم رجع فقال : مالقيت أحداً إلا يقول : هو نهر معقل ، فقال زياد : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

قالوا : ونهر دُبيَس نسب إلى رجل قصّار يقال له دُبيَس ، كان يقصر الثياب عليه ، وبثق الحيري نُسب إلى نبطي من أهل الحيرة ، ويقال كان مولى لزياد قالوا: وكان زياد لما بلغ بنهر معقل قبّته التي يعرض فيها الجند ردّه إلى مستقبل الجنوب ، حتّى أخرجه إلى أصحاب الصدقة بالجبل ، فسمّي ذلك العطف نهر دبيس ، وحفر عبد الله بن عامر نهره الذي عند دار فيل ، وهو الذي يعرف بنهر الأساورة ، وقال بعضهم : الأساورة حفروه ، ونهر عمرو : نسب إلى عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، ونهر أم حبيب نسب إلى أمّ حبيب بنت زياد . وكان عليه قصر كثير الأبواب فسمى الهزاردر ، وقال علي بن محمد المدائني : تزوج شيرَوَيْه الأُسْوَاري مرجانة أم

عبيد الله بن زياد ، فبنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فسمي هزاردر .

وقال أبو الحسن قال قوم : سُمِّي هزاردر لأن شيرويه اتخذ في قصره ألف باب ، وقال بعضهم : نزل ذلك الموضع ألف أسوار في ألف بيت أنزلهم كسرى فقيل هزاردر ، ونُسب نهر حرب إلى حرب بن سلم ابن زياد وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر ادّعى أن الأرض التي كانت عليه كانت لابن عامر وخاصم فيها حرباً ، فلما توجه القضاء لِعبد الأعلى أتاه حرب فقال له : خاصمتك في هذا النهر ، وقد ندمت على ذلك ، وأنت شيخ العشيرة وسيدها فهو لك ، فقال عبد الأعلى بن عبد الله : بل هو لك ، فانصرف حرب ، فلما كان العشي جاء موالى عبد الأعلى ونصحاؤه فقالوا : والله ما أتاك حرب حتى توجّه لك القضاء عليه ، فقال : والله لارجعتُ فيما جعلت له أبداً ، والنهر المعروف بيزيدان: نسب إلى يزيد بن عمر الأُسيدي صاحب شرطة عدي بن أرطاة ، وكان رجل أهل البصرة في زمانه .

وقالوا : أقطع عبد الله بن عامر بن كريز عبد الله بن عمير بن عمرو بن مالك الليثي وهو أخوه لأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية ثمانية آلاف جريب(١) فحفر لها النهر الذي يعرف بنهر ابن عميرة ، قالوا : وكان عبد الله بن عامر حفر نهر أم عبد الله دجاجة وبتولاه غيلان بن خرشة الضبي وهو النهر الذي قال حارثة بن بدر الغداني لعبد الله بن عامر وقد سايره ، لم أر أعظم بركة من هذا النهر ، يستقي منه الضعفاء من أبواب دورهم ويأتيهم منافعهم فيه إلى منازلهم ، وهو مغيض لمياههم ، ثم إنه ساير زياداً بعد ذلك في ولايته فقال ما رأيت نهراً شراً منه ينز منه دورهم ويبعضون له في منازلهم ، ويغرق فيه صبيانهم .

وروى قوم أن غيلان بن خرشة القائل هذا ، والأول أثبت ، ونهر سلم نسب إلى سلم بن زياد

(١) الجريب الفارسي العراقي في زمن الفاروق رضي الله عنه من وحدات الكيل ، يعادله : باللتر من الماء المقطر في درجة ٤ م : ١٣٢,٢١٣ ، وما يعادله من القمح : ١٠٤٤٨ غ ، (ص ٨٧ من كتاب الإيضاح والتبيان في المكيال والميزان) .

أبي سفيان ، وكان عبد الله بن عامر حفر نهراً تولاه نافذ مولاه فغلب عليه . فقيل نهر نافذ ، وهو لآل الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، قال أبو اليقظان : أقطع عثمان بن عفان العباس ابن ربيعةبن الحارث داراً بالبصرة وأعطاه مائة ألف درهم ، وكان عبد الرحمن بن عباس يلقب رائض البغال لجودة ركوبه لها ، وتابعه الناس بعد هرب ابن الأشعث إلى سجستان فهرب من الحجاج ، وطلحتان نهر طلحة ابن أبي نافع مولى طلحة بن عبيد الله ، ونهر حميدة نسب إلى امرأة من آل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب ابن عبدشمس يقال حميد وهي امرأة عبد العزيز بن عبد الله ابن عامر، وخيرتان لخيرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب ، ولها مهلبان كان المهلب وهبه لها ، ويقال : بل كان لها فنسب إلى المهلب وهي أم أبي عيينة ابنه ، وجبيران لجبير بن حية ، وخلفان قطيعة عبد الله بن خلف الخزاعي أبي طلحة الطلحات ، طليقان لآل عمران بن حصين الخزاعي

من ولد خالد بن طليق بن محمد بن عمران وكان خالد ولي قضاء البصرة .

وقال القحذميُّ نهر مُرَّة لابن عامر ولي حفره له مرة مولى أبي بكر الصديق فغلب على ذكره ، وقال أبو اليقطان وغيره : نسب نهر مرة إلى مرة بن أبي عثمان مولى عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان سريّاً سأل عائشة أم المؤمنين أن تكتب له إلى زياد وتبدأ به في عنوان كتابها. فكتبت له بالوصاية به وعنونته : إلى زياد بن أبي سفيان من عائشة أم المؤمنين ، فلما رأى زياد أنها قد كاتبته ونسبته إلى أبي سفيان سُرَّ بذلك وأكرم مُرَّة وألطفه ، وقال للناس: هذا كتاب أم المؤمنين إلي فيــه ، وعرضه عليهم ليقرأوا عنوانه ، ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأُبُلَّة وأمره فحفر لها نهراً فنسب إليه ، وكان عثمان بن مرة من سراة أهل البصرة وقد خرجت القطيعة من أيدي ولده وصارت لآل الصفّاق بن حُجُر بن بُجَيّر العِقَّوي من الأزد .

قالوا : ودَرجاه جَنك من أموال ثقيف ، وإنما قيل له ذلك لمنازعات كانت فيه ، وجنك بالفارسية صخب

إنسان : نسب إلى أنس بن مالك في قطيعة من زياد . نهر بشار نسب إلى بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أخي قتيبة ، وكان أهدى إلى الحجاج فرساً فسبق عليه فأقطعه سبعمائة جريب ويقال أربعمائة جريب فحفر لها النهر ، ونهر فيروز نسب إلى فيروز حصين ، ويقال إلى باشكار ، كان يقال له فيروز ، وقال القحذميّ : نسب إلى فيروز مولى ربيعة بن كالدة الثقفي ، ونهر العلاء نسب إلى العلاء ابن شريك الهذلي أهدى إلى عبد الملك شيئاً أعجبه فأقطعه مائة جريب ، ونهر ذراع نسب إلى ذراع النمري من ربيعة وهو أبو هارون بن ذراع ، ونهر حبيب نسب إلى حبيب ابن شهاب الشّامي التاجر في قطيعة من زياد ويقال من عثمان ، ونهر أبي بكرة نسب إلى أبي بكرة بن زياد .

وحدثني العقّويّ الدّلاّل قال : كانت الجزيرة بين النهرين سبخة فأقطعها معاوية بعض بني أُخوته ، فلما قدم الفتى لينظر إليها ، أمر زياد بالماء فأرسل فيها فقال الفتى : إنما أقطعني أمير المؤمنين بطيحة لاحاجة لي فيها، فابتاعها زياد منه بمائتي ألف درهم وحفر أنهارها وأقطع

منها رواذان لرواد بن أبي بكرة ، ونهر الراء صيدت فيه سمكة تسمى الراء فسمي بها ، وعليه أرض حُمرْان الذي أقطعه إياها معاوية ، نهر مكحول نسب إلى مكحول ابن عبيدالله الأحمسي ، وهو ابن عم شيبان صاحب مقبرة شيبان بن عبد الله الذي كان على شرطة ابن زياد ، وكان مكحول يقول الشعر في الخيل ، فكانت قطيعة من عبد الملك بن مروان ، وقال القحذمي : نهر مكحول نسب إلى مكحول بن عبد الله السعدي .

وقال القحذميُّ شطُّ عثمان اشتراه عثمان بن أبي العاصي الثقفي من عثمان بن عفان بمال له بالطائف ، ويقال أنّه اشتراه بدار له بالمدينة فزادها عثمان بن عفان في المسجد ، وأقطع عثمان بن أبي العاصي أخاه حفص بن أبي العاصي حَفْصان ، وأقطع أبا أُمية بن أبي العاصي أخاه أُمَيَّتان ، وأقطع الحكم بن أبي العاصي حَكَمان ، وأقطع أخاه المغيرة مُغيرَتان ، قال : فكان نهر الأرحاء لأبي عمرو بن أبي العاصي الثقفي .

وقال المدائني : أقطع زياد في الشط الجُموم وهي زيادان ، وقال لعبد الله بن عثمان أني لا أنفذ إلا ماعمرتم ،

كسرى ، وكان هناك قصر للنعمان ، ونهر مقاتل نُسب إلى مقاتل بن جارية بن قدامة السعدي ، وعميران نسب إلى عبد الله بن عمير الليثي ، وسيحان كان للبرامكة وهم سموه سيحان ، والجُوبَرة صيد فيها الجوبرة فسميت بذلك ، حُصَينان لحصين بن أبي الحر العنبري ، عُبَيدُ لأن لعبيد الله بن أبي بكرة ، عُبَيْدان لعبيد بن كعب النميري ، مُنْقِذان لمنقذ بن علاج السلمي ، عبد الرحمانان كان لأبي بكرة بن زياد فاشتراه أبو عبد الرحمن مولى هشام ، ونافعان لنافع بن الحارث الثقفي ، وأسلمان لأسلم بن زُرْعة الكلابي ، وحُمْرَانان لحمرْان بن أبان مولى عثمان ، وقُتَيبتان لقتيبة بن مسلم ، وخَشْخَشَان لآل الخشخاش العنبري .

وقال القحذميُّ : نهر البنات بنات زياد ، أقطع كل بنت ستين جريباً ، وكذلك كان يقطع العامة ، وقال : أمر زياد عبد الرحمن بن تُبَّع الحميري ، وكان على قطائعه ، أن يقطع نافع بن الحارث الثقفي ما مشى ،

وكان يقطع الرجل القطيعة ويدعه سنتين ، فان عمرها وإلا أخذهامنه ، فكانت الجموم لأبي بكرة ثم صارت لعبد الرحمن بن أبي بكرة ، أزْرَقَان نسب إلى الأزرق ابن مسلم مولى بني حنيفة، ونسب محمدان إلى محمد بن علي ابن عثمان الحنفي ، زيادان نسب إلى زياد مولى بني الهيثم ، وهو جد مؤنس بن عمران بن جميع بن يسار وجد عيسى بن عمر النحوي وحاجب بن عمر لأُمهما ، ونهر أبي الخصيب نسب إلى أبي الخصيب مرزوق مولى المنصور أمير المؤمنين، ونهر الأمير بالبصرة حفره المنصور ثم وهبه لابنه جعفر ، فكان يقال نهر أمير المؤمنين ، ثم قيل نهر الأمير ثم ابتاعه الرشيد ، وأقطع منه وباع ، ونهر رُبَّا للرشيد نسب إلى سورجي ، والقرشي كان عبيد الله بن عبد الأعلى الكُرَيْزِي وعبيد الله بن عمر بن الحكم الثقفي اختصما فيه، ثم اصطلحا على أن أخذ كلٌّ واحد منهما نصفه فقيل القرشي والعربي ، والقَنْدل خور من أخوار دجلة سدّه سليمان بن علي وعليه قطيعة المنذر بن الزبير بن العوام ، وفيه نهر النعمان بن المنذر صاحب الحيرة أقطعه أيام

فمشى فانقطع شسعُهُ(١) فجلس ، فقال حسبك ، فقال : لو علمت لمشيت إلى الأُبلة فقال : دعني حتى أرمي بنعلي فرمى بها حتى بلغت الأجانة ، سعيدان لآل سعيد بن عبد الرحمن بن عباد بن أُسَيد ، وكانت سليمانان قطيعة لعبيد ابن قُسَيط صاحب الطوف أيام الحجاج ، فرابط بها رجل من الزهاد يقال له سليمان بن جابر فنسبت إليه ، وعُمْران لعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وفيلان لفيل مولى زياد، وخالدان نسب إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أُمية ، نهر يزيد الإباضي وهو يزيد بن عبد الله الحميري ، المسماريّة قطيعة مسمار مولى زياد ، وله بالكوفة ضيعة .

قال القحذمي وكان بلال بن أَبي بُرُدَة الذي فتق نهر معقل في فيض البصرة ، وكان قبل ذلك مكسوراً يفيض إلى القبة التي يفيض إلى القبة الّتي كان زياد واحتفر بلال نهر بلال وجعل على جنبتيه حوانيت ، ونقل

---

(١) شسع النعل : قبالها الذي يشد إلى زمامها ، والزمام : السير الذي يعقد فيه الشسع ، (اللسان : شسع) .

إليها السوق ، وجعل ذلك ليزيد بن خالد القسري ، قالوا: وحفر بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة المرغاب وسماه باسم مرغاب مرو ، وكانت القطيعة التي فيها المرغاب لهلال ابن أحوز المازني أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك ، وهي ثمانية آلاف جريب ، فحفر بشير المرغاب والسواقي والمعترضات بالتغلّب ، وقال هذه قطيعة لي وخاصمه حميري بن هلال ، فكتب خالد بن عبد الله القسري إلى مالك بن المنذر بن الجارود ، وهو على أحداث البصرة، أن خلِّ بين الحميري وبين المرغاب وأرضه ، وذلك أنّ بشيراً أشخص إلى خالد فتظلّم ، فقبل قوله ، وكان عمرو بن يزيد الأُسَيدي يُعنى بحميري ويعينه ، فقال لمالك بن المنذر أصلحك الله ليس هذا خَلّ ، إنما هو حُلْ بين حميري وبين المرغاب ، قال : وكانت لصعصعة ابن معاوية عم الأحنف قطيعة بحيال المرغاب، وإلى جنبها، فجاء معاوية بن صعصعة بن معاوية معينا لحميري ، فقال بشير هذا مسرح إبلنا وبقرنا وحميرنا ودوابنا وغنمنا ،

فقال معاوية : أمن أجل ثلط بقرة(١) عقفاء(٢) وأتان وديق(٣) تريد أن نغلبنا على حقنا ، وجاء عبد الله بن أبي عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال : أرضنا وقطيعتنا ، فقال له معاوية : أسمعت بالذي تخطّى النار فدخل اللهب في أسته فأنت هو ، قالوا : وكانت سويدان لعبيد الله بن أبي بكرة قطيعة مبلغها أربعمائة جريب فوهبها لسويد بن منجوف السدوسي ، وذلك أن سويداً مرض وعادة ابن أبي بكرة فقال له كيف تجدك ، قال صالحاً إن شئت قال : قد شئت فما ذاك ، قال : إن أعطيتني مثل الذي أعطيت ابن معمر فليس عليّ بأس ، فأعطاه سويدان فنسبت إليه .

---

(١) ثلط : الثلط : هو سلح الفيل ونحوه من كل شيء إذا كان رقيقاً ، وثلط الثور والبعير والصبي يثلط ثلطاً : سلح سلحاً رقيقاً ، وقيل إذا ألقاه سهلا رقيقاً ، وفي الصحاح : إذا ألقى بعره رقيقاً ، (اللسان : ثلط) ، والسلح : اسم لذي البطن ، وقيل لما رق منه من كل ذي بطن ، (اللسان : سلح) .

(٢) العقف : العطف والتلوية والعقفاء من الشياه : التي التوى قرناها على أذنيها .

(٣) الوداق في كل ذات حافر : ارادة الفحل ، أتان وديق وبغلة وديق ، وقد ودقت تدق إذا حرصت على الفحل ، (اللسان : ودق) .

قال المدائني : حفر يزيد بن المهلب نهر يزيد في قطيعة لعبيد الله بن أبي بكرة، فقال لبشير بن عبيد الله اكتب لي كتاباً بأن هذا النهر في حقي، قال : لا ولئن عزلتُ لأخاصمنّك ، جبَبْران لآل كلثوم بن جَبْر ، نهر ابن أبي بُرْذَعَة نسب إلى أبي برذعة بن عبيد الله بن أبي بكرة، والمَسْرُقانان قطيعة لآل أبي بكرة وأصلها مائة جريب فمسحها مُسّاح المنصور ألف جريب . فأقرُّوا في أيدي آل أبي بكرة منها مائة وقبضوا الباقي ، قطيعة هِمْيَان لهميان بن عدي السّدُوسي ، كثيران لكثير بن سيّار، بلالان لبلال بن أبي بُرْدَة كانت القطيعة لعبّاد بن زياد فاشتراها ، شِبْلان لشبل بن عَمِيرة بن يثربي الضبي، نهر سلم نسب إلى سلم بن عبيد الله بن أبي بكرة ، النهر الرِّباحي نسب إلى رباح مولى آل جُدْعان ، سبخة عائشة إلى عائشة بنت عبد الله بن خلف الخزاعي ، قالوا : واحتفر كثير بن عبد الله السلمي وهو أبو العاج عامل يوسف بن عمر الثقفي على البصرة نهراً من نهر ابن عتبة إلى الخستل

فنسب إليه ، نهر أبي شدّاد نسب إلى أبي شداد مولى زياد ، بثق سيار لفيل مولى زياد ، ولكن القيم عليه كان سيار مولى بني عقيل ، فغلب عليه أرض الأصبهانيين شرى من بعض العرب ، وكان هؤلاء الأصبهانيون قوما أساموا وهاجروا إلى البصرة ، ويقال إنّهم كانوا مع الأساورة الذين صاروا بالبصرة ، ودار ابن الأصبهاني بالبصرة نسبت إلى عبد الله بن الأصبهاني وكان له أربعمائة مملوك لقي المختار مع مصعب وهو على ميمنته .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن بعض آل الأهتم ، قال : كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمر بن هبيرة أنه ليست لأمير المؤمنين بأرض العرب خرصة فسر على القطائع فخذ فضولها لأمير المؤمنين فجعل عمر يأتي القطيعة فيسأل عنها ، ثم يمسحها حتى وقف على أرض ، فقال : لمن هذه ؟ فقال صاحبها : لي ، فقال : ومن أين هي لك ؟ فقال :

وَرِثْنَاهُنَّ عن آباءِ صِدْقٍ
وَيُورِثُها إذا مُتْنا بَنِيِنَا

قال : ثم إن النّاس ضجّوا من ذلك فأمسك . قالوا: صلتان نسب إلى الصّلت بن حُرَيث الحنفي ، وقاسمان قطيعةالقاسم بن عبّاس بن ربيعةبن الحارث بن عبدالمطلب ورثه إياها أخوه عون ، ونهر خالدان الأجمة لآل خالد بن أسيد وآل بكرة ، ونهر ماسوران كان فيه رجل شرير يسعى بالناس ويبحث عليهم فنسب النهر إليه ، والماسور بالفارسيّة الجرير الشرير ،جُبَيران أيضاً ، قطيعة جبير بن أبي زيد من بني عبد الدار . معقلان قطيعة معقل بن يسار من زياد ، وولده يقولون : من عمر ولم يقطع عمر أحداً على النهرين ، جندلان لعبيد الله بن جندل الهلالي، نهر التوت قطيعة عبد الله بن نافع بن الحارث الثقفي ، وقال القحذمي : كان نهر سليمان بن علي لحسان بن أبي حسان النبطي ، والنهر الغوثي كان عليه صاحب مساحة، يقال له غوث فنسب إليه ، وقال بعضهم جعل مغيثاً للمرغاب فسمّي الغوث ، ذات الحفافَيْن على نهر معقل، ودجاة كانت لعبد الرحمن بن أبي بكرة فاشتراها عربي التّمار مولى أمة الله بنت أبي بكرة ، نهر أبي سبرة الهذلي،

قطيعة ، خَرْبانان قطيعة حرب بن عبد الرحمن بن الحكم ابن أبي العاصي ، قطيعة الحباب للحباب بن يزيد المجاشعي ، نهر جعفر ، كان لجعفر مولى سَلْم بن زياد ، وكان خراجياً ، بثق شيرين نسب إلى شيرين امرأة كسرى بن هرمز .

وقال القحذمي والمدائني : كانت مُهَلَّبان التي تعرف في الديوان بقطيعة عمر بن هبيرة لعمر بن هبيرة ، أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك حين قبض مال يزيد بن المهلب وإخوته وولده ، وكانت للمغيرة بن المهلب وفيها نهر كان زادان فَرُّوخ حفره ، فعرف به ، وهي اليوم لآل سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب رفع إلى أبي العباس أمير المؤمنين فيها ، فأقطعه إياها فخاصمه آل المهلب في أمرها ، فقال : كانت للمغيرة فقالوا : نحن نجيز ذلك ، مات المغيرة بن المهلب قبل أبيه ، فورثت ابنته النصف فلك ميراثك من أمك ، ورجع الباقي إلى أبيه فهو بين الورثة ، قال : وللمغيرة ابن ، قالوا : وما لك ولابن المغيرة ؟ أنت لا ترثـه ! إنما هو خالك ، فلم يعطهم شيئاً وهي ألف وخمسمائة جريب .

كَوْسَجان نسب إلى عبدالله بن عمرو الثقفي الكَوْسَج.(١)
وقال المدائني : كانت كوسجان لأبي بكرة فخاصمه أخوه نافع ، فخرجا إليها وكل واحد منهما يدعيها وخرج إليها عبد الله بن عمرو الكوسج فقال لهما : أراكما تختصمان فحكّماني فحكّماه .فقال: قد حكمت بها لنفسي فسلماها له . قال : ويقال أنه لم يكن للكَوْسَج شرب ، فقال لأبي بكرة ونافع : اجعلا لي شربا بقدر وثبة فأجاباه إلى ذلك، فيقال أنّه وثب ثلاثين ذراعاً .

قالوا : وبالفرات أرضون أسلم أهلها عليها حين دخلها المسلمون ، وأرضون خرجت من أيدي أهلها إلى قوم مسلمين بهبات ، وغير ذلك من أسباب الملك فصيرت عشرّية ، وكانت خراجيّة فردّها الحجاج إلى الخراج، ثم ردّها عمر بن عبد العزيز إلى الصدقة ، ثم ردّها عمر ابن هبيرة إلى الخراج. فلما ولى هشام بن عبد الملك رد

(١) الكوسج : الأثط ، وفي المحكم : الذي لا شعر على عارضيه ، وقال الأصمعي : هو الناقص الأسنان (معرب) ، والكوسج : سمكة في البحر تأكل الناس ، (اللسان : كسج) .

بعضها إلى الصدقة . ثم إنّ المهدي أمير المؤمنين جعلها كلها من أراضي الصدقة . وقال جعفر : إن كان لأم جعفر بنت مَجْزَأة بن ثور السّدوسي امرأة أسلم صاحب أسْلَمان .

قال القحذمي : حدثني أرقم بن إبراهيم أنّه نظر إلى حسان النبطي يشير من الجسر ، ومعه عبد الأعلى بن عبد الله وبحوز كلّ شيء من حد نهر الفيض لولد هشام بن عبد الملك ، فلما بلغ دار الأعلى رفع الذرع . فلما كانت الدولة المباركة قبض ذلك أجمع ، فوقف أبو جعفر الجبان فيما وقف على أهل المدينة ، وأقطع المهدي العباسة ابنته امرأة محمد بن سليمان الشرقي عبادان قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان من عبد الملك بن مروان ، وبعضها فيما يقال من زياد وكان حُمْران من سبي عين التمر ، يدّعي أنه من التمر ابن قاسط ، فقال الحجاج ذات يوم وعنده عباد بن حصين الحبطي : ما يقول حمران ؟ لئن انتمى إلى العرب ولم يقل إنّ أباه أبي ، وإنه مولى لعثمان . لأضربنّ عنقه ، فخرج عباد من عند الحجاج مبادراً فأخبر حمران بقوله ،

فوهب له غربيّ النهر وحبس الشرقي ، فنسب إلى عبّاد ابن الحصين، وقال : هشام بن الكلبي : كان أول من رابط بعبّادان(١) عباد بن الحصين ، قال : وكان الربيع ابن صبح الفقيه ، وهو مولى بني سعد، جمع مالاً من أهل البصرة ، فحصن به عبّادان ورابط فيها ، والربيع يروي عن الحسن البصري ، وكان خرج غازياً إلى الهند في البحر فمات ، فدفن في جزيرة من الجزائر في سنة ستين ومائة .

قال القحذمي : خالدان القصر ، وخالدان هبساء ، كانا لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وخالدان ليزيد ابن طلحة الحنفي ويكنى أبا خالد ، قال: ونهر عدي كان خورا من نهر البصرة حتى فتقه عدي بن أرطاة الفزاري، عامل عمر بن عبد العزيز من بثق شيرين ، قال : وكان سليمان أقطع يزيد بن المهلب ما اعتمل من البطيحة ،

---

(١) من الأخطاء الشائعة نطق اسم الميناء المشهور على شط العرب : عباداان ، وصواب : عبادان ، نسبة إلى عباد بن الحصين ، (معجم البلدان : ٤ / ٧٤) .

فاعتمل الشرقي والجبان والخست والريحية ، ومغيرتان وغيرها فصارت حوزا فقبضها يزيد بن عبد الملك ، ثم أقطعها هشام ولده ثم حيزت بعده .

قال القحذمي : وكان الحجاج أقطع خَيْرَة بنت ضمرة القشيريّة امرأة المهلب عَبّاسان فقبضها يزيد بن عبد الملك فأقطعها العباس بن الوليد بن عبد الملك ، ثم قبضت فأقطعها أبو العباس أمير المؤمنين سليمان بن علي ، قال : وكانت القاسمية مما نضب عنه الماء فأفتعل القاسم بن سليمان مولى زياد كتاباً ادعى أنه من يزيد بن معاوية باقطاعه إياها ، الخالدّية لخالد بن صفوان بن الاهتم كانت للقاسم بن سليمان المالكية لمالك بن المنذر بن الجارود ، الحاتمية لحاتم بن قبيصة بن المهلب .

حدثني جماعة من أهل البصرة . قالوا : كتب عدي ابن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز ، وأمر أهل البصرة أن يكتبوا في حفر نهر لهم ، فكتب إليه وكيع بن أبي سود التميمي . إنك إن لم تحفر لنا نهراً فما البصرة لنا بدار ، ويقال : إن عدياً التمس في ذلك الأضرار

بيهز بن يزيد بن المهلب فنفعه. قالوا فكتب عمر يأذن له في حفر نهر ، فحفر نهر عديّ . وخرج الناس ينظرون إليه ، فحمل عدي الحسن البصري على حمار كان عليه وجعل يمشي .

قالوا : ولما قدم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عاملاً على العراق من قبل يزيد بن الوليد ، أتاه أهل البصرة فشكوا إليه ملوحة مائهم ، وحملوا إليه قارورتين إحداهما ماء البصرة ، وفي الأخرى ماء من ماء البطيحة ، فرأى بينهما فصلاً فقالوا : إنك إن حفرت لنا نهراً شربنا من هذا العذب فكتب بذلك إلى يزيد ، فكتب إليه يزيد إن بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق ، ما كان في أيدينا فانفقه عليه . فحفر النهر الذي يعرف بنهر ابن عمر ، قال رجل ذات يوم في مجلس ابن عمر والله أني أحسب نفقة هذا النهر تبلغ ثلثمائة ألف أو أكثر فقال ابن عمر . لو بلغت خراج العراق لأنفقته عليه .

قالوا . وكانت الولاه والأشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة ، ويحتفرون الصهاريج . وكان للحجاج

بها صهريج معروف يجتمع فيه ماء المطر ، وكان لابن عامر وزياد وابن زياد صهاريج يبيحونها الناس .

قالوا : وبنى المنصور رحمه الله بالبصرة في دخلته الأولى قصره الذي عند الحبس الأكبر ، وذلك في سنة اثنتين وأربعين ومائة وبنى في رحلته الثانية المصلى بالبصرة ، وقال القحذمي : الحبس الأكبر إسلامي ، قالوا : ووقف محمد بن سليمان بن علي ضيعة له على أحواض اتخذها بالبصرة فغلتها تنفق على دواليبها وإبلها ومصلحتها .

وحدثني رَوْح بن عبد المؤمن عن عمه أبي هشام عن أبيه ، قال : وفد أهل البصرة على ابن عمر بن عبد العزيز بواسط ، فسألوه حفر نهر لهم ، فحفر لهم نهر ابن عمر ، وكان الماء الذي يأتي نزراً قليلاً ، وكان عظم ماء البطيحة يذهب في نهر الدَّيْر ، فكان الناس يستعذبون من الأُبلّة ، حتى قدم سليمان بن علي البصرة ، واتخذ المغيثة ، وعمل مسنياتها على البطيحة فحجز الماء عن نهر الدير ، وصرفه إلى نهر ابن عمر ، وأنفق على المغيثة ألف ألف درهم ، فقال : شكا أهل البصرة إلى سليمان ملوحة الماء وكثره

مايأتيهم من ماء البحر فسكر القندل(١) فعذب ماؤهم ، قال : واشترى سليمان بن علي موضع السجن من ماله في دار ابن زياد فجعله سجنا وحفر الحوض الذي في الدهناء وهي رحبة بني هاشم .

وحدثني بعض أهل العلم بضياع البصرة ، قال : كان أهل الشُّعيبية من الفرات جعلوها لعلي بن أمير المؤمنين الرَّشيد في خلافة الرشيد ، على أن يكونوا مزارعين له فيها ويخفف مقاسمتهم ، فتكلم فيها فجعلت عشرية من الصدقة ، وقاسم أهلها على مارضوا به ، وقام له بأمرها شعيب بن زياد الواسطي الذي لبعض ولده دار بواسط على دجلة فنسبت إليه .

وحدثني عدَّة من البصريين منهم رَوْح بن عبد المؤمن ، قالوا : لمّا اتخذ سليمان بن علي المغيثة أحب المنصور أن يستخرج ضيعة من البطيحة ، فأمر باتخاذ الشُّبيطيّة ، فكره سليمان بن علي وأهل البصرة ذلك ،

(١) القندل : الطويل ، والقندل والقنادل : الضخم الرأس من الإبل والدواب ، وقندل الرجل : ضخم رأسه ، (اللسان : قندل) .

عامر السوق فتصدق به ، قالوا ومر عبيد الله بن زياد يوم نعي يزيد بن معاوية على نهر أُم عبد الله فاذا هو بنخل فأمر به فعقر ،وهدم حمام حُمْران بن أَوبان وموضعه اليوم يعمل فيه الرباب .

قالوا : ومسجد الحامرة نسب إلى قوم قدموا اليمامة عجم من عُمَان ، ثم صاروا منها إلى البصرة على حمير فأقاموا بحضرة هذا المسجد،وقال بعضهم بنوه ثم جُدِّد بعد.

وحدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كان قيس بن مسعود الشيباني على الطّف من قبل كسرى فهو اتخذ المَنْجَشانيّة على ستة أميال من البصرة ، وجرت على يد عُضْروط يقال له مَنْجَشان فنسبت إليه ، قال : وفوق ذلك روضة الخيل كانت مهارته ترعى فيها .

وقال ابن الكلبي : نسب الماء الذي يعرف بالحَوْءَب ، إلى الحَوْءَب بنت كلب بن وَبَرَة ، وكانت عند مر بن أُدّ بن طابخة ، ونسب حمى ضَرِيّة إلى ضرية بنت ربيعة ابن نزار وهي أُم حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، قالوا نسب حلوان إلى حلوان هذا .

واجتمع أهل البصرة إلى باب عبد الله بن علي وهو يومئذ عند أخيه سليمان هارباً من المنصور ، فصاحوا : ياأمير المؤمنين انزل إلينا نبايعك ، فكتمهم سليمان وفرقهم ، وأوفد إلى المنصور سوار بن عبد الله التميمي ثم العنزي وداود بن أبي هند مولى بني بشير وسعيد بن أبي عَروبة واسم أبي عروبة بهران ، فقدموا عليه ومعهم صورة البطيحة فأخبروه أنهم يتخوفون أن يملح ماءهم ، فقال : ما أراه كما ظننتم وأمر بالإمساك ، ثم إنه قدم البصرة ، فأمر باستخراج السُّبيطيّة ، فاستخرجت له ، فكانت منها أجمة لرجل من الدهاقين يقال له سُبَيط ، فحبس عنه الوكيل الذي قُلّد القيام بأمر الضّيعة واستخراجها بعض ثمنها وضربه ، فلم يزل على باب المنصور يطالب بما بقي له من ثمن أجمعته ويختلف في ذلك إلى ديوانه ، حتى مات فنسبت الضيعة إليه بسبب أجمعته فقيل السبيطية .

وقالوا قنطرة قُرّة بالبصرة نسبت إلى قُرّة بن حيان الباهلي ، وكان عندها نهر قديم ثم اشترته أم عبد الله بن عامر فتصدقت به مغيضا لأهل البصرة ، وابتاع عبد الله بن

ذكر العطاء في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، قال : حدثنا إسماعيل بن المجالد عن أبيه مجالد بن سعيد ، عن الشعبي قال : لما افتتح عمر العراق والشام وجبى الخراج ، جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال إني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله ، فقالوا : نعم رأيت الرأي ياأمير المؤمنين ، قال : فبمن أبدأ ؟ قالوا : بنفسك ، قال : لا ، ولكني أضع نفسي حيث وضعها الله و أبدأ بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فكتب عائشة أم المؤمنين يرحمها الله في اثني عشر ألفاً ، وكتب سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف ، وفرض لعلي بن أبي طالب في خمسة آلاف ، وفرض مثل ذلك لمن شهد بدراً من بني هاشم .

وحدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن الحجاج بن أرطاة عن حبيب بن أبي

ثابت أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يتتابعن إلى العطاء .

حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، عن عائذ بن يحيى عن أبي الحويرث عن جبير بن الحويرث بن نقيذ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان(١) فقال له علي بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئاً ، وقال عثمان : أرى مالاً كثيراً يسع الناس ، وإن لم يحصوا حتّى يعرف من أخذ ممّن لم يأخذ ، حسبت أن ينتشر الأمر ، فقال له الوليد ابن هشام بن المغيرة: قد جئتُ الشام فرأيتُ ملوكها قد دوّنوا ديواناً وجنّدوا جنداً ، فدوّن ديواناً وجنّد جنداً ، فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل،

(١) الديوان : كلمة فارسية — في رأي الأصمعي — معناها سجل أو دفتر ، وفي اللسان (دون) الديوان : مجتمع الصحف ، وفي الحديث : « لا يجمعهم ديوان حافظ » ، قال ابن الأثير : هو الدفتر الذي يكتب فية أسماء الجيش ، وأهل العطاء ، وكان عمر رضي الله عنه أول من دون الدواوين في الإسلام في المحرم سنة عشرين للهجرة ، فأنشأ ديوان الجند لكتابة أسماء الجند المجاهدين ، وما يخص كلا منهم من عطاء ، وديوان الخراج ويختص ببيت المال من دخل وإنفاق .

وجبير بن مطعم ، وكانوا من لسان قريش فقال : اكتبوا الناس على منازلهم فبدؤوا ببني هاشم ، ثمّ اتبعوهم أبا بكر وقومه ثمّ عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر إليه عمر ، قال : وددت والله أنه هكذا ، ولكن ابدؤوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، الأقرب فالأقرب حتّى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن أُسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده ، قال : جاءت بنو عدي إلى عمر فقالوا : أنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة أبي بكر ، وأبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا !؟

قال : بَخ بَخ بني عدي ، أردتم الأكل على ظهري . وأن أهب حسناتي لكم ، لا والله حتى تأتيكم الدعوة ، وأن يطبق عليكم الدفتر — يعني ولو أن تكتبوا آخر الناس — أنّ لي صاحبين سلكا طريقاً ، فان خالفتهما خولف بي ، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا وما نرجو الثواب على عملنا إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفنا وقومه

أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب ، والله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بغير عمل لهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فانّ من قصر به عمله لم يسرع به نسبه .

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري ، عن سعيد ، عن قوم آخرين سمّاهم الواقدي ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا: لما أجمع عمر على تدوين الديوان وذلك في المحرم سنة عشرين، بدأ ببني هاشم في الدعوة ، ثمّ الأقرب فالأقرب برسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان القوم إذا استووا في القرابة قدم أهل السّابقة(١) ، ثم انتهى إلى الأنصار ، فقالوا: بمن نبدأ ؟ فقال: ابدؤوا برهط سعد بن معاذ الأشهلي من الأوس ، ثم الأقرب فالأقرب لسعد ، وفرض عمر لأهل الدّيوان ، ففضل أهل السّوابق والمشاهد(٢) في الفرائض، وكان أبو بكر قد سوّى بين الناس في القسم ، فقيل لعمر في ذلك ، فقال : لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه . فبدأ بمن شهد بدراً من المهاجرين

(١) السابقة : من سبق إلى اعتناق الإسلام قبل غيره من الناس .
(٢) المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته .

والأنصار ، وفرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة حليفهم ومولاهم معهم بالسواء ، وفرض لمن كان له إسلام كاسلام أهل بدر ومن مهاجرة الحبشة ممن شهد أحداً أربعة آلاف درهم لكل رجل ، وفرض لأبناء البدريين ألفين ألفين ، إلا حسناً وحسيناً فانه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف ، وفرض للعباس ابن عبد المطلب خمسة آلاف لقرابته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : فرض له سبعة آلاف درهم ، وقال سائرهم لم يفضل أحداً على أهل بدر إلا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه فرض لهن اثني عشر ألفاً اثني عشر ألفا ، وألحق بهن جويرية بنت الحارث ، وصفية بنت حيي بن أخطب وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل منهم ثلاثة آلاف درهم ، وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم منهم ألفين ، وفرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين كفرائض مسلمة الفتح(١) ، وفرض لعمر بن أبي مسلمة

---

(١) مسلمة فتح مكة في رمضان ٨ هـ

أربعة آلاف . فقال محمد بن عبد الله بن جحش : لم تفضل عمر علينا ؟ فقد هاجر آباؤنا وشهدوا بدرا ، فقال عمر : أُفضِّله لمكانه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فليأت الذي يستغيث بأُمٍّ مثل أُمٍّ سلمة أُغيثه . وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف . فقال عبد الله بن عمر : فرضت لي في ثلاثة آلاف ، وفرضت لأُسامة في أربعة آلاف وقد شهدت مالم يشهد أُسامة . فقال عمر : زدته لأَنّه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وكان أبوه أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ، ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم القرآن وجهادهم ، ثم جعل من بقي من الناس باباً واحداً ، فالحق من جاءه من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين ديناراً لكل رجل ، وفرض لآخرين معهم ، وفرض لأَهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة ولم ينقص أحداً من ثلاثمائة وقال : لئن كثر المال لا فرض لكل رجل أربعة آلاف درهم ألفاً لسفره، وألفاً لسلاحه ، وألفاً يخلفه لأَهله ، وألفاً لفرسه ونعله، وفرض لنساء مهاجرات . فرض لصفية بنت عبد المطلب

ستة آلاف درهم . ولاسماء بنت عُمَيْس ألف درهم، ولأُم كلثوم بنت عقبة ألف درهم ، ولأُم عبد الله بن مسعود ألف درهم .

وقال الواقدي : فقد روي أنه فرض للنساء المهاجرات ثلاثة آلاف درهم لكل واحدة .

قال الواقدي في إسناده : وأمر عمر فكتب له عمال أهل العوالي(١) فكان يجري عليهم القوت ، ثم كان عثمان فوسع عليهم في القوت والكسوة ، وكان عمر يفرض للمنفوس(٢) مائة درهم ، فاذا ترعرع بلغ به مائتي درهم، فاذا بلغ زاده ، وكان إذا أتى باللقيط فرض له مائة ، وفرض له رزقاً يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحه ثم ينقله من سنة إلى سنة ، وكان يوصى بهم خيراً ، ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال .

---

(١) العوالي : أماكن بأعلى أراضي المدينة وأدناها من المدينة على أربعة أميال ، وأبعدها من جهة نجد ثمانية ، (اللسان : علا ، ومعجم البلدان : ٤ / ١٦٦) .

(٢) المنفوس : المعيون ، (اللسان : نفس) .

وحدثنا محمد بن سعد عن الواقدي ، قال حدثني : حزام بن هشام الكعبي عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن الخطاب يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديد فتأتيه بقديد، فلا يغيب عنه امرأة بِكْر ولا ثيب ، فيعطيهن في أيديهن، ثم يروح فينزل عُسْفان فيفعل ذلك أيضاً حتى توفي .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن محمد بن زيد ، قال : كان ديوان حِمْيَر على عهد عمر على حده .

حدّثني محمد بن سعد قال : حدثنا الواقدي ، قال : حدثني عبيد الله بن عمر العمري عن جَهْم بن أبي جهم ، قال : قدم خالد بن عُرْفُطة العذري على عمر ، فسأله عما وراءه ، فقال : تركتهم يسألون الله لك أن يزيد في عمرك من أعمارهم ما وطئ أحد القادسية إلا وعطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة وما من مولود ذكراً كان أو أنثى إلا أُلحق في مائة وجريبين في كل شهر ، قال عمر : إنّما هو حقهم ، وأنا أسعد بأداثه إليهم لو كان من مال الخطاب ما أعطيتهموه ولكن قد علمت أنّ فيه فضلاً ،

فلو أنه إذا خرج عطاء أحد هؤلاء ابتاع منه غنماً ، فجعلها بسوادهم ، فاذا خرج عطاؤه ثانية ابتاع الرأس والرأسين فجعله فيها ، فان بقي أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه ، فانّي لا أدري ما يكون بعدي ، وإنّي لأَعم بنصيحتي من طوّقني الله أمره ، فانّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : من مات غاشاً لرعيته لم يرح ريح الجنة .

وحدّثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عمرو عن الحسن ، قال : كتب عمر إلى حذيفة أن أعطِ الناس أُعطيتهم وأرزاقهم ، فكتب إليه إنّا قد فعلنا وبقي شيء كثير ، فكتب إليه : إنّه فيأهم الذي أفاءه الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر فاقسمه بينهم ، قال : وحدثنا وهب بن بقيّة ومحمد بن سعد ، قالا : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أنه قدم على عمر من البحرين(١) ،

(١) البحرين آنذاك : سواحل الخليج العربي من عمان إلى الكويت حالياً ، والبحرين حالياً كانت تسمى : « دلمون » .

قال : فلقيته في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه ، فسألني عن الناس ، ثم قال لي : ما جئت به ، قلت : جئت بخمسمائة ألف ، قال : هل تدري ما تقول ؟ قلت : جئت بخمسمائة ألف ، قال : ماذا تقول ؟ قلت مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف ، فعددت خمساً ، فقال : إنك ناعس ، فأرجع إلى أهلك فنم ، فاذا أصبحت فأتني ، قال أبو هريرة : فغدوت إليه ، فقال : ما جئت به قلت خمسمائة ألف ، قال : أطيب ؟ قلت : نعم لا أعلم إلا ذاك فقال للناس : إنه علينا مال كثير ، فان شئتم أن نعده لكم عدداً ، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً فقال له رجل : ياأمير المؤمنين إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه ، قال : فدون الديوان ، وفرض للمهاجرين الأولين في خمسة آلاف ، وللأنصار في أربعة آلاف ، ولأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في اثنى عشر ألفاً .

قال يزيد ، قال محمد : فحدثني ابن خصيفة عن عبد الله بن رافع عن برزة بنت رافع ، قالت : لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها ، فلما أدخل إليها ،

قالت : غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي كانت أقوى على قسم هذا مني ، قالوا : هذا كله لك ، قالت : سبحان الله واستترت منه بثوب ، ثم قالت : صبُّوه واطرحوا عليه ثوباً . ثم قالت لي : ادخلي يديك واقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى فلان وبني فلان من ذوي رحمها وأيتام لها ، فقسّمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب ، قالت برزة بنت رافع : فقلت غفر الله لك ياأُم المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا المال حق ، قالت فلكم ما تحت الثوب ، فوجدنا تحته خمسمائة وثمانين درهماً ، ثمّ رفعت يدها إلى السماء فقالت : اللّهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا ، قال فماتت .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن محمد بن عجلان ، قال : لما دوّن عمر الدواوين. قال : بمن نبدأ قالوا : بنفسك ، قال : لا إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إمامنا فبرهطة نبدأ ثم بالأقرب فالأقرب .

حدثنا عمرو الناقد . قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ألحق الحسن

والحسين بأبيهما ، ففرض لهما خمسة آلاف درهم وحدثنا الحسين بن علي بن الأسود . قال : حدثنا وكيع عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال : لما وضع عمر الديوان استشار الناس بمن يبدأ ، فقالوا : ابدأ بنفسك . قال لا ولكني أبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدأ بهم .

حدثنا الحسين بن الأسود . قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن مصعب بن أسعد : أنّ عمر فرض لأهل بدر في ستّة آلاف ستّة آلاف . وفرض لأمهات المؤمنين في عشرة آلاف عشرة آلاف . وفضّل عائشة بألفين لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها . وفرض لصفية وجويرية في ستة آلاف ستة آلاف . وفرض لنساء من المهاجرات في ألف ألف . منهن أم عبد ، وهي أم عبد الله بن مسعود .

حدثنا الحسين . قال حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم . قال : فرض عمر لأهل بدر عربهم ومواليهم في خمسة آلاف ، خمسة آلاف ، وقال : لأفضّلنّهم على من سواهم .

حدثنا الحسين : حدثنا وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عامر ، قال : كان فيهم خمسة من العجم . منهم تميم الداري ، وبلال ، قال وكيع : الدار من لخم ، ولكنّ الشعبي قال هذا .

حدثنا الحسين : قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الأسود ابن قيس عن شيخ لهم، قال : سمعت عمر يقول : لئن بقيت إلى قابل لأُلحقنّ سفلة المهاجرين في ألفين ألفين.

وحدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح المصري عن الليث بن سعد عن عبد الرحمن بن خالد الفهمي عن ابن شهاب : أنّ عمر حين دون الدواوين فرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي نكح نكاحاً اثني عشر ألف درهم ، اثني عشر ألف درهم ، وفرض لجويرية وصفية بنت حيي بن أُخطب ستة آلاف درهم ، ستة آلاف درهم . لأنهما كانتا مما أفاء الله على رسوله .وفرض للمهاجرين الذين شهدوا بدراً خمسة آلاف ، خمسة آلاف ، وفرض للأنصار الذين شهدوا بدراً أربعة آلاف ، أربعة آلاف ، وعم بفريضته كلّ صريح وحليف ومولى شهد بدراً، فلم يفضّل أحداً على أحد .

حدثنا عمرو الناقد وأبو عبيد ، قال : حدثنا أحمد بن يونس عن أبي خَيْثَمَة قال : حدثنا أبو إسحاق عن مصعب بن سعد : أنّ عمر فرض لأهل بدر من المهاجرين والأنصار ستة آلاف ستة آلاف ، وفرض لنساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف ، عشرة آلاف ، وفضل عليهن عائشة ففرض لها اثني عشر ألف درهم ، وفرض لجويرية وصفيّة ستة آلاف ، ستة آلاف ، وفرض للمهاجرات الأُوَل أسماء بنت عُمَيْس ، وأسماء بنت أبي بكر ، وأُم عبد الله بن مسعود ألفاً ألفاً .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال حدثنا وكيع عن محمد بن قيس الأسدي قال : حدثتني والدتي أم الحكم أن علياً ألحقها مائة من العطاء .

وحدثنا الحسين قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن الشيباني عن يسير بن عمرو : أن سعداً فرض لمن قرأ القرآن في ألفين ألفين ، قال : فكتب إليه عمر لا تُعطِ على القرآن أحداً .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم عن أبي لهُيعةّ عن يزيد بن أبي حبيب : أنّ عمر جعل عمرو ابن العاصي في مائتين لأنه أمير ، وعمير بن وهب الجمحي في مائتين ، لصبره على الضيق ، وبسر بن أبي أرطاة في مائتين ، لأنّه صاحب فتح . وقال ربّ فتح قد فتحه الله على يده . فقال أبو عبيد : يعني بهذا العدد الدنانير .

وقال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أنّ عمر كتب إلى عمرو بن العاصي أن افرض لمن بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء ، قال : يعني مائتي دينار ، وأبلغ ذلك لنفسك بامارتك ، وافرض لخارجة بن حُذافة في شرف العطاء لشجاعته .

وحدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان : أنّ عمر فضّل أسامة ابن زيد على عبد الله بن عمر ، فلم يزل الناس لعبد الله حتى كلّم عمر ، فقال : أتفضّل عليّ من ليس بأفضل مني ؟

فرضتَ له في ألفين ولي في ألف وخمسمائة درهم ؟ فقال عمر : فعلتُ ذلك لأنّ زيد بن حارثة كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمر ، وأنّ أسامة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن عمر .

وحدثني يحيى بن معين ، قال . حدّثنا يحيى بن سعيد عن خارجة بن مصعب عن عبيد الله بن عمر عن نافع أو غيره عن ابن عمر أنّه كلّم أباه في تفضيل أسامة عليه في العطاء ، وقال : والله ما سبقني إلى شيء ، فقال عمر : إن أباه كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ، وأنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك .

حدثنا محمد بن الصبّاح البزّار : حدثنا هشَيم عن منصور عن الحسن ، قال : إنّ قوماً قدموا على عامل لعمر ابن الخطاب ، فأعطى العرب منهم وترك الموالي ، فكتب إليه عمر : أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم والسّلام .

حدثنا أبو عبيد حدثنا خالد بن عمرو عن إسرائيل عن عمار الدُّهْني عن سالم بن أبي الجَعْد أنّ عمر جعل عطاء عمار بن ياسر ستة آلاف درهم .

حدثنا أبو عبيد، قال : حدثنا خالد عن إسرئيل عن إسماعيل بن سميع عن مسلم البَطِين : أنّ عمر جعل عطاء سلمان أربعة آلاف درهم . وحدثنا روح بن عبد المؤمن، قال : حدثني يعقوب عن حماد عن حميد عن أنس ، قال : فرض عمر للهرمزان في ألفي من العطاء .

حدثني العمري ، قال حدثني أبو عبد الرحمن الطائي عن المجالد عن الشعبي ، قال : لما هم عمر بن الخطاب في سنة عشرين بتدوين الدواوين ، دعا بمخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، فأمرهما أن يكتبا الناس على منازلهم فكتبوا بني هاشم ، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، وعمر وقومه ، وعمر وقومه . فلما نظر عمر في الكتاب ، قال : وددت أني في القربة برسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ابدؤوا بالأقرب فالأقرب ، ثم ضعوا عمر بحيث وضعه

الله ، فشكر العباس بن عبد المطلب رحمه الله على ذلك وقال : وصلتك رحم ، قال فلما وضع عمر الديو ن ، قال أبو سفيان بن حرب : أديوان مثل ديوان بني الأصفر ؟ إنك إن فرضت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة ، فقال عمر : لابد من هذا فقد كثر في المسلمين ، قال : وفرض عمر للدهقان نهر الملك ولابن النخيرتان ، ولخالد وجميل ابنى بُصْبُهْري دهقان الفلاليج ، ولبسطام بن نرسي دهقان بابل وخُطَرْنية ، وللرُّفَيل دهقان العال ، والهرمزان ، ولجفينة العبادي في ألف ألف ، ويقال أنه فضل الهرمزان ففرض له ألفين .

وحدثنا أبو عبيد عن إسماعيل بن عياش عن أرطاة ابن المنذر عن حكيم بن عمير أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الأجناد ومن أعتقتم من الحمراء فأسلموا ، فألحقوهم بمواليهم ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم ، فأجعلهم أسوتهم في العطاء .

حدثنا هشام بن عمار عن بقيّة ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، عن أبيه عن أبي عبيدة أن رجالاً من أهل البادية سألوه أن يرزقهم ، فقال : والله لاأرزقكم حتى أرزق أهل الحاضرة .

وحدثنا أبو عبيدة قال حدثنا أبو اليمان ، قال : حدثنا صفوان بن عمرو ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن حُصَين : أن مر للجند بالفريضة ، وعليك بأهل الحاضرة .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم عن عبيد الله بن عمر العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنّ عمر كان لا يعطي أهل مكة عطاء ولا يضرب عليهم بعثاً ، ويقول : هم كذا وكذا .

وحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلاّم ، عن عبد الرحمن ابن مهدي ، عن شعبة عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « من ترك كلاً فإلينا ، ومن ترك مالاً فلورثته » .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، قال : حدثنا الوليد ابن مسلم عن سليمان بن أبي العاتكة وكلثوم بن زياد ،

قال : حدثني سليمان بن حبيب أنّ عمر فرض لعيال المقاتلة وذريتّهم العشرات ، قال : فأمضى عثمان ومن بعده من الولاة ذلك وجعلوها موروثة يرثها ورثة الميّت ممن ليس في العطاء ، حتى كان عمر بن عبد العزيز ، قال سليمان : فسألني عن ذلك ، فأخبرته بهذا فأنكر الوراثة ، وقال اقطعها وأعم بالفريضة ، فقلت : فاني أتخوف أن يستنّ بك من بعدك في قطع الوراثة ، ولا يستن بك في عموم الفريضة ، قال : صدقت وتركهم .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن أبي قبيل ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرض للمولود إذا وُلِدَ في عشرة ، فاذا بلغ أن يفرض له الحق بالفريضة ، فلما كان معاوية فرض ذلك للفطيم ، فلما كان عبد الملك بن مروان قطع ذلك كله إلا عمّن شاء .

حدثنا عفّان ، قال : حدثنا يزيد ، قال أنبأنا يحيى ابن المتوكل عن عبد الله بن نافع عن ابن عمر أنّ عمر كان لا يفرض للمولود حتى يُفْطَم ، ثم نادى مناديه لا تعجلوا

أولادكم عن الفطام ، فإنّا نفرض لكل مولود في الاسلام .

وحدثنا عمر والنّاقد ، قال حدثنا أحمد بن يونس عن زهير بن معاوية عن أبي إسحاق أن جدّه مر على عثمان ، فقال له : كم معك من عيالك ياشيخ ؟ قال ، معي كذا . قال : قد فرضنا لك وفرضنا لعيالك مائة مائة .

حدثنا أبو عبيد . قال ، حدثنا مروان بن شجاع الجزري ، قال : اثبتني عمر بن عبد العزيز وأنا فطيم في عشرة دنانير .

حدثنا إبراهيم بن محمد الشامي ، قال حدثنا عبد الرحمن ابن عن سفيان مهدي الثوري ، عن أبي الجحاف ، عن رجل من خثعم ، قال وُلِدَ لي فأتيت به علياً فأثبته في مائة .

حدثني عمرو الناقد ، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عبد الله بن شريك عن بشر بن غالب ، قال سئل الحسين بن علي ، (أو قال الحسن بن علي شكّ عمرو) متى يجب سهم المولود ؟ قال إذا استهل .

حدثني عمرو الناقد ، قال . حدثنا سفيان بن عُيَيْنة ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن بن محمد ، أن ثلاثة مماوكين لبني عفان شهدوا بدراً ، فكان عمر يعطي كلّ إنسان منهم كلّ سنة ثلاثة آلاف درهم .

حدثنا أبو عبيد قال حدثنا ابن أبي عدي عن سفيان عن زهير بن ثابت أو ابن ابي ذئب عن ذُهل بن أوس : أنّ علياً أتي بمنبوذ فأثبته في مائة .

وحدثني عمرو والقاسم بن سلاّم ، قالا : حدّثنا أحمد ابن يونس عن زهير ، وحدثني عبد الله صالح المقرىء عن زهير بن معاوية ، قال : حدثنا أبو إسحاق عن حارثة بن المُضَرِّب أنّ عمر بن الخطاب أمر بجريب من طعام فعجن ، ثم خبز ، ثم برد بزيت ، ثم دعا بثلاثين رجلاً فأكلوا منه غداءهم حتى أصدرهم ، ثم فعل بالعشي مثل ذلك ، فقال يكفي الرجل جريبان كل شهر ، فكان يرزق الناس الرجل والمرأة والمملوك جريبين كلّ شهر ، قال عبد الله بن صالح : إنّ الرجل كان يدعو على صاحبه فيقول : رفع

الله جريبك ، أي قطعهما عنك بالموت ، فبقي ذلك في ألسن الناس إلى اليوم .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثني أبو اليمان عن صفوان ابن عمر عن أبي الزاهرية أن أبا الدرداء ، قال : ربّ سُنّة راشدة مهديّة قد سنها عمر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم منها المُديان والقِسْطان(١) . حدثنا أبو عبيدة ، قال حدثنا سعيد بن أبي مريم عن ابن لهيعة عن قيس بن رافع أنه سمع سفيان بن وهب يقول قال عمر وأخذ المُدْي بيد والقِسْط بيد : إني قد فرضت لكلّ نفس مسلمة في كل شهر مديي حنطة وقسطي زيت وقسطي خل ، فقال رجل: والعبد ، قال : نعم والعبد .

حدثني هشام بن عمّار ، قال : حدّثنا يحيى بن حمزة ، قال : حدثني تميم بن عطيّة ، قال : حدثني عبد الله بن قيس : أنّ عمر بن الخطاب صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنّا أجرينا عليكم أعطياتكم وأرزاقكم

---

(١) المديان : الجريبان ، والقسطان : قسطان من زيت كل يرزقهما للناس ، قال ابن الأثير : يريد مديين من الطعام ، وقسطين من الزيت ، والقسط نصف صاع ، الجوهري : المدي القفيز الشامي وهو غير المد ، قال ابن بري : المدي مكيال لأهل الشام يقال له الجريب ، يسع خمسة وأربعين رطلا ، (اللسان : مدي) .

في كلّ شهر وفي يديه المُدْي والقِسْط ، قـال : فحركهما ، وقال : فمن انتقصهم فعل الله به كذا وكذا ودعا عليه .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا ابن أبي زائدة عن معقل ابن عبيد الله عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته .

حدثنا عفان وخلف البزار ووهب بن بقيّة ، قالوا : أنبأنا يزيد بن هارون ، قال : أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال : قال الزبير بن العوام لعثمان بن عفان رضى الله عنهما بعد موت عبد الله بن مسعود : أعطني عطاء عبد الله فعياله أحق به من بيت المال ، فأعطاه خمسة عشر ألفاً ، قال يزيد : قال إسماعيل : وكان الزبير وصيّ ابن مسعود .

وحدثني بن أبي شيبة ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح بن حي عن سِمَاك بن حرب . أنّ رجلاً مات في الحي بعد ثمانية أشهر مضت من السّنة فأعطاه عمر ثلثي عطائه .

* * *

نَقلُ ديوانِ الرُّوميَّة

قالو : ولم يزل ديوان الشام بالرومية حتّى ولي عبد الملك بن مروان(١) ، فلما كانت سنة إحدى وثمانين أمر بنقله ، وذلك أنّ رجلاً من كُتّاب الرّوم احتاج أن يكتب شيئاً فلم يجد ماءً ، فبال في الدّواة ، فبلغ ذلك عبد الملك فأدّبه ، وأمر سليمان ابنَ سعد بنقل الديوان ، فسأله أن يعينه بخراج الأُردن سنة ففعل ذلك ، وولّاه الأُردن ،

(١) عبد الملك بن مروان : (٢٦ – ٨٦ هـ = ٦٤٦ - ٧٠٥ م) من أعاظم الخلفاء الأمويين ودهاتهم ، نشأ في المدينة المنورة فقيهاً واسع العلم ، متعبداً ، ناسكاً ، انتقلت إليه الخلافة سنة ٦٥ هـ فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة ، نقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وضبطت الحروف بالنقط والحركات ، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام ، وأول من نقش بالعربية على الدراهم ، قال الشعبي : ما ذاكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه ، إلا عبد الملك ، فما ذاكرته حديثاً ولا شعراً إلا زادني فيه ، (الأعلام : ٤ / ١٦٥) .

فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله ، وأتى به عبد الملك ، فدعا بسَرْجون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمه ، وخرج من عنده كئيباً فلقيه قوم من كُتّاب الروم ، فقال : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم ، قال : وكانت وظيفة الأُردن التي قطعها معونة مائة ألف وثمانين ألف دينار ، ووظيفة فلسطين ثلاثمائة ألف وخمسين ألف دينار ، ووظيفة دمشق أربعمائة ألف دينار ، ووظيفة حمص مع قِنَّسْرين والكور التي تدعى اليوم العَوَاصم(١) ثمانمائة ألف دينار ، ويقال : سبعمائة ألف دينار .

* * *

(١) أطلق العرب المسلمون كلمة (الثغور) على المدن الحصينة لاسيما التي كانت تقع بالقرب من حدود الدولة الإسلامية المجاورة لبلاد الفرس والروم خاصة ، بينما أطلقوا كلمة (العواصم) على المدن الكبرى التي تدخل وراء حدود الدولة « (القاموس الإسلامي ج ١ / ٥٣٨) .

في أمر القراطيس

قال : كانت القراطيس(١) تدخل بلاد الروم من أرض مصر ويأتي العرب من قبل الرُّوم الدّنانير . فكان عبد الملك بن مروان أوّل من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير(٢) من (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) (٣) وغيرها من ذكر الله ، فكتب إليه ملك الروم إنّكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه فان تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيّكم ماتكرهونه . قال : فكبر ذلك في صدر عبد الملك ، فكره أن يدع سُنّة

(١) القرطاس والقرطاس والقرطاس : الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها ، (اللسان : قرطس) .

(٢) الطامور والطومار : الصحيفة ، (اللسان : طمر) .

(٣) الآية الكريمة الأولى من سورة الإخلاص . .

حسنة سنَّها ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له : ياأبا هاشم إحدى بنات طَبَق(١) وأخبره الخبر ، فقال : افرخ روعك ياأمير المؤمنين ، حرّم دنانيرهم فلا يُتعامل بها وأضرب للناس سككا ، ولا تُعف هؤلاء الكفرة ، مما كرهوا في الطوامير ، فقال عبد الملك : فرّجتها عني فرج الله عنك ، وضرب الدّنانير. قال عوانة بن الحكم وكانت الأقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير ، وتنسبه إلى الربوبية تعالى الله علواً كبيراً ، وتجعل الصّليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره ، واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره ، وقال المدائني ، قال مسلمة بن مُحارب : أشار خالد بن يزيد على عبد الملك بتحريم دنانيرهم ، ومنع من التعامل بها ، وأن يدخل بلاد الروم شيء من القراطيس فمكث حيناً لا يحمل إليهم .

* * *

(١) بنات الطبق : الدواهي ، (اللسان : طبق)

نقل ديوان الفارسية

وحدثني المدائني عليُّ بن محمد بن أبي سيف عن أشياخه ، قالوا : لم يزل ديوان خَرَاج السَّواد(١) وسائر العراق بالفارسيَّة ، فلما ولي الحجاج العراق(٢) استكتب زاذان فَرُّوخ بن بيري ، وكان معه صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم يخطُّ بين يديه بالعربية والفارسية ، وكان أبو

(١) السواد هنا : رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار ، لأنه حيث تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر ، كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سواداً ، كما إذا رأيت شيئاً من بعد قلت ما ذلك السواد ، وهم يسمون الأخضر سواداً والسواد أخضر ، (معجم البلدان ٣ / ٢٧٢) .

(٢) سنة ٧٥ هـ ، وثبت له إمارة العراق عشرين سنة ، إلى وفاته سنة ٩٥ هـ = ٧١٤ م .

صالح من سبي سجستان(١) فوصل زادان فرّوخ صالحاً بالحجاج ، وخفّ على قلبه ، فقال له ذات يوم : إنّك سبيي إلى الأمير ، وأراه قد استخفّني ولا آمن أن يقدّمني عليك ، وأن تسقط ، فقال : لا تظن ذلك ، هو أحوج إلي منه إليك ، لأنّه لا يجد من يكفيه حسابه غيري ، فقال : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته ، قال : فحوّل منه شطراً حتى أرى ، ففعل ، فقال له : تمارض ، فتمارض ، فبعث إليه الحجاج طبيبه فلم يرَ به علّة ، وبلغ زادان فرّوخ ذلك ، فأمره أن يظهر ، ثمّ إنّ زادان فروخ قُتِل أيام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي وهو خارج من منزل كان فيه إلى منزله. أو منزل غيره ، فاستكتب الحجاج صالحاً مكانه ، فأعلمه الذي كان جرى بينه وبين زادان فرّوخ في نقل الدّيوان،

(١) سجستان : اسم تاريخي كان يعرف به الإقليم الذي يشمل اليوم القسم الجنوبي والشرقي من أفغانستان ، عاصمتها : زرنج ، يحدها من الشمال إقليم خراسان ، ويفصلها عن البحر إقليم مكران ، فتحها المسلمون سنة ٣٠ هـ (٦٥١ م) ، (القاموس الإسلامي : ٣ / ٢٦٣) .

فعزم الحجاج على أن يجعل الدّيوان بالعربية ، وقلد ذلك صالحاً ، فقال له مردانشاه بن زادان فروخ : كيف تصنع بدَهوية وشَشوية ؟ قال : : اكتب عُشْر ونصف عُشر ، قال : فكيف تصنع بويد ؟ قال : اكتبه أيضاً ، والويد النيف والزيادة تزاد ، فقال : قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية ، وبُذلَت له مائة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان ويمسك عن ذلك ، فأبى ونقله ، فكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد يقول : لله در صالح ، ما أعظم منتّه على الكُتّاب .

وحدثني عمر بن شبّة قال حدثني أبو عاصم النبيل ، قال : أنبأنا سهل بن أبي الصّلت ، قال ، أجّل الحجاج صالح بن عبد الرحمن أجَلاً حتى قلب الدّيوان .

* * *

في أحكام أراضي الخراج

قال بشر بن غياث ، قال أبو يوسف(١) : إنما أرض أخذت عنوة(٢) مثل السَّواد ، والشّام وغيرهما ، فإن قسمها الإمام بين من غلب عليها ، فهي أرض عُشْر وأهلها رقيق ، وإن لم يقسمها الإمام وردّها للمسلمين عامة ، كما فعل عمر بالسَّواد فعلى رقاب أهلها الجزية ، وعلى الأرض الخَراج ، وليسوا برقيق ، وهو قول أبي حنيفة ، وحكى الواقدي عن سفيان الثوري مثل ذلك ، وقال الواقدي : قال مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب : إذا

(١) أبو يوسف القاضي ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، تلميذ أبي حنيفة ، ولد سنة ١١٣ هـ ، وتوفي سنة ١٨٢ هـ ، كتابه (الخراج) مطبوع عدة طبعات .

(٢) أخذت بعد حرب .

أسلم كافر من أهل العنوة ، أُقِرَّت أرضه في يده ، يعمرها ويؤدي الخراج عنها ، ولا اختلاف في ذلك ، وقال مالك وابن أبي ذئب ، وسفيان الثّوري ، وابن أبي ليلى عن الرجل يُسْلِمُ من أهل العنوة الخراج في الأرض والزكاة من الزرع بعد الخراج ، وهو قول الأَوزاعي ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا يجتمع الخراج والزكاة على رجل ، وقال مالك ، وابن أبي ذئب ، وسفيان، وأبو حنيفة : إذا زرع الرجل أرضه الخراجية مرات في السنة لم يؤخذ منه إلاخراج واحد ، وقال ابن أبي ليلى : يؤخذ منه الخراج كلّما أَدْرِكَت له غلة ، وهو قول ابن أبي سبرة ، وأبي شمر ، وقال أبو الزناد ، ومالك ، وأبو حنيفة ، وسفيان ، ويعقوب ، وابن أبي ليلى وابن أبي سبر ، وزفر ، ومحمد بن الحسن ، وبشر بن غياث : إذا عطل رجل أرضه قيل له أزرعها وأدّ خراجها ، وإلا فادفعها إلى غيرك يزرعها . فأمّا أرض العُشر فإنه لا يقال له فيها شيء إن زرع أُخذت منه الصدقة ، وإن أبى فهو أعلم ، وقالوا : إذا عطل رجل أرضه سنتين ثم عمرها أدى خراجاً واحداً وقال أبو شمر : يؤدي الخراج للسنتين .

وقال أبو حنيفة ، وسفيان ، ومالك ، وابن أبي ذئب ، وأبو عمرو الأوزاعي : إذا أصابت الغلات آفة أو غرق ، سقط الخراج عن صاحبها ، وإذا كانت أرض من أراضي الخراج لعبد أومكاتب (١)أو امرأة فان أباحنيفة قال: عليها الخراج فقط ،وقال سفيان، وابن أبي ذئب. ومالك : عليها الخراج ، وفيما بقي من الغلة العشر .

وقال أبو حنيفة ، والثوري في أرض الخراج بنى مسلم أو ذمي فيها بناء من حوانيت أو غيرها أنه لا شيء عليه ، فان جعلها بستاناً ألزم الخراج ، وقال مالك وابن أبي ذئب : نرى إلزامه الخراج ، لأن انتفاعه بالبناء كانتفاعه بالزرع ، فأما أرض العشر فهو أعلم ما اتخذ فيها . وقال أبو يوسف في أرض موات من أرض العنوة يحييها المسلم إنها له وهي أرض خراج ، إن كانت تشرب من ماء الخراج فان استنبط(٢) لها عيناً أو سقاها من ماء

(١) المكاتب : العبد يكاتب على نفسه بثمنه ، فإذا سعى وأداه عتق . قال ابن الأثير : الكتابة أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً – على أقساط – فإذا أداه صار حراً ، (اللسان : كتب) .

(٢) النبط : الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت ، والاستنباط : الاستخراج ، (اللسان : نبط) .

السماء فهي أرض عشر ، وقال بشر : هي أرض عشر شربت من ماء الخراج أو غيره . وقال أبو حنيفة ، والثوري وأصحابهما ومالك ، وبن أبي ذئب ، والليث بن سعد في أرض الخراج التي لا تنسب إلى أحد تقعد المسلمون فيها فيتبايعون ويجعلونها سوقاً إنه لا خراج عليهم فيها ، وقال أبو يوسف : إذا كانت في البلاد سُنّة أعجمية قديمة لم يغيرها الإسلام ولم يبطلها ، فشكاها قوم إلى قوم إلى الإمام لما ينالهم من مضرّتها ، فليس له أن يغيّرها ، وقال مالك ، والشافعي : يغيّرها وإن قَدُمت ، لأنّ عليه نفي كل سُنّة جائرة سنّها أحد من المسلمين ، فضلاً عن ما سنّ أهل الكفر .

* * *

أمر الخاتم

حدّثنا عفّان بن مسلم، قال : حدثنا شعبة ، قال : أنبانا قتادة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : لما أراد رسول الله عليه وسلم أن يكتب إلى ملك الروم ، قيل له : إنهم لا يقرأون الكتاب إلا أن يكون مختوماً ، قال : فاتّخذ خاتماً من فضّة ، فكأنّي أنظر إلى بياضه في يده ، ونقش عليه محمد رسول الله(١) .

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني ، قال : حدثنا حماد بن زيد قال أنبانا أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من فضة وجعل

(١) على ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر ، والأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل إلى فوق ، فمحمد آخر الأسطر ، ورسول في الوسط ، والله فوق ، وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء إذا ختم بها .

فصّه من باطن كفّه . حدثني محمد بن حسان الحياني ، قال : حدثنا زهير عن حميد عن أنس بن مالك ، قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة كله وفصُّه منه . حدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن الحسن ، قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من وَرِق(١) وكان فصُّه حبشياً .

حدثنا هُدْبَة بن خالد ، قال ، حدثنا همّام بن يحيى عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ، قد صنعت خاتماً فلا ينقشن أحد على نقشه .

حدثنا بكر بن الهيثم ، قال ، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وقتادة ، قالا : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة ونقش عليه محمد رسول الله ، فكان أبو بكر يختم به ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وكان في يده فسقط من يده في البئر(٢) فنزفت فلم يقدر عليه ،

---

(٢) الورق : الفضة .

(٣) وقع في أريس ، وهي بئر معروفة قريباً من مسجد قباء ، فالتمسوه ثلاثة أيام ، فلم يجدوه .

وذلك في النصف من خلافته(١) ، فاتخذ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر ، قال قتادة وخربة .

حدثنا هنّاد ، قال : حدثنا الأسود بن شيبان ، قال : أخبرنا خالد بن سُمَيْر قال : انقش رجل يقال له معن بن زائدة على خاتم الخلافة ، فأصاب مالاً من خراج الكوفة على عهد عمر ، فبلغ ذلك عمر ، فكتب إلى المغيرة بن شعبة أنه بلغني أن رجلاً يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة ، فأصاب به مالاً من خراج الكوفة ، فاذا أتاك كتابي هذا فنفِّذ فيه أمري وأطع رسولي ، فلما صلى المغيرة العصر . وأخذ الناس مجالسهم ، خرج ومعه رسول عمر ، فاشرأبَّ الناس ينظرون إليه حتى وقف على معن ثم قال للرسول : إن أمير المؤمنين أمرني أن أطيع أمرك فيه ، فمرني بما شئت ، فقال الرسول : أدع لي بجامعة أعلِّقها في عنقه فأتى بجامعة فجعلها في عنقه وجبذها جبذاً شديداً ، ثم قال للمغيرة : أحبسه حتى يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين ففعل ، وكان السجن يؤمئذ من قصب فتمحّل(٢) معن

(١) وقيل في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله عنه .
(٢) التمحل : السعي ، (اللسان : محل) .

للخروج ، وبعث إلى أهله أن ابعثوا لي بناقتي وجاريتي وعباءتي القطوانية(١) ، ففعلوا ، فخرج من الليل وأردف جاريته ، فسار حتى إذا رهب أن يفضحه الصبح أناخ ناقته وعقلها ، ثم كمن حتى كفَّ عنه الطلب .

فلما أمسى أعاد على ناقته العباءة ، وشد عليها ، وأردف جاريته ، ثم سار حتى قدم على عمر وهو موقظ المتهجدين لصلاة الصبح ومعه دِرَّته ، فجعل ناقته وجاريته ناحية ثم دنا من عمر فقال : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك . من أنت ؟ قال : معن بن زائده جئتك تائباً ، قال : أُبْتَ فلا يُحَيِّيكَ الله ، فلما صلى صلاة الصبح ، قال للناس : مكانكم ، فلما طلعت الشمس ، قال : هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب فيه مالاً من خراج الكوفة فما تقولون فيه ، فقال قائل : اقطع يده ، وقال قائل : أصلبه ، وعلي ساكت فقال له عمر : ما تقول أبا الحسن ؟ قال : ياأمير المؤمنين

(١) القطوانية : عباءة بيضاء قصيرة الخمل ، (اللسان : قطا) .

رجل كذب كذبة ، عقوبته في بشره فضربه عمر ضرباً شديداً – أو قال مبرحاً –. وحبسه فكان في الحبس ماشاء الله ، ثم إنّه أرسل إلى صديق له من قريش ، أن كلّم أمير المؤمنين في تخلية سبيلي ، فكلمه القرشي ، فقال : ياأمير المؤمنين معن بن زائدة قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلاً ، فان رأيت أن تخلي سبيله ، فقال عمر : ذكرتني الطعن وكنت ناسياً ، عليّ بمعن فضربه ، ثم أمر به إلى السجن ، فبعث معن إلى كل صديق له : لا تذكروني لأمير المؤمنين ، فلبث محبوساً ماشاء الله ، ثم إن عمر انتبه له ، فقال : معن فأتي به فقاسمه وخلّي سبيله .

حدثني المفضّل اليشكري وأبو الحسن المدائني عن ابن جابان عن ابن المقفّع ، قال : كان ملك الفرس إذا أمر بأمر وقّعه صاحب التّوقيع بين يديه ، وله خادم يثبت ذكره عنده في تذكرة تجمع لكل شهر ، فيختم عليها الملك خاتمه وتخزن ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام وإليه الختم ، فينفذه إلى صاحب العمل ، فيكتب به كتاباً من الملك ، وينسخ في الأصل ، ثم ينفذ إلى صاحب

الزمام فيعرضه على الملك ، فيقابل به ما في التذكرة ، ثم يختم بحضرة الملك ، أو أوثق الناس عنده .

وحدثني المدائني عن مسلمة بن محارب ، قال : كان زياد بن أبي سفيان أول من اتخذ من العرب ديوان زمام وخاتم امتثالاً لما كانت الفرس تفعله .

حدثني مفضّل اليشكري ، قال : حدثني بن جابان عن ابن المقفع ، قال : كان للملك من ملوك فارس خاتم للسر ، وخاتم للرسل ، وخاتم للتخليد يختم به السجلات والاقطاعات وما أشبه ذلك من كتب الشريف ، وخاتم للخراج . فكان صاحب الزمام يليها ، وربما أفرد بخاتم السر والرسائل رجل من خاصة الملك .

وحدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جابان عن ابن المقفع ، قال : كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملك وهي يومئذ تكتب في صحف بيض ، وكان صاحب الخراج يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما اجتبي من الخراج وما أنفق في وجوه النفقات ، وما حصل في بيت المال فيختمها ويجريها ، فلما كان كسرى

ابن هرمز أبرويز تأذّى بروائح تلك الصحف ، وأمر أن لا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه ما يرفع إلا في صحف مصفّرة بالزعفران وماء الورد ، وأن لا تكتب الصحف التي تعرض عليه بحمل المال وغير ذلك إلا مصفّرة ففعل ذلك ، فلما ولي صالح بن عبد الرحمن خراج العراق تقبّل منه ابن المقفع بكور دجلة ، ويقال بالبهقُباذ ، فحمل مالاً . فكتب رسالته في جلد وصفّرها فضحك صالح ، وقال : أنكرت أن يأتي بها غيره يقول لعلمه بأُمور العجم .

قال أبو الحسن ، وأخبرني مشايخ من الكُتّاب أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس ، وكذلك الكتب إلى ملوك بني أُميّة في حمل المال وغير ذلك ، فلما ولي أمير المؤمنين المنصور ، أمر وزيره أبا أيوب المورياني أن يكتب الرسائل بحمل الأموال في صحف ، وأن تصفّر الصُّحف ، فجرى الأمر على ذلك .

* * *

أمر النقود

حدّثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثني الحسن بن صالح ، قال : كانت الدّراهم من ضَرْبِ الأعاجم مختلفة كباراً وصغاراً . فكانوا يضربون منها مثقالاً ، وهو وزن عشرين قيراطاً ، ويضربون منها وزن اثني عشر قيراطاً ، ويضربون عشرة قراريط وهي أنصاف المثاقيل ، فلما جاء الله بالإسلام واحتيج في أداء الزكاة إلى الأمر الواسط فأخذوا عشرين قيراطاً واثني عشر قيراطاً وعشرة قراريط ، فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطاً ، فضربوا على وزن الثلث من ذلك وهو أربعة عشر قيراطاً فوزن الدرهم العربي أربعة عشر قيراطاً من قراريط الدينار العزيز ، فصار وزن كل عشرة دراهم سبع مثاقيل وذلك مائة وأربعون قيراطا وزن سبعة .

وقال غير الحسن بن صالح : كانت دراهم الأعاجم ما العشرة منها وزن عشرة مثاقيل ، وما العشرة منها وزن ستّة مثاقيل ، وما العشرة منها وزن خمسة مثاقيل ، فجمع ذلك فوجد إحدى وعشرين مثقالاً ، فأُخذ ثلثه وهو سبعة مثاقيل . فضربوا دارهم وزن العشرة منها سبعة مثاقيل، القولان ترجع إلى شيء واحد(١) .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر الأسلمي ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الله بن موهب عن أبيه عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير ، قال : كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة في الجاهلية ، وترد عليهم دراهم الفُرْس البغلية(٢) ، فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر ، وكان المثقال عندهم ، معروف الوزن وزنه اثنان وعشرون

(١) الدرهم الشرعي لوزن النقد الفضة = ٢,٩٧٥ غ ، والدرهم الشرعي لوزن الكيل أو الوزن المجرد : ٣,١٧١ غ ، والدرهم البغلي = ٣,٧٧٦ غ ، والدرهم الخوارزمي = ٢,٣٦ غ ، والدرهم الطبري = ٢,١٢٥ غ ، والدرهم المصري = ٣,١٢٥ غ ، (كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ، ص ٨٦) .

(٢) الدراهم البغلية : منسوبة إلى ملك يقال له (رأس البغل) . المرجع السابق ، ص : ٥٩ .

قيراطا إلا كسراً(١) ، ووزن العشرة الدراهم بسبعة مثاقيل فكان الرطل اثني عشر أوقية وكل أوقية أربعين درهماً(٢) ، فأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وأقره أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فكان معاوية فأقرّ ذلك على حاله ، ثم ضرب مصعب بن الزبير في أيام عبد الله بن الزبير دراهم قليلة كُسرت بعد ، فلما ولي عبد الملك بن مروان سأل وفحص عن أمر الدراهم والدنانير . فكتب إلى الحجاج ابن يوسف أن يضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطاً من قراريط(٣) الدنانير ، وضرب هو الدنانير الدمشقية، قال عثمان قال أبي : فقدمت المدينة وبها نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم من التابعين فلم

---

(١) المثقال الشرعي لوزن الكيل أو الوزن المجرد = ٤٫٥٣ غ ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٢) الرطل الشرعي لوزن النقد الفضة = ٤٢٨ غ ، والوقية الشرعية لوزن الفضة = ١١٩ غ ، والوقية الشرعية لوزن الذهب = ٢٩٫٧٥ غ ؛ المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٣) القيراط : نصف دانق ، والدانق الشرعي من الدينار الشرعي : ٠٫٧٠٨ غ ، والدانق الشرعي من درهم الكيل الشرعي = ٠٫٥٢٨ غ ، والدانق الشرعي من الدرهم النقد الشرعي = ٠٫٤٩٥ غ ، والدانق الشرعي من مثقال الكيل الشرعي = ٠٫٧٥٥ غ ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

ينكروا ذلك ، قال محمد بن سعد : وزن الدرهم من دراهمنا هذه أربعة عشر قريطاً من قراريط مثقالنا الذي جعل عشرين قيراطاً وهو وزن خمسة عشر قيراطاً من إحدى وعشرين قيراطاً وثلاثة أسباع .

حدثني محمد بن سعد ، قال حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني إسحق بن حازم عن المطلب بن السائب عن أبي وَداعة السهمي أنّه أراه وزن المثقال ، قال : فوزنته فوجدته وزن مثقال عبد الملك بن مروان ، قال هذا كان عند أبي وداعة بن ضُبيرة السهمي في الجاهلية .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا الواقدي عن سعيد بن مسلم بن بابك عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي ، قال : كانت لقريش أوزان في الجاهلية فدخل الإسلام فأُقِّرت على ما كانت عليه ، كانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً ، وتزن الذهب بوزن تسميه دينارا ، فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير ، وكان لهم وزن الشعيرة وهو واحد من الستّين من وزن الدرهم ، وكانت لهم الأوقية وزن أربعين درهما والنش

وزن عشرين درهماً ، وكانت لهم النواة وهي وزن خمسة دراهم فكانوا يتبايعون بالتبر على هذه الأوزان ، فلما قدم صلى الله عليه وسلم مكة أقرهم على ذلك . وحدثني محمد ابن سعد عن الواقدي ، قال حدثني ربيعة عن عثمان عن وهب ابن كيسان ، قال رأيت الدنانير والدراهم قبل أن ينقشها عبد الملك ممسوحة وهي وزن الدنانير التي ضربها عبد الملك .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن أبيه ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : من أول من ضرب الدنانير المنقوشة ؟ فقال عبد الملك ابن مروان ، وكانت الدنانير ترد رومية والدراهم كسروية في الجاهلية .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا سفيان بن عُيَينة عن أبيه أن أول من ضرب وزن سبعة الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي أيام ابن الزبير .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني محمد بن عمر ، قال : حدثنا ابنه أبي الزناد عن أبيه : أن عبد الملك أول

من ضرب الذهب عام الجماعة سنة أربع وسبعين(١) قال أبو الحسن المدائني : ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة خمس وسبعين ثم أمر بضربها في جميع النواحي سنة ست وسبعين .

وحدثني داود الناقد ، قال : سمعت مشايخنا يحدثون أنّ العباد من أهل الحيرة كانوا يتزوّجون على مائة وزن ستة يريدون وزن ستين مثقالاً دراهم ، وعلى مائة وزن ثمانية ، يريدون ثمانين مثقالاً دراهم ، وعلى مائة وزن خمسة يريدون وزن خمسين مثقالاً دراهم ، وعلى مائة وزن مائة مثقال ، قال داود الناقد : رأيت درهماً عليه ضرب هذه الدراهم بالكوفة سنة ثلاث وسبعين فأجمع النقاد أنه معمول(٢) وقال رأيتُ درهماً شاذاً لم يُرَ مثله عليه عبيد الله بن زياد فأُنكر أيضاً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني الواقدي عن يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه قال : ضرب مصعب

(١) لعله أراد : اجتمعت على عبد الملك الكلمة بعد مقتل عبد الله ابن الزبير في ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ .

(٢) معمول : مغشوش منحول ، فالشراب المعمول لغة : هو الذي فيه اللبن والعسل والثلج ، (اللسان : عمل) .

الدراهم بأمر عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة وعليها بركة وعليها الله ، فلما كان الحجاج غيرها . وروى عن هشام بن الكلبي أنّه قال : ضرب مصعب مع الدراهم دنانير أيضاً .

حدثني داود الناقد ، قال : حدثني أبو الزبير الناقد، قال : ضرب عبد الملك شيئاً من الدنانير في سنة أربع وسبعين ثم ضربها سنة خمس وسبعين وأن الحجاج ضرب دراهم بغليّة كتب عليها بسم الله الحجاج ، ثم كتب عليها بعد سنة (الله أحد الله الصّمد) ، فكره ذلك الفقهاء فسميت مكروهه ، قال : ويقال : إن الأعاجم كرهوا نقصانها فسميت مكروهه ، قال : وسميت السُّميرية بأوّل من ضربها واسمه سُمَير .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، قال : حدثني عوانة بن الحكم أن الحجاج سأل عما كانت الفرس تعمل به في ضرب الدراهم ، فاتخذ دار ضرب ، وجمع فيها الطّباعين ، فكان يضرب المال للسلطان مما

يجتمع له من التبر وخلاصة الزيوف والستّوقة والبهرجة(١) ثم أذن للتجار وغيرهم في أن تضرب لهم : الأوراق ، واستغلها من فضول ما كان يؤخذ من فضول الأُجرة للصناع والطباعين وختم أيدي الطباعين ، فلما ولي عمر بن هبيرة العراق ليزيد بن عبد الملك خلّص الفضة أبلغ من تخليص من قبله ، وجوّد الدراهم فاشتد في الغيار . ثم ولي خالد بن عبد الله البجلي ، ثم القسري العراق لهشام بن عبد الملك فاشتد في النقود أكثر من شدة ابن هبيرة حتى أحكم أمرها أبلغ من إحكامه ، ثم ولي يوسف بن عمر بعده فأفرط في الشدة على الطباعين وأصحاب الغيار وقطع الأيدي وضرب الأبشار ، فكانت الهبيرية ، والخالدية ، واليوسفية ، أجود نقود بني أمية ، ولم يكن المنصور يقبل

---

(١) الزيف : من وصف الدراهم ، يقال : زافت عليه دراهمه أي صارت مردودة لغش فيها وفي اللسان (ستق) : درهم ستوق وستوق : زيف بهرج لا خير فيه ، وهو معرب ، والدرهم البهرج : الذي فضته رديئة ، وكل رديء من الدراهم وغيرها : بهرج ، والبهرج الدرهم المبطل السكة ، وكل مردود عند العرب بهرج ، والبهرج : الباطل والرديء من الشيء ، (اللسان : بهرج) .

في الخراج من نقود بني أمية غيرها فسميت الدراهم الأولى المكروهة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن بن أبي الزناد عن أبيه : أنّ عبد الملك بن مروان أوّل من ضرب الذهب والورِق بعد عام الجماعة ، قال فقلت لأبي : أرأيت قول الناس أن ابن مسعود كان يأمر بكسر الزيوف ، قال تلك زيوف ضربها الأعاجم فغشّوا فيها .

حدّثني عبد الأعلى بن حماد النرْسي ، قال : حدّثنا حماد بن سلمة ، قال : حدّثنا داود بن أبي هند عن الشّعبي عن علقمة بن قيس أنّ ابن مسعود كانت له بقاية في بيت المال فباعها بنقصان ، فنهاه عمر بن الخطاب عن ذلك ، فكان يدينها بعد ذلك .

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي عن قدامة بن موسى أنّ عمر وعثمان كانا إذا وجدا الزيوف في بيت المال جعلاها فضّة .

حدّثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز أتى برجل يضرب

على غير سكّة السلطان ، فعاقبه وسجنه وأخذ حديده(١) فطرحه في النار .

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حَنْطَب أنّ عبد الملك بن مروان أخذ رجلاً يضرب على غير سكّة المسلمين فأراد قطع يده ، ثم ترك ذلك وعاقبه . قال المطلب : فرأيت من بالمدينة من شيوخنا حسنوا ذلك من فعله وحمدوه. قال الواقدي وأصحابنا يرون فيمن نقش على خاتم الخلافة المبالغة في الأدب والشهرة ، ولا يرون عليه قطعاً، وذلك رأي أبي حنيفة والثّوري ، وقال مالك ، وابن أبي ذئب ، وأصحابهما : نكره قطع الدرهم إذا كانت على الوفاء وننهى عنه لأنّه من الفساد ، وقال الثوري ، وأبو حنيفة وأصحابه لا بأس بقطعها إذا لم يضر ذلك بالإسلام وأهله .

---

(١) أخذ حديده ، أي القالب الحديد الذي كان يملكه ، يضرب به النقد على غير سكة الدولة .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون عن ابن سيرين أن مروان بن الحكم أخذ رجلاً بقطع الدراهم فقطع يده فبلغ ذلك زيد بن ثابت ، فقال لقد عاقبه ، قال إسماعيل يعني دراهم فارس .

قال محمد بن سعد ، وقال الواقدي : عاقب أبان بن عثمان وهو على المدينة من يقطع الدراهم ضربة ثلاثين ، وطاف به ، وهذا عندنا فيمن قطعها ودس فيها المفرّغة والزيوف .

وحدثني محمد عن الواقدي عن صالح بن جعفر عن ابن كعب في قوله (أوأن نَفْعَلَ في أموالِنا ما نَشاءُ (١)) قال : قطع الدراهم .

حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله ، قال : حدثنا يزيد ابن هارون ، قال : أنبأنا يحيى بن سعيد ، قال : ذكر لابن المسيب رجل يقطع الدراهم ، فقال سعيد : هذا من الفساد في الأرض .

---

(١) (قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) ، (هود : ١١ /٨٧)

حدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن ، قال كان الناس وهم أهل كفر قد عرفوا موضع هذا الدرهم من الناس فجوّدوه وأخلصوه ، فلما صار إليكم غششتموه وأفسدتموه. ولقد كان عمر بن الخطاب قال : هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل فقيل له إذاً لا بعير فأمسك .

أَمْرُ الخَطِّ

حدَّثني عباس بن هشام بن محمد السائب الكلبي عن أبيه عن جدِّه وعن الشرقي بن القطامي ، قال : اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببَقَّة(١) ، وهم مُرَامر بن مُرَّة ، وأسلم بن سِدْرة ، وعامر بن جَدَرَة ، فوضعوا الخط ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السُّريانيَّة ، فتعلَّمه منهم قوم من أهل الأنبار(٢) ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل

(١) بقة : اسم موضع قريب من الحيرة ، وقيل : حصن كان على فرسخين من مدينة (هيت) ، (معجم البلدان : ١ / ٤٧٣) .

(٢) الأنبار : حد بابل – قرب الفرات الأوسط – سميت به لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن ، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها ، وكان يقال لها الأهراء ، فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار ، وقال الأزهري : الأنبار أهراء الطعام ، وأحدها نبر ، ويجمع على أنابير جمع الجمع ، وسمي الهري نبراً لأن الطعام إذا صب في موضعه انتبر أي ارتفع ومنه سمي المنبر لارتفاعه ، (معجم البلدان : ١ / ٢٥٧) .

الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أُكَيْدِر بن عبد الملك ابن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دُومَةِ الجندل(١) يأتي الحيرة فيقيم بها الحين ، وكان نصرانياً . فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه ، فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ، ثم أراهما الخط ، فكتبا ، ثم إنّ بشراً وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غَيْلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر ، فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس فسمي عمرو الكاتب ، ثم أتى بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناك ، وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين أيضاً رجل من طابخة كلب فعلمه رجلاً من أهل وادي القرى ، فأتى الوادي يتردد فأقام بها وعلّم الخط قوماً من أهلها .

وحدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد ، قالا : حدثنا محمد بن عمر الواقدي ، عن خالد بن إلياس ، عن

---

(١) دومة الجندل : حصن بين الشام والمدينة ، جنوبي بادية الشام ، قرب جبلي طيء ، (معجم البلدان : ٢ / ٤٨٧) .

أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم العدوي قال : دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب : عمر ابن الخطّاب وعليٌّ بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وطلحة ويزيد بن أبي سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو أخو سهيل بن عمرو العامري عن قريش ، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأبان بن سعيد بن العاصي بن أمية ، وخالد بن سعيد أخوه وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وحويطب بن عبد العزى العامري ، وأبو سفيان ابن حرب بن أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهيم بن الصّلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال للشّفّاء بنت عبد الله العدويّة من رهط عمر بن الخطاب : ألا تعلّمين حفصة

رقية النملة(١) كما علمتها الكتابة ، وكانت الشّفاء كاتبة في الجاهلية .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الرحمن ابن سعد ، قال : كانت حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تكتب .

وحدثني الوليد عن الواقدي عن بن أبي سبرة عن علقمة ابن أبي علقمة عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان أنّ أم كلثوم بنت عقبة كانت تكتب .

وحدثني الوليد عن الواقدي عن فروة عن عائشة بنت سعد أنّها قالت : علمني أبي الكتاب .

وحدثني الوليد عن الواقدي عن موسى بن يعقوب عن عمته عن أمها كريمة بنت المقداد أنّها كانت تكتب .

(١) رقية النملة : شيء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع ، ورقية النملة التي كانت تعرف بينهن أن يقال العروس تحتفل ، وتختضب وتكتحل ، وكل شيء تفتعل ، غير أن لا تعصي الرجل ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المقال تأنيب حفصه لأنه ألقى إليها سراً فأفشته . (اللسان : نمل) .

حدثني الوليد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن ابن عون عن ابن مياح عن عائشة أنها كانت تقرأ المصحف، ولا تكتب.

وحدثني الوليد عن الواقدي عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن سالم سبلان عن أم سلمة أنها كانت تقرأ ولا تكتب.

وحدثني الوليد ومحمد بن سعد عن الواقدي عن أشياخه. قالوا: أوّل من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة أُبَيُّ بن كعب الأنصاري، وهو أول من كتب الكتاب وكتب فلان، فكان أُبَيٌّ إذا لم يحضر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت الأنصاري فكتب له فكان أُبَيٌّ وزيد يكتبان الوحي بين يديه، وكُتُبه إلى من يكاتب من الناس، وما يُقْطِع وغير وذلك.

قال الواقدي: وأول من كتب له من قريش عبد الله ابن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد ورجع إلى مكة وقال لقريش أنا آتي بمثل ما يأتي به محمد، وكان يُمْلِ عليه «الظالمين» فيكتب «الكافرين»، يُمْلِ عليه «سميع عليم»

فيكتب « غفور رحيم » وأشباه ذلك (١) ، فأنزل الله (وَمَنْ أَظلم مِمَّنِ افْتَرى عَلَى الله كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مثلَ مَاأَنْزَلَ اللهُ)(١) ، فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، فكلّمه فيه عثمان بن عفان ، وقال : أخي من الرضاع . وقد أسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركه ، وولاه عثمان مصر ، فكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان وشُرَحْبيل بن حَسَنة الطابخي من خِنْدِف حليف قريش ، ويقال بل هو كندي ، وكتب له جُهَيم بن الصلت بن مخرمة ، وخالد بن سعيد وأبان ابن سعيد بن العاصي والعلاء بن

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم يوم الفتح فحسن إسلامه ، ولم يظهر منه بعد ذلك ما ينكر عليه ، وهو أحد العقلاء الكرماء من قريش (أسد الغابة : ٣ / ٢٦٠ ، والكامل في التاريخ : ٣ / ٤٥و٤٦) ، وهو قائد جيش المسلمين في إنتصار المعركة البحرية الشهيرة (ذات الصواري ٣١ هـ = ٢٩ آب ٦٥٥ م) ، لقد أسلم عام الفتح ٨ هـ ، فخبر الجميع ندمه على افترائه وكذبه ، وحسن إسلامه وصلاحه ، فتولى أمر مصر عام ٢٥ هـ ، أي بعد تجربة واختبار دام ١٧ عاماً ، ودليل توبته الصادقه وأسفه : دعاؤه في آخر حياته : « اللهم اجعل خاتمة عملي الصلاة » فصلى الصبح ثم توفي بعسقلان سنة ٣٧ هـ .

الحضرمي ، فلما كان عام الفتح : أسلم معاوية ، كتب له أيضاً ، ودعاه يوماً وهو يأكل فأبطأ فقال : لا أشبع الله بطنه ، فكان يقول الحقتني دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يأكل في اليوم سبع أكلات وأكثر وأقل.

وقال الواقدي وغيره : كتب حنظلة بن الربيع بن رباح الأسيدي من بني تميم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة فسمي حنظلة الكاتب .

وقال الواقدي : كان الكتّاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً ، وكان بعض اليهود قد علّم كتاب العربية ، وكان تعلّمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون وهم : سعد بن عبادة ابن دُليم ، والمنذر بن عمرو ، وأبيّ بن كعب ، وزيد ابن ثابت ، فكان يكتب العربية والعبرانية ، ورافع بن مالك ، وأسيد بن حضير ، ومعن بن عدي البلوي حليف الأنصار ، وبشير بن سعد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن خولي ، وعبد الله بن أبيّ المنافق . قال : فكان الكَمَلة منهم والكامل من يجمع إلى الكتاب الرّمي والعَوْم(١) : رافع بن مالك ،

(١) العوم : السباحة ، وفي الحديث الشريف : علموا صبيانكم العوم ، هو السباحة ، وعام في الماء عوماً : سبح ، ورجل عوام : ماهر بالسباحة ، (اللسان : عوم) .

وسعد بن عبادة ، وأسيد بن حضير ، وعبد الله بن أُبي ، وأوس بن خولي وكان من جمع هذه الأشياء في الجاهلية من أهل يثرب : سويد بن الصامت ، وحُضَير الكتائب .

قال الواقدي ، وكان جُفَيْنة العبادي من أهل الحيرة نصرانياً ظِئراً(١) لسعد بن أبي وقاص فاتهمه عبيد الله بن عمر بمشايعة أبي لؤلؤة على قتل أبيه ، فقتله وقتل ابنيه .

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد أن أباه زيد بن ثابت ، قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود وقال لي : إني لا آمن يهوداً على كتابي ، فلم يمر بي نصف شهر حتى تعلمته فكنت أكتب له إلى يهود ، وإذا كتبوا إليه قرأتُ كتابهم .

* * *

تم كتاب فتوح البلدان . والحمد لله الواحد الديان وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وأصحابه وسلامه.

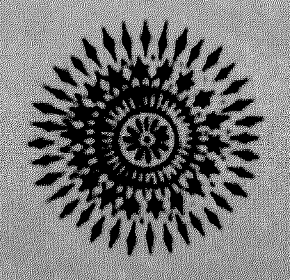
---

(١) ظأر : هي ظئره ، وهو ظئره ، وهم وهن أظآره ، وبنو سعد أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاءرت المرأة مظاءرة : أخذت ولداً ترضعه ، (أساس البلاغة للزمخشري : ص : ٤٠١) .

الفهرس

الفصل الثاني

٥٠٠٠ ط ١ ١/١/١٩٩٧



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر

٣٠٠ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٦٠٠ ل.س